

NEW YORK
UNIVERSITY
LIBRARIES

GENERAL UNIVERSITY
LIBRARY
MUSIC LIBRARY

Provided by the Library of Congress
Public Law 480 Program

70-961561

قيلان

لبنان

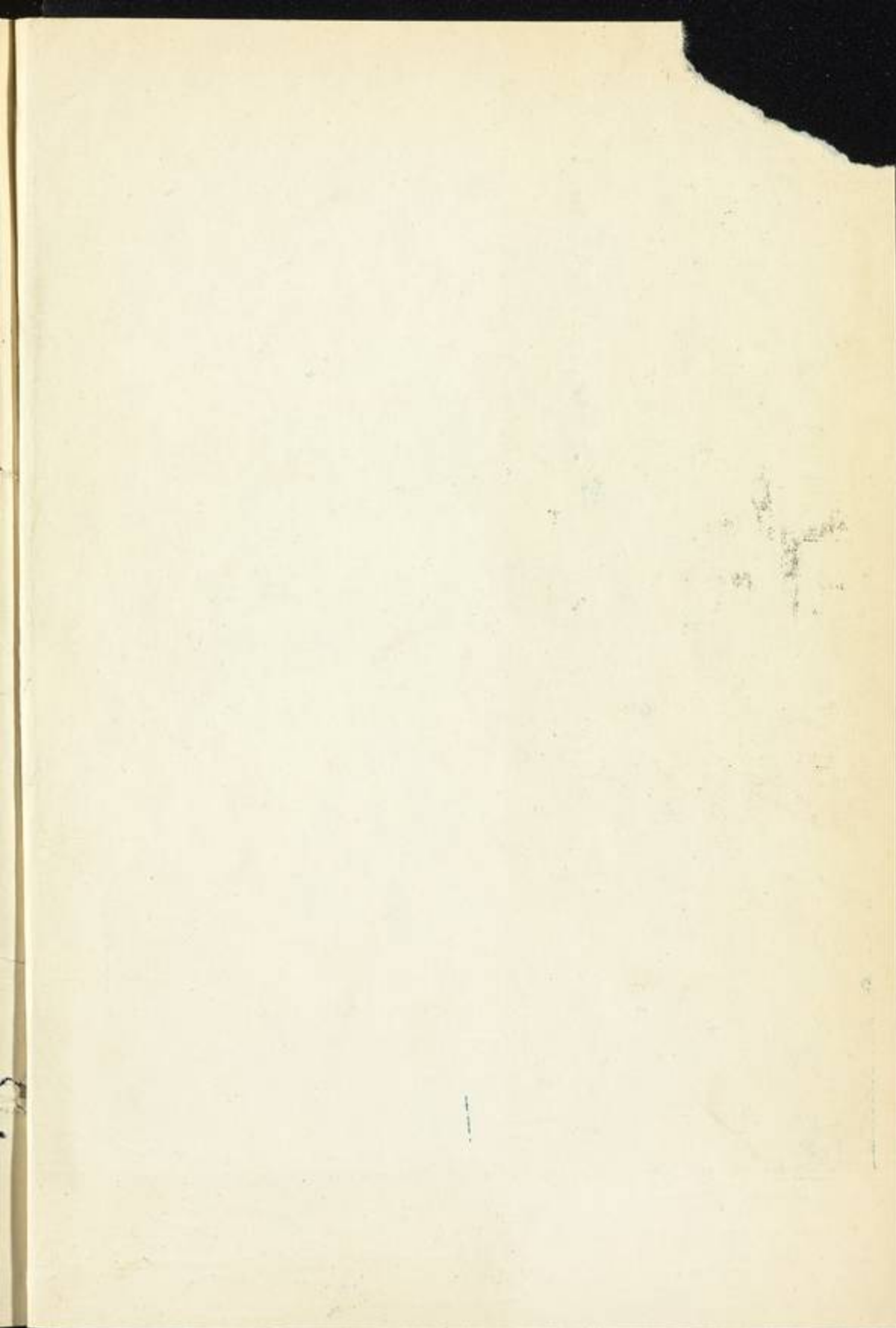
في

العصر العباسي
والعثماني والأخير



قدم له
علي الخاقاني

أليف : عبد الكريم العلاف



al-ʿAllāf, ʿAbd al-Karīm.

Qiyān Baghdād.

منشورات دار البيان

٤٩

فِيان بغداد
في
العصر العباسي والعثماني والأخير

تأليف

عبد الكريم العدوي

قدم له

علي الخوافي

مطبعة دار التضامن - بغداد

١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

Music



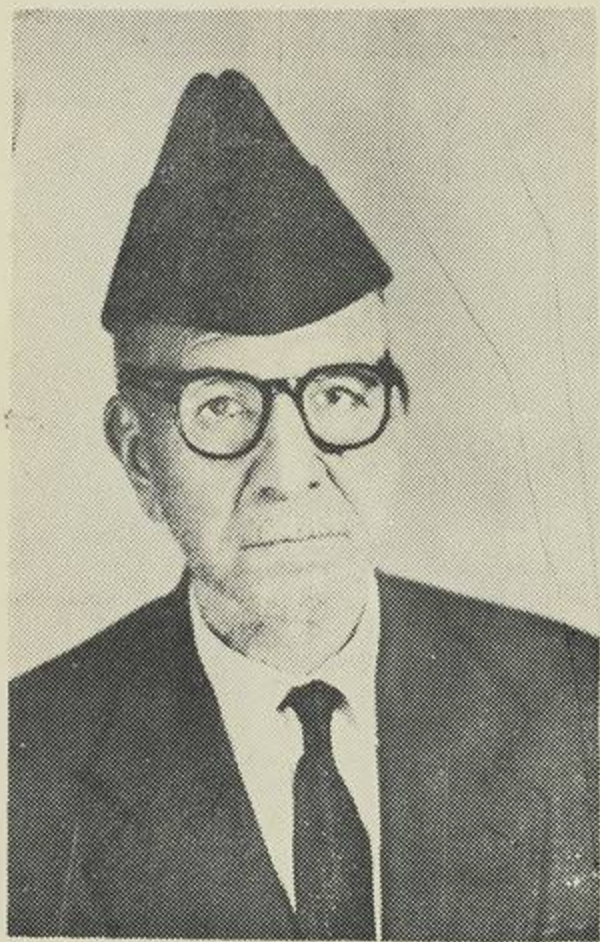
ML

400

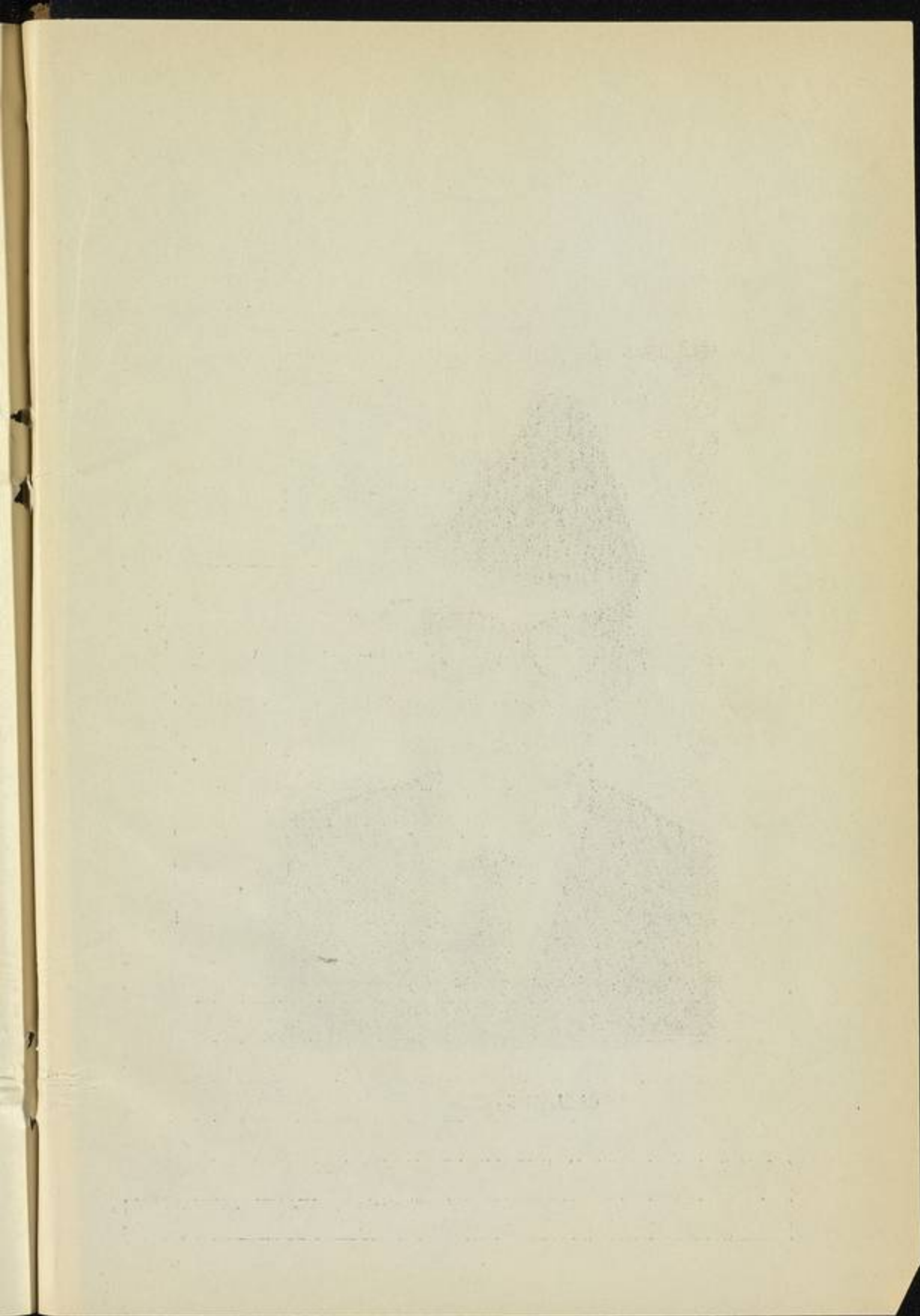
A416

١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م

الطبعة الاولى



صورة المؤلف



المقدمة

بقلم : علي الخاقاني

الغناء من اهم عناصر الحياة ، امتد عمره بامتداد حياة الانسان ، وتطور بل تنوع بتنوع ذهنية الفرد البشري ، لذا تراه يعيش مع الانسان الذي يحاول فهم الحياة فهما مبنيا على الطريقة العلمية والنفسية لانه يشارك في تصويرهما ، والحديث عن الغناء لا يمكن ان يستوعب إلا اذا استوعب تأريخ الانسانية ، لذا تراه فارضا وجوده ما دامت النفس موجودة لها استقلالها عن البدن والروح .

وقد بحث علماء النفس كثيراً من عواملها وعواملها ، وما تقوم به من تصرفات وراء التصور ، حيث تفاجيء صاحبها بمفاجآت قد لا يتحمل وقعها والعمل بها لاختلافها مع تصرفات العقل واحكامه ومقرراته .

ولكل انسان نفس تسيطر عليه فاذا ما اتفعلت لا يستطيع التغلب على انفعالها إلا بأسباب أهمها الغناء لانه يأخذ بها الى عالم واسع من الترفيه والارتياح ، ويهديء من العصب الذي تأثر بافعال النفس ، لذا ترى الغناء هو العنصر الاول لمجالس الانس والغبطة ، حيث يضيء على المجلس جواً رقيقاً ، وعالماً مبهجاً يصرف الازهان المتعبة ، والارواح المجهدة ، الى استقرار وهُدوء محسوسين .

ولقد قال فريق من الفقهاء بتحريم الغناء دون ان يوضح الدليل العلمي ، مع العلم بأنه لم يستطع معرفته فعرفه بقوله : هو ترجيع الصوت وترديده ، وهذا فيما اعتقده ليس تعريفاً له ، بل وحتى اذا كان كذلك فما هي الحرمة فيه ؟ . لكن البعض الآخر ممن مارس النظر والدليل ، قال : الغناء هو كل شيء حسن يشتاقه السمع ويرتاح له ، فاذا ما تلى القرآن تلاوة صحيحة ذات وقفات وذبذبات ، كان أشهى للسمع من غيرها من الطرق التي لا تشتمل على هذا الوصف ، مع العلم هو كلام الله عز وجل ، ولكن الذي يتصف بالحرمة هو ما أخرج الانسان عن طوره وحشمته ، ووضع في وضع يؤاخذة عليه

الناس ، ومما ورد من الاخبار المحترمة أن رجلا سأل أحد الأئمة بقوله : ان زوجتي تغيني ، فقال : لا بأس إنها زوجتك • وعلى هذا ذهب بعض العلماء الى حلية الغناء • ومن نظر في سر التشريع وجد الغناء حلالا دائما ، حراما عرضا ، كما قال بعض مراجع الدين عن أهل الكتاب : أنهم طاهرون ذاتا ، فنجسون عرضا •

ومن ذلك ما ذكره الاخ الاستاذ خضر الطائي في مقدمته لديوان العرجي نقلا عن كتاب الاغاني ج ١ ص ١٥٧ فقال : ان ابن ميزن المغني مر بحلقة كان ابن جريج يحدث فيها وعنده جماعة من أهل العراق فيهم الرجل الصالح عبدالله بن المبارك ، فدعاه ابن جريج وطلب أن يسمعه شيئا من الغناء ، فقال له : إختار ثلاثة اصوات لا ازيدك عليها ، فقال : اريد الصوت الذي غناه ابن سريج على جيرة العقبة ثاني أيام (منى) فقطع الطريق حتى تكسرت المحامل ، فغناه قول العرجي :

عوجي علي فسلمي جبر	فيهم الصدود واتم سفر
ما نلتقي إلا ثلاث منى	حتى يفرق بيننا النفر
الحول بعد الشهر يتبعه	ما الدهر الا الحول والشهر

فاستعاده ابن جريج استحسانا ، فقال : على أن يكون من الثلاثة •• فقال : نعم •• فأعاده ، ثم استعاده ثالثة على ذلك الشرط ، فأعاده •• ثم قال لاصحابه : لعلكم انكرتم ما فعلت ••؟ قالوا : إنا لننكره عندنا بالعراق ونكرهه ، قال : فما تقولون في الرجز ؟ (يعني الحداء) قالوا : لا بأس به عندنا •• قال : فما الفرق بينه وبين الغناء ؟!

وقد كتب العلامة الشيخ عبدالغني النابلسي رسالة في حلية سماع الغناء والآلات اسماء (إيضاح الدلالات) فرغ من تأليفه عام ١٠٨٨ هـ . وقد طبع على الحجر في القاهرة منذ مدة طويلة •

وقد ذكر النويري في نهاية الارب فصلا طويلا استغرق اكثر من ثلثمائة صفحة ، مائة منها عن اباحة الغناء وتحريمه ، نقل اكثره عن الغزالي في الاحياء ، وتحديث في الباقي عن المغنيات والمغنين • وقد ذكر ابن عبد ربه صاحب (العقد الفريد) في كتاب الياقوتة الثانية في علم الالحن واصنافها • أما

العربي فقد افرد في كتابه (مسالك الابصار) مجلداً كاملاً وبعض مجلد عن
لغناء والمغنين واقيان وهما ما زالا مخطوطين .

وفي عصرنا كتب فريق من الادباء منهم الاستاذ فايد العمروسي كتاب
(الجوارى والمغنيات) والدكتور جبور عبدالنور كتاب (انجوارى) ،
والدكتور ناصر الدين الاسد كتاب (القيان والغناء في العصر الجاهلي) وكلهم
بذوا الجهد الذي يستحق الاكبار .

أما الكتب المؤلفة في القيان فهي كثيرة حسب ما جاء في الفهارس
القديمة ، ك فهرست ابن النديم ، فقد ذكر فيه أسماء منها ، كتابان لاسحاق بن
ابراهيم الموصلي وهما كتاب القيان ، وكتاب قيان الحجاز ، وليونس الكاتب
كتاب القيان ، ولحسن بن موسى النصيبي كتاب الاغاني على حروف المعجم ،
ذكر فيه أسماء المغنين والمغنيات في الجاهلية والاسلام ، وكتابان لابي أيوب
المديني احدهما عن قيان الحجاز عامة ، والآخر عن قيان مكة خاصة ، ولابي
القرج كتاب في أخبار القيان غير كتاب الاغاني ، ولابن الطحان مخطوط في
الموسيقى فيه فصل عن أسماء القيان في العصر الجاهلي . أما الجاحظ فقد
ألف رسالته (الجوارى والقيان) .

والغناء لا يتوفر ولا يتطور إلا اذا ابتهجت النفوس واستقرت ، وعلى
ذلك سار المثل (اذا طابت النفوس غنت) لذا ترى النفوس تشتاقه وتحتاج
اليه ، والسمع ينقاد له ويؤسر .

وهذا الفن تذوقه رجال ونساء فبرعوا فيه ، وامتلكوا أرواح الناس
بما اوتوا من قابليات غنائية عجيبة ، لاقت من التشجيع والاحترام والاكبار
ما جعلها تستعلي على الناس بالغنج والدلال ، شأن أصحاب الفنون الاخرى .
واخبار المغنين والقيان ونواديرهم فقد مرت عليك في أسماء الكتب التي صورت
نكاتهم ورقة اصواتهم .

أما هذا الكتاب (قيان بغداد) فقد امتاز عن غيره من الكتب لتدوينه
أخبار القيان التي عاشت في العصر العثماني والدور الاخير حيث لم يتناول
الحديث عنها مؤلف من قبل ، وكانت المكتبة العربية بحاجة الى من يسد هذا
الفراغ فقد بحث (العلاف) هذا الجانب بحثاً مبسطاً لطيفاً ، يكشف صفحة

مطوية لو لم يتداركها لذهبت مع الزمن، ولبقيت اخبار القيان في بغداد ناقصة
لا يقوى على اكmalها أحد غيره .

فالاستاذ العلاف رائد كبير من رواد الباحثين عن التراث الشعبي
والفلكلور العراقي ، سجل كثيراً من الصور البغدادية في شتى مناحي الحياة
الاجتماعية ، من عادات وتقاليد ، ومجالس انس وطرب ، واخبار المغنين
والمغنيات وتراجمهم ، ووصف انواع الغناء وعرفه تعريفاً واضحاً ، كما عالج
المقام العراقي بجميع انواعه وفنونه ، وضبط قواعده في كتابه (الطرب عند
العرب) ولم يتخل عن البحث في مختلف الفنون الشعبية وتعريفها في حلقاته
العشرين (الاغاني والمغنيات في ملاهي بغداد من عام ١٩١٠ - ١٩٦٠ م) ولقد
قام بكشف كثير من الحياة الشعبية ببغداد منذ اكثر من قرن .

فالعلاف تحفة رائعة ، وكنز ثمين ، ضم مجموعة من الصور والمعلومات
التي يتعذر الوقوف عليها عن غير طريقه وأدائه ، كما تتعذر معرفة الدوافع
والاسباب التي أثرت في تطوير الغناء ، فلقد نظم مئات القصائد والمقاطع
لمجموعة كبيرة من القيان في الدور الاخير ، وأقام من شأن الغناء العراقي ما
جعله يحتل الصدارة بين الاغاني الشعبية في البلدان العربية والشرقية ، حيث
تهافت أصحاب الشركات لتسجيل المئات من الاسطوانات للاغنيات التي نظمها
مما جعل (المكتبة الصوتية) في دار الاذاعة العراقية تزخر اليوم بهذه الكنوز
الصوتية الاخذة المملوءة حيوية ورقة والتي يشتاقتها السمع في كل لحظة .
لقد اندفعت لنشر هذا الكتاب - في الوقت الذي تكدس لدي عدد

كبير من كتيبي وموسوعاتي - مساهمة مني بمواصلة احياء التراث العربي
والشعبي الذي أصبح مهماً في نظر الباحثين وعشاق التاريخ ، وقد جاء الكتاب
بنون مبهج لطيف أوضح جانباً من تاريخ بغداد المشرق في أدواره الثلاثة ،
وباسطاً ادباً ترفيهاً يلتذقارؤه بما يرى من تعريفات وتراجم لكل قينة شاركت
في الترفيه عن النفوس المتعبة والحزينة في ايامها .

والعلاف في أثره هذا اضاف الى مؤلفاته التاريخية والادبية أثراً قيماً
ثميناً في موضوعه ومحتواه .

علي الخاقاني

بغداد في العصر الذهبي

العصر العباسي الذهبي أزهى عصور المدينة الإسلامية العربية ، فقد نال من الرفعة مقاماً لم ينله عصر من العصور الماضية ، وكانت بغداد عروس الدنيا وبهجتها ، شيدت فيها القصور الفخمة ، والمباني الشاهقة ، بشكل هندسي رائع ، وغرست فيها البساتين الوارفة والحدائق اليبانة ، وامتألت بغداد بالساحات الواسعة ، منها اساحة الكبرى امام قصر الخليفة ، فيها تقام الاستعراضات للجيش ، وتعد فيها المباراة الرياضية ، والعباب الفروسية ، كالرماية وسباق الخيل والمصارعة ، ووضعت بطرقاتها المصايح المنيرة ليلاً وازدحمت بالمساجد الكبيرة تعلوها المآذن الشامخة ، وازدانت جدرانها بالزخارف البديعة ، وكتابة الآيات القرآنية ، وفرشت بالفراش الوثير ، وغصت بغداد بالمدارس والمعاهد العلمية العالية ، واقامت بها دور للشفاء وللعجزة ، وقد خصها المشرفون عليها بالعناية التامة ، كما انعم الله تعالى على هذه المدينة بنعمة المدينة الإسلامية ، فترى رغد عيشها ، ولذة طعامها ، وعذوبة مائها ، وطيب هوائها ، وكثرة مواردها ومصادرها ، بما من الله عليها من وفرة ذخائرها ، وقد امتألت قصورها باللؤلؤ المنظوم ، في نحور الجوارى والقيان ، والذهب الوهاج في مناطق الغلمان ، وترى مجالس أنسها تزخر بالألحان ، ومجامع لهوها مكتتزة بالأدباء والندماء والخلفاء ، وازدحام اشعراء على ابواب الخلفاء والأمراء ، وانطلاق سنتهم بوصف الخلافة وهيبتها في بغداد وعزتها ووصف قيانها ، وما جباها الله تعالى من جمال الخلقة وحسن التكوين ، وذكر المعازف والاعواد ، والكؤوس والدنان ، والوان الطعام والشراب ، واصناف الرياحين والاثمار ، وترى الرياض الخضراء ، والطيور المحلقة في الاجواء ، والبحيرات واسماكها ، ودجلة وشواطئها وبساتينها ، وباسقات نخيلها وبين هذا

وذاك ، ترى ادبا رفيعا وجبا عذريا رمجونا مستظرفا وحوارا مستملحا ولعبا
بريئا .

اما الخلفاء فقد كانت تتسامى بهم الرفعة والسؤدد ، ويحيط بهم العبدان
والانصاف والرعاية والمساواة . ولهم المقام الاسمى والكلمة العليا ، والسيادة
التامة على العالم الاسلامي ، شرقا وغربا يأتى الناس بأمرهم لا يرد لهم قول ،
ولا يعصى لهم امر ، وللخليفة السلطتين الدينية والمدنية وقد نالت الدرلة
العباسية من مظاهر الابهة مادعاها ان تتيه عجا وافتخارا ، وكان الخليفة المرجع
الوحيد في كل القضايا سياسية كنت او اجتماعية ، وهو مصدر الامر والنهي
في كل الامور .

وإذا خرج الخليفة الى الصيد والنزهة في ضواحي بغداد الجميلة تتقدمه
كوكبة من الفرسان المدججة بالسلاح في شكل يدع الهيبة في القلوب ويستلفت
الانظار .

وكان الرشيد والمأمون دائما يخرجان للصلاة يوم الجمعة بأعظم مظاهر
الخلافة يتقدم الموكب فرقة من المشاة تحمل الاعلام الخفاقة تتقدمهم فرقة
الموسيقى بلباس خاص بهم تصدح بالانعام الشجية ، ثم يظهر خلف الموسيقى
رجال أشداء متسكين أقواسهم ، مجردين سيوفهم ، ويأتي جماعة الوزراء
والامراء وارباب الدولة على خيول مطهمة ، ويقبل الخليفة يرتدى طيلسانا
أسود هو شعار الدولة العباسية منتظيا جوادا من خيرة الجياد العربية ، ويتبعه
رجال الدولة ومن خلفهم الجنود المنوطة بهم الحراسة . وكانت تتجلى فى
المقابلات الرسمية والاحتفالات والاعياد الرسمية والشعبية . واصبحت
الحالة الاجتماعية انذاك اجمل ما يتصوره الانسان ، حتى تجد المرأة المثقفة
تشارك مع الرجل فى كل المناسبات . واشتهرت كثيرات بالثقافة العلمية
والعقل الراجح وبمباراتهن للشعراء والادباء فى شتى المجالات . لهذا اكتضت
المختصات وازدهرت الندوات ، وظهرت المرأة بأحلى مظاهرها العلمية والادبية .
والحق ان الدولة العباسية دولة العلم والثقافة والارشاد والتدوين
والترجمة ، دولة النصر والفتوح ، لذلك نبع فى كل علم وفن رجال اشتهروا

بالمناظرات الدينية ، والابحاث العلمية ، والمساجلات الكلامية ، وقد كثرت في بغداد دور الكتب العلمية والادبية وغيرها ، ونشطت الصناعة وفي ضمنها صناعة الكتابة ، وانتشرت المؤلفات العلمية والادبية في جميع البلاد مما دعا الناس يتهافتون على شراء الكتب بارخص الاثمان . وظهر عدد كبير من علماء الدين والطب والتحليل والصيدلة والبيطرة وغيرها . وهكذا تم لخلقائها السيطرة على العالم شرقا وغربا .



صورة رمزية لمجلس في القيان في العصر العباسي

اصل القيان

وضع العرب المشغوفون بالغناء نسبا خفا فنسبوا الاغنية الاولى ليوبال بن قاين وكانت مرثاة لهايل ، ومن المعلوم ان اول من رثاه هو ابوه آدم عليه السلام ، وحدث المؤرخ ابن العبري السوري فقال :

ان اول من غنى على الآلات الغنائية هن بنات قاين ، لهذا اطلق اسم القينة على المغنية التي تعزف على احدى تلك الآلات ، وسميت القينة احيانا الكريئة وسميت ايضا الداجنة أو المدججة ، وقد مدح بشر بن عمرو القيان المتجاوبات .

والقينة هي الامة البيضاء ، مغنية كانت او غير مغنية ، هكذا خطه ابن السكيت . وتظهر القيان في القصة القديمة عن هلاك عاد كما يروى الطبري او المسعودي : ان عاد لما اشتد القحط بهم ارسلوا وفدا الى مكة ليستنصر الآلهة ، واستقبل الوفد في مكة امير العمالة معاوية بن بكر ، واحتفل بالوفد احتفالا لائقا وخاصة بغناء قينتيه المعروفتين بالجرادتين^(١) فيستدل من هذا انهما كانتا اول من غنى في الجاهلية بمكة .

وكذلك جرادتا عبدالله بن جدعان ، وقد وهبها لامية بن ابي الصلت الشاعر .

وفي كتاب (مجمع الامثال) للميداني ان الغناء شاع بعدهن مما يدل على ان غناء اولئك القيان كان باكورة غناء القيان لا الحرائر العربيات ، وانهن اول من جعل الغناء فنا مرتزقا لأن الارتزاق بالغناء لم يكن من شأن نساء العرب ، وانما كان صناعة موقوفة على القيان اللواتي كن يجلبن من اطراف البلاد كبلاد فارس والروم وغيرها ، فلا يكاد يخلو منهن بيت من بيوت الاشراف والاغنياء .

(١) راجع كتابي الطرب عند العرب الطبعة الثانية ص ٤

وكان احتراف الغناء محصورا بهن ، وكن يلقين أغانيهن تارة بلغات بلدانهن واخرى بالعربية ، وقد حذا حذوهن بعض القيان العربيات ، وحدث حسان بن ثابت الانصاري فقال :

رأيت عشر قيان ، خمس روميات يغنين بالرومية ، وخمس يغنين غناء اهل الحيرة . ووجدت قيانا منبثات في الحانات لتسلية الرواد وانهن جميعهن غير عربيات بل فارسيات واغريقيات من سوريا يغنين قصائدعربية بلغة أعجمية، وان المرء واثق ان العرب لايرغبون لاستماع الشعر العربي من فم غير عربي لأن الفارسي والاغريقي مهما مارس التكلم باللغة العربية ، ومهما تفرس بالغناء بها لا يستطيع ان يعطي قيمته الصوتية التي لاتنفصل عن الفن الشعري خاصة عند الغناء . وفي بداية صدر الاسلام ظهرت بعض القيان التي كانت تمنح من اكاسرة الفرس وقياصرة الروم ورؤساء القبط على سبيل الهدايا ومن بينهن (سيرين) مولاة حسان بن ثابت وهي احدى الجاريتين اللتين اهداهما المقوقس في العام التاسع الهجري الى النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد وهب عليه الصلاة والسلام واحدة الى شاعره حسان بن ثابت، والثانية التي تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم وجاء منها ولده ابراهيم .

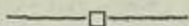
وعن سيرين مولاة حسان اخذت عزة الميلاء الغناء وهي الاستاذة الاولى لمدرسة الغناء العربي ،

ولما تمكن الامويون من الخلافة ورسخت اقدامهم فيها واتسع سبيلانهم آمن الناس في اللذائذ واقتنوا القيان واسرف فيهن بعضهم واشتهر منهم يزيد ابن عبدالملك صاحب القينة (حباة) .

ولا نريد ان نتوغل في الحديث عن قيان العهد الاموي وماهن عليه من الابهة والزينة والترف ، وانما رائدنا وهدفنا هو :

(قيان بغداد) في عهد الدولة العباسية وكيف كان الخلفاء يقضون أوقاتهم معهم ويذلون الاموال الطائلة بلا روية ولا إمعان لهن .

ازدهار خلافة العباسيين



لما استقرت الدولة العباسية في بغداد، ورسخ أساسها ، وأزدهر مجدها، وقوى سلطانها ، وتحول مجال الانس والطرب من دمشق عاصمة الامويين الى بغداد مركز خلافة العباسيين ، وكان اللهو واحياء الحفلات التي تزخر بالقيان محدودة في قصرى السفاح (١) والمنصور لانهما رجلا جد وعمل ، وكان من ندماء السفاح خالد بن صفوان . ومما نقل من اخباره الطريفة انه دخل على السفاح فوجده جالسا وحده ، فجلس ثم قال : يا امير المؤمنين انى فكرت في أمرك وسعة ملكك وقد ملكت نفسك امرأة واحدة فان مرضت مرضت أنت، وان غابت غبت انت ، وقد حرمت يا امير المؤمنين نفسك التلذذ بالجوارى الطريقات ، والتمتع بما تشتهي منهن . فان منهن الطويلة التي تشتهي لجسدها فهي الغيداء ، وان منهن البضة البيضاء ، التي تحب لروعتها ، والسمراء اللعساء ، والصفراء العجزاء ، الذهبية من مولدات المدينة والطائف واليمامة، ذوات اللسن العذبة ، والجواب الحاضر تفتتن بمحادثتها وتلتذد بخلوتها ، ومنهن المولدات البصريات والكوفيات ، ذوات القدود المهفهفة والاوزاض المخصرة والاصداغ المزرفنة ، والعيون المكحلة ، والثدي المحققة ، واين أنت يا امير المؤمنين من بنات الاحرار ، والنظر الى ماغندهن من حسن الحديث ، ومنهن لو رأيت حسن زيهن وزينتهن ، لرأيت شيئا حسنا وقد اخذخالد يتمطق بلسانه ويجيد وصف الجوارى ويطنب في محاسنهن بحلاوة لفظه ، فشوق السفاح اليهن ، ولما فرغ من كلامه قال له السفاح : ويحك ياخالد ما سلك مسامعي احسن من هذا فاعد عليّ كلامك، فلقد وقع مني موقعا ، فاعاد عليه خالد الكلام احسن مما ابتدأه ، ثم استأذن في الانصراف فانصرف وبقي السفاح

(١) هو عبدالله السفاح تولى الخلافة سنة ١٣٢ هـ - ٧٥٠ م

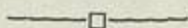
الى سنة ١٣٦ هـ - ٧٥٤ م

مفكرا فيما سمع منه مغموما فدخلت عليه امرأته ام سلمة بنت يعقوب بن سلمه
ابن عبدالله بن الوليد بن المغيرة المخزومي من ذرية عبدالله المخزومي اخي خالد
ابن الوليد .

فلما رأته مطرقا مهموما قالت له : اني استغرب حالك يا امير المؤمنين فهل
حدث ما تكرهه او أتاك خبر فارتعت له ؟ قال : لم يكن من ذلك شيء ، قالت :
فما قصتك ؟ فجعل ينزوي عنها ويتفادي الجواب ، فلم تزل تستخبره حتى
اخبرها بمقالة خالد بن صفوان قالت فما قلت لابن الفاعلة ؟ فقال السفاح :
ياسبحان الله ينصخني وتشتمينه فخرجت من عنده مغضبة ، وارسلت الى خالد
جماعة من الجند في أيديهم عصى غليظة وأمرتهم ان لا يتركوا منه عضوا صحيحا ،
وحكى خالد عن نفسه قال : انصرفت من مجلس الخليفة السفاح الى منزلي
وانا مسرور بما رأيت منه ، واعجابه بما ألقى اليه ، ولم اشك في انه سيبعث
الي بصلة ، فلم البث طويلا حتى رأيت جماعة من الجند وانا قاعد على باب
داري ، فلما رأيتهم قد اقبلوا نحوي أيقنت بالجائزة ثم وقفوا على فسألوا عني
فقلت ها انا ذا خالد بن صفوان فسبق الي واحد منهم واهوى علي بخشبة
فوئبت ودخلت منزلي واغلقت على نفسي الباب ومكثت اياما ثلاثة على تلك
الحالة لا اخرج من منزلي ، فوقع في نفسي ان أم سلمة هي التي سلطت هؤلاء
علي وطلبني الخليفة طلبا شديدا فلم أشعر الا بقوم هجموا علي وقالوا أجب
امير المؤمنين : فايقتن بالموت وقلت انا لله وانا اليه راجعون ، فلم اردم شيخ
أضيق من دمي ، فركبت الى دار الخليفة وليس علي لحم ودم من الخوف ،
ولقيته منفردا ورأيت في المجلس بيتا عليه ستور رقيقة وسمعت حركة عند
الستور ، وشعرت ان وراء الستور ام سلمة ومن تنقل اليها الحديث ، فقال
السفاح : لم ارك منذ ثلاثا ليال ؟ فقلت كنت عليليا يا امير المؤمنين فقال
ويحك يا خالد انك وصفت لي في آخر دخله من أمر النساء والجواري ما لم
يسلك مسامعي احسن منه ، فاعده علي قلت يا امير المؤمنين اعلمت ان
العرب اشتقت اسم الضرة من الضرر وان أحدا ما تزوج من النساء أكثر من
واحدة الا ضر وتنغص ، فقال ويحك لم يكن هذا من الحديث ، قلت يا امير

المؤمنين واخبرتك ان الثلاث من النساء كآثا في القدر يغلى عليهن ، فقسال
السفاح برئت من قرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان كنت سمعت
هذا منك في حديثك ، فقلت وأخبرتك ان الاربع من النساء شر مجسوع
لصاحبهن يشيبنه ، ويهنه ويسقمه ، قال والله ما سمعت هذا الكلام منك
ولا من غيرك قبل هذا ، قلت : بلى والله فقال : السفاح ويحك تكذبني ،
قلت وتريد ان تقتلني يا امير المؤمنين ، قال استمر في حديثك . قلت :
واخبرتك ان أبكار الجوارى كالرجال . قال خالد فسمعت الضحك من
وراء الستر قلت نعم : واخبرتك ان بني مخزوم رياحين قريش ، وانت عندك
ريحانة من الرياحين وانت تطمع بعينك الى حرائر النساء وغيرهن من الاماء ،
فسمعت من وراء الستر صوت قائلة تقول : صدقت والله يا عماء وبررت
بهذا حديث امير المؤمنين ، ولكنه بدل وغير ونطق عن لسانك
فقال السفاح مالك قاتلك الله واخزأك ، فتركته وخرجت متسللا وقد ايقنت
بالحياة وما شعرت الا برسل ام سلمة قد صاروا الي ومعهم عشرة الاف
درهم وتخت ثياب وبرذون .

القيان في بغداد



لبست بغداد في خلافة هارون الرشيد ثوبا جديدا وبدأت كالعروس لناظريها ، وانتشر اللهو وطفحت كؤوس الشراب ، وظهرت القيان بمظهر يفوق حده ، حتى أصبحت معرضا فخما للقيان الحسان ، وذاديا فسيحا للشعراء والندماء ، وكان جعفر بن يحيى البرمكي كثير الشغف بالقيان ، وقد اعطى اللذات قياده ، وجعل موسم القصف واللهو اعياده ، وكثر ذلك منه ، واشتهر عنه ، وتدفقت القيان والجوارى من كل جانب ومكان ، حتى غدت بغداد تموج بهن ، وهذا وصف كل صنف منهن كما رواه ابن بطلان في رسالته قال :

١ - (المكيات)

خثات عرفن بدقة المعصم والمفصل والعيون الناعسة ، واشتهرن بلون البياض المشرب بسمرة وشعورهن مجمدة :

٢ - (المدييات)

سمر الالوان ، معتدلات القوام ، اجتمعت فيهن حلاوة القول ونعومة الجسم ، وملاحة الدل وحسن الشكل ، والورع الدينى ،

٣ - (الطانفيات)

سمر مذهبات مجدولات ، ينفردن بدقة الخصور وحلاوة الثغور ، وطول الشعر وحسن القوام .

٤ - (المصريات)

ذوات شرف رفيع ، ولطف وقصف ، وسيل الى الفكاهة والمجون ، والنبوغ في الغناء .

٥ - (الحبشيات)

الغالب عليهن نعومة الاجسام واينها وضعفها ، لا يصلحن للغناء
ولا الرقص ، رقاق لا يوافقهن غير البلاد التي نشأن فيها .

٦ - (السودانيات)

عرفن بالخصر النحيل ، والشعر الطويل والكفل الرجراج ، والصوت
الرقيق .

٧ - (الشاميات)

اجتمع فيهن معاني الحسن ، وبياض البشرة ، وعيونهن ذات حلاوة ،
وقل ماتوجد فيهن السمراء الفاتنة .

٨ - (التركيات)

عرفن بالبشرة البيضاء ، والعيون الصغيرة الجذابة ، وهن على حظ
عظيم من النسك مع رقة الانوثة ، وجمال الوجه والعفة والحياء ، وهن
كنوز الاولاد ومعادن النسل .

٩ - (الفارسيات)

لهن فضيلة على كل النساء ، فأن الشيب منهن تعود كالبكر .

١٠ - (الروميات)

بيض شقر ، سباط الشعور ، زرق العيون ، وقامتتهن هيفاء ، ذوات
أدب وعبيد طاعة ، وموافقة وخدمة ووفاء وامانة .

١١ - (الهنديات)

عرفن بحسن القوام ، وسمره اللون ، ذوات جمال فتان مع صفرة
وصفاء بشرة وطيب نكهة ، ولكن الشيخوخة تسرع اليهن .

١٢ - (السنديات)

يتفردن بدقة الخصور ، وطول الشعور ، وحسن الثنى والتغنج
المعتاد .

١٣ - (البربريات) :

مطبوعات على الطاعة ، والغالب منهن سود وصفر ، ويصلحن للتوليد
مع جودة الجنس .

١٤ - (الارمنيات)

مليحات الوانهن بيض محمرة ، ولحومهن مكتنزة نشيطات للخدمة .



صورة رمزية لأحدى القيان في العصر العباسي

محاسن المرأة

أكثر الناس في العهد الجاهلي والاسلامي مالوا الى اختيار البياض
في المرأة .

فقد ذكر في كتاب (النساء) ان البياض يمازجه لونان يزيدانه حسنا
وجمالا الحمرة والصفرة .

اما الحمرة فتعترى البياض من رقة اللون وصحة الدم ، وكانت اللواتي
من هذا الضرب يدعين بالحسان الحمرة لان اللون الابيض الشفاف يظهره
الدم فيزيده حسنا وجمالا ،

وقالوا بأن الحسن احمر وفيه قال بشار بن برد لاحدى محبوباته :
وإذا خرجت تقنعي بالحسن ان الحسن أحمر

واما الصفرة فتعترى النساء البيض ، لاستتارهن وملازمتهن الدار ،
وكثرة التعم والبذخ والتضخم بالطيب ، ومن هذا شبهوا المرأة بالبيضة فقالوا
بيضة مكنونة وبيضة خدر . وذهب بعضهم الى ان المرأة تكون بيضاء في
الصباح ، وصفراء عند العشية لان المرأة الرقيقة البشرة ، الصافية اللون
تتلون بلون الهواء عند المساء ، ويصفر لونها باصفرار الشمس ، ويزهو عند
شروقها ، وهذا البياض المشرب بالصفرة شبهوه بالفضة مسها الذهب وفيه
قال ذوالرمة .

بيضاء في دمع صفراء في غنج كأنها فضة قد مسها ذهب

وقد شبهوا هذه الصفرة التي تعترى النساء بصفرة العاج وحب الآس
وقالوا امرأة حلاسية اللون ،

والى جانب من احب البياض في المرأة كثيرون ممن احبوا السمراوات
وتغزلوا بهن ، وهذه امرأة تقول لرجل يريد ان يتزوج خذها رمكاء جسيمة،
او بياض وسيمة ، والرمكاء هي السمراء .

وأوصى غيلان بن سلمه بنيه وقال لهم : عليكم بكل رمكاء ركيئة
وبيضاء رزينة .

وقد وجد في السمرة معاني لا توجد فى البياض ، وبعض السمراوات
يجذبين القلب اسرع مما يجذبنه البيض .

اما السواد فلم يكن لونا مستحبا وان كنا نجد بعضهم وقد أشاد ببعض
النساء السود فقال :

اشبهك المسك واشبهته قائمة من لونه قاعده
لاشك اذ لونكما واحد انكما من طينة واحده

وقال بشار بن برد في جارية له وقد كانت سوداء :

وغادة سوداء براقية كالماء في طيب وفي لين
كانها صيغت لمن نالها من عنبر بالمسك معجون
وهذا ابو حازم المدنى يقول :

ومن بك معجبا بينات كسرى فأنسى معجب بينات حام
وقال آخر وقد غالى كثيرا حين قال :

أحب لجهها السودان حتى أحب لجهها سود الكلاب

وقال ابراهيم بن سبابة في جارية سوداء :

يكون الخال فى وجه قبيح فيكسوه الملاحه والجمالا
فكيف يلام معشوق على من يراها كلها فى العين خالا

وقد وصفهن العباس بن الاحنف، والشريف الرضي ، وابن الرومي،
وغيرهم ، وقالوا في تفضيل لونهن انه أشبه بلون الشباب أي سواد الشعر ،
والمسك لطيب نكهته .

وقد شبهوا بشرة المرأة بالحرير لنعومته ، ويوءثر فيها كل شيء ، ومثال
ذلك ماروي : ان سابور بن ازدشير تزوج امرأة عربية اشتهرت بحسنها
وجمالها وخاصة بلين جسمها وقد أعرس بها على فراش من خز الصين ، محشو
بالقز الناعم ، ما نامت الملوكة على الين منه ، ولم تزل تلك الليلة تتقلب على
فراشها لاتمام ،

فلما التمسوا على ما كان يقلقها وجدوا ورقة آس كانت على الفراش
لصقت على جسمها فأثرت فيه للين بشرتها ! ،

وما اظن هذه المبالغة الا اسطورة من اساطير الشعراء فلقد قال بعضهم:
خطرات النسيم تجرح خديه ولس الحرير يدمى بنانه

اوصاف القيان

~~~~~

اشتهر في العصر العباسي القيان الخماسيات والسداسيات ، اللواتي طولهن خمسة اشبار أو ستة اشبار • ولكننا لاندرى بالضبط ماهو طول الشبر عندهم ؟ والشبر المعروف هو ما بين طريقي الخنصر والابهام بالتفريج المعتاد •

والقينة المفضلة هي الطويلة ، وقد قيل لايفوتنكم الطول والبياض فهما عنوان الجمال •

### ١ - ( الطول )

شبه الشعراء القد المشوق بقضيب البان والخيزران ، وبالرمح ، والقينة المجدولة املاً لعين وآخذ للقلب •

وفي العصر العباسي كثيرون مالوا الى القيان المعتدلات فلا طول ولا قصر ، وفيه وصف ابو تمام امرأة في حساسته فقال :

محملة باللحم من دون تربها تطول قصارا والطوال تطولها

اي انها ممثلة باللحم معتدلة القوام •

وشبه البهاء زهير اعتدال قد المرأة باعتدال موسم الربيع فقال :

حكمت فصل الربيع بحسن قد تساوى الليل فيه والنهار

واما القصر فكان عيبا كبيرا ، وقالوا شر القيان من حيث الجمال

القصيرات القامة •

### ٢ - ( الشعر )

اهتم الناس به واحبوه في القينة ، وكانوا يرغبون في الشعر الكثيف

الناعم ، الذي يتدلى الى ماتحت ردف القينة غدائر وضافائر • ولهذا اهتمت

القيان بتصفيف الشعر على اشكال مختلفة ،

اما حرائر العباسيين فقد بقين يرسلن شعورهن بشكل ضفائر وذوائب

وراء ظهورهن ويجعلنها تتدلى على اكتافهن ، وفي مقدمتهن العباسة اخت

الرشيد ، ويطين شعورهن بالمسك والعنبر لتزكوا رائحته • وكذلك القيان

كن يضمخن شعورهن بالطيب ، وكانت عريب جارية الخليفة المأمون تغلف شعرها بستين مثقالا من المسك والعنبر وتغسله كل يوم جمعة .  
 وكانت الجوارى يأخذن غسالة رأسها ويجعلنها في القوارير لتنطيين بها ، وعندما احب الناس العلمان في العصر الذهبي قصت القيان شعورهن تشبها بالعدان وتعدهن ذلك الى الحرائر في قصور الخلفاء والامراء والقواد ، وقد امر الخليفة المتوكل زوجته ربيعة بنت العباس بن علي وهى تريشية ان تقص شعرها اقتداءا بمن قصت شعرها من الحرائر فأبت عليه ذلك فهددها بالطلاق ان لم تفعل فاخترت الفرقة على اتباع هذه الاساليب (١) وكانوا يحبون الشعر الاسود الفاحم الذى يظهر بياض الوجه الايض .  
 اما الشعر الجعد فكان غير مرغوب فيه ، والشعر الفاحم والغدائر والصفائر والذوائب ورد ذكرها عند كثير من الشعراء كالمثبي وابن الرومى وغيرهما ،

### ٣ - ( الجبهة والجبين )

الجبهة مكان السجود والجبينان مكتنفان لها من كل جانب جبين وقد يوجد اناس لا يفرقون بين الجبهة والجبين ، وكانوا يحبون ان تكون الجبهة مسترسلة رقيقة البشرة ، لاغضون فيها فالغضون عيب كبير فيها ، ويجب ان تكون متسعة من غير افراط والا صارت عيبا مشينا .  
 وكانت علية بنت المهدي اخت الرشيد ذات جبهة متسعة اتساعا مفرطاً فاخترت العصابة المكحلة بالجواهر والدرر تضعها على جبينها لتخفى عيبها فزادتها العصابة حسنا وجمالا .  
 ووصف الجبين بانه صلت أي واضح اغر . واحبوا زينة الجباه بالطرر والكحلة من الشعر تترك تائهة على الجبين ،  
 وفي مقامات الحريري ( لا والذي زين الجباه بالطرر ، والعيون بالخور ) وكذلك السوالف وهى خصلة من الشعر ترسلها القينة بين عينيها واذنيها تجعل الصدغ معقربا .

(١) المحاسن والاضداد ص ٢ ١٨

#### ٤ - ( الحواجب )

ينبغي ان يكون الحاجبان أزجين دقيقين يمتدان الى موءخر العينين مستقيمين كأنهما خطا بقلم ، واذا غلظ شعرهما وكثف فهو عيب واضح وقد يجعلان متقوسين على العينين كالنون ، وفي الحاجبين قال مسلم بن الوليد الملقب ( بصريع الغواني ) :

نبارز أبطال الوغى ونبيدهم ويقتلنا في السلم لحظ الكواعب  
وليست سهام الحب تفني نفوسنا ولكن سهام فوقت بالحواجب  
وما احسن قول الشاعر حيث يقول :

حواجبنا تقضى الحوائج بيننا ونحن سكوت والهوى يتكلم  
وينبغي ان يحتفظا بدقتهما وعدم كثافة الشعر فيهما ،  
واما ما بين الحاجبين فلا بد ان يكون تقيا من الشعر وهى البلج ، ومن  
العيب في جمال القينة ان يتصلاحا جياها . واتصال الحاجبين يسمى القرن .  
وكانت القيان يخضبن حواجبهن بالاسود والاحمر حسب لون بشرتهن ،

#### ٥ - ( العيون )

اتخذت العيون في جمال القيان مكانا ذا شان ، ومنسوب اليها السحر  
والقتل لروعة جمالها وفنونها فهي التي تأسر ، وهى القلب النابض للحب ،  
وهي التي تفعل في القلب فعل الخمر ويجب ان تكون في العيون اربعة اشياء  
١ - ان تكون كحلاء اي سوداء الحدقة من غير كحل والنساء اتخذن  
الكحل لتكون عيونهن سوداء .

٢ - ان تكون حوراء أي شديدة السواد والبياض ، كعيون البقر  
والظباء ، والهور في القينة من اعظم آيات جمالها وفتنتها ، وفي  
العيون قتال جريتر :

ان العيون التي في طرفها حور قتلنا ثم لم يحيين قتلانا  
يصرعن ذاللب حتى لاحراك به وهن اضعف خلق الله انسانا  
٣ - أن تكون واسعة وهي النجلاء وغيثاء ، واما صغر العينين فهو  
عيب كبير .

٤ - ان تكون أهدابها طويلة فهي وطفاء لأن الوطف يزيد العيون روعة  
وجملاً ، والى جانب ذلك يجب ان تكون العين فاترة ذابلة ، ومن هنا جاء  
وصف العين بالمرض والسقم فقالوا : عين مرضى ونظرات سقيمة وقال الشاعر:  
مرضت سلوتي وصح غرامي      بلحظ هي المراض الصحاح  
وكذلك وصفت العيون بالرجس لفتورة ذبولها وفيها قال ابن المعتز :  
وسنان قد طرق النعاس جفونه      فحكى بمقتله عيون النرجس  
وقال ابن المعدل :

ونرجسة مثل عين الفتاة      الى وجه عاشقها رانية  
والى جانب سواد العين نجد منها الشهل ، وهو ان يكون سوادها  
مائلاً لحمرة ، وبياضها غير ناصع .  
اما خضرة العيون وزرقتها فهي لا تكون الا عند الشقراوات على  
الأغلب ، والظاهر ان العيون الزرق ليست من خصائص الجمال العربي الفتان ،  
بل هي من الجمال الدخيل او المطعم .  
وتفنن الشعراء في وصف أثر العيون في القلوب . فقالوا : ساحرات  
النظرات ، ترسل السهام الى القلوب . ومن السهام يكون الحب وفيها قال  
ابن نباته :

عيون من السحر المبين تبين      لها عند تحريك الجفون سكون  
اذا صادفت قلبا خلياً من الهوى      تقول له كن مغرماً فيكون

وقال ابو الأسود الدؤلى في جارية حولاء اعجبته فاشتراها :  
يعيبونها عندي ولا عيب عندها      سوى ان فى العينين بعض التأخر  
فانيك فى العينين سوء فأنها      مهفهفة الأعلى رداح المؤخر  
وقد عدوا فى عيوب العيون الحول ولو كان قليلاً ، والجوص وهو  
ضيقها ، وكذلك غلظ الجفون .  
ولهم اقوال كثيرة فى الطرف الضاحك والعيون الضاحكة وفيها قيل  
( الا ان حسن الطرف ما كان ضاحكاً ) .



٦ - ( الأنف )

واجمل انوف القيان ما كان به شمم واستواء في قسبة الأنف مع ارتفاع سير في الأرنبة أي في طرفه ، وهذا هو الأنف الاشم ، وقد شبه بحد السيف واحبوا الأنف الذلف وهو القصير وأرنبته قصيرة مع استواء القسبة والمرأة ذلفاء وقد سميت بهذا الاسم جارية مشهورة من قيان الأمراء الامويين وهي التي قيل فيها :

انما الذلفاء ياقوته      اخرجت من كيس دهقان

وقد عيب الأنف الأقنى وهو الحدودب النازلة ارنبته . وعابوا الانف الضخم ، فالرجال يخفونه بالثام ، والنساء بالخمار ، ويحبون رائحة الأنف والنفس الطيبة ، ويزيلون روائح الانف بالسعوط بدهن البنفسج والتيلوفر وغيرهما من الطيب .

٧ - ( الخدود )

الخد المستحب من القيان هو الخد الأسيل الطويل غير المنتفخ ، والوجنة من الخد ما ارتفع منها ، ولون الخد المفضل هو الأزهر والأحمر ولهذا شبت حمرة الخد بشقائق النعمان وبالارجوان وبالتفاح والورد والخمر والدم لحرمتها ، وقد اكثر الشعراء في هذه التشبيهات ، وعكس خالد بن يزيد الكاتب هذا التشبيه فجعل الورد كالخدود فقال :

عشية حياني بورد كآته      خدود اضيفت بعضهم الى بعض

ومن الأفضل ان تكون صفحة الخد صافية نقية ناعمة ، ومن العيب الواضح ان يكون الشعر الى جوانبها ، وان يكون فيها كلف او نمش ، ولكن بعض الشعراء عارض ذلك وقال حينما سطا داء الجدرى على وجه حبيته فجعله أثر من آثار الجمال فقال :

ايها العائبون وجها مليحا      نثر الحسن فيه نبذ خدوش

اي افق زها بغير نجوم      وثياب زهبت بغير نقوش

والجمال والرقعة في الخدود هما التي عناهما مسلم بن الوليد الملقب  
بصريع الغواني فقال :

ان ورد الخدود في الأعين النجل  
حيرتني بين الغواني صريعاً  
وما في الثغور من اقحوان  
ولهذا ادعى صريع الغواني  
وقال ابن مطروح :

حرة الخد جمة القلب فيها  
نسبة بين خده وفؤادي  
علما تنظفي بخمرة فيه  
ولاين نباتة فيها :

يا مليحاً خداه قبة حسن  
لك فرع وقامة ان يكونا  
سجدت نحوها وجوه الملاح  
راية فهي راية الأفراح  
وقد أحسن الشيخ امين الجندي حين قال متضمنا :

بدا عرق في خده فسأته  
الم تر أن الورد خدى إناؤه  
بماذا تندى قال اي وهو يمسح  
وكلّ اناه بلذي فيه ينضح

#### ٧ - ( الثغور والاسنان )

الثغور يجب ان تكون فلجاً ، وان يكون بين الثنايا تفريق ، فاذا وجد  
تفريق بين الأسنان ، فالثغر شتيت ، وشبه عترة العبي فاحسن التشبيه حين  
قال :

واقعد ذكرك والرماح نواهل  
فوددت تقبيل السيوف لأنها  
منى ويض الهند تقطر من دمي  
لمعت كبارق ثغرك المتبسّم  
والثغر ينبغي ان يكون كاخاتم من رفته وصغره ، ولا بد ان يكون  
طيب النكهة بارد الريق لذيد الطعم .  
وشبه الريق بالخمير والعسل المصفى وماء الندى ، ويجب ان يضاف  
الى ذلك حلاوة الأبتسام الذي يفتر عن الثغر ، اما الأسنان فقد شبيهاً  
بترصيفها وبياضها وتلالها باللؤلؤ والدر والبرد ، وهو شيء ينزل مسين  
السحاب يشبه العصى ، ويسمى حب الحمام ، وحب المزن ، وزهر السحيرات

الاقحوان ، يعالجونها بأدواء خاصة ، وتنبهت المرأة الى السواك المأخوذ من  
عود الأراك واستخدمته في تنظيف اسنانها واخراج ما علق بينها من بقايا  
الطعام ، ومن جراء ذلك ان فتن الشعراء بشجر الأراك الذي تأخذ منه  
الحبيبة سواكها فتمنوا ان يكونون واحدة منها للثم الشفاء التي تتقدم  
الأسنان ، وصاغوا الشعر فيها كقول بعضهم :

نقل الأراك بأن ريقة ثغره من قهوة مزجت بماء الكوثر  
وقول آخر :

اقول لمسواك الحبيب لك الهنا بلثم فم ما ناه ثغر عاشق  
واحسن من هذا قول رجل من الأعراب حينما رأى زوجته وفي يدها  
مسواك ، فقال لها ما هذا ؟ فقالت له : عود الأراك يطيب الفم ، ويجلى  
الاسنان ، فاخذه منها واخذ ينظره فقال :

هنيئت يا عود الأراك بثغرها ما خفت منى يا أراك أراكا  
لو كان غيرك يا سواك كسرته ما فاز فيها يا سواك سواكا

#### ٨ - ( الجيد )

الجيد هو العنق ويستحب ان يكون في القينة منتصباً مشرفاً ، فيه طول  
مقبول وبه تكون القينة جيداء . وقد شبه العنق بجيد الريم لأنه طويل  
لاكل الطول ، وشبه أيضاً بأبريق الفضة وبرخام المرمر واملود من الرخام ،  
ومن العيب البيّن ان تكون القينة قصيرة العنق ، ويكون عنقها غليظاً او  
طويلاً مفرطاً ويحسن ان تحي القيان أعناقهن بالقلائد ، وموضع القلادة في  
الجيد يسمى النحر ، وينبغي ان يكون النحر ممثلاً باللحم فلا تبدو منه  
العروق والأعصاب ، وشبهت الحلي على النحر بنجوم الفجر الساطع . ويعطر  
النحر الى ما وراء الأذن بالطيب المعتاد الذي تنطيب به .

#### ٩ - ( الصدر والشدى )

من المستحسن ان يكون صدر القينة عريضاً فإنه اجمل لها وأحلى ، وان  
تكون جنبات الصدر وهي الترائب مكسوة باللحم فلا تبدو العظام ،

والترائب موضع القلادة في الصدر • وقد شبه صدر القينة الحسناء بصدر التمثال ، او بقطعة من المرمر لصفائه ونعومته والقيان يعطرّان الترائب والصدور بالطيب وازعفران وفي هذا الصدر العريض ينهد الثديان • وقد أحب الناس الثدي العظيم الصلب ومالوا الى اعتداله وبروزه وصلابته على ان لا ينكسر او ينثني ، نافر الحلمة مستشرفاً دائماً وقيل فيه :

يملاً الكف لا يفضله      واذا اثنيته لا ينثني

وشبه الثدي بالرمانة لأستدارتها وصلابتها ، وبحق عاج لأبيضاضه ، وشبهت الحلمة بنقطة من العنبر ، وفيها قال الشاعر :

من العاج حقان قد ركبا      على صحن صدر من المرمر  
خشين السقوط فاثبتتها      بمثل المسامير من عنبر

وكما وصفه بشار بن برد بقوله :

والثدي تحسبه وساناو كسلاً      وقد تمايل ميلاً غير منكسر

وثدي القينة من أهم عناصر جمالها لأنه الهدف الأسمى للمحب •

#### ١٠ - ( الخصر )

سر جمال القينة يكمن في خصرها اذلك لهج الشعراء بخصور النساء وذكروها في اشعارهم كقول بعضهم :

ظباء كاليغافير      كنسوس في المقاصير  
وادبـرن بأعجاز      كأوساط الزنابير

فالخصر احسنه النحيل الدقيق ، يكاد لرقته ان ينقطع • وشبه الخصر النحيل بالسوار الذي تلبسه القينة لدقته • ونسب الى السقم والمرض وخافوا عليه ان ينقطع اثقل الأرداف التي يحملها الخصر فالنهود الصلبة المستشرفة تجذبه الى الأعلى والأرداف المستديرة الثقيلة تجذبه الى الأسفل وهو بينهما حائر قلق •

في العصر العباسي كان الناس صنفان ، صنف يميل الى البطن السمين  
ذي العكن ، والعكن هي طيات اللحم التي تسببها السمنة ، وفيها قال  
بشار يصف قينة الخليفة المهدي :

سترت لما رأنتى                      دونه بالراحتين  
فضلت منه فضول                      تحت مالي العكنتين

وشبهت هذه الطيات بالأقمشة الحريرية ، وبالأمواج المترقرة ، أما  
الصنف الآخر فانه رغب في البطن اضامر الأقب ، أي قليل الأرتفاع فلا عكن  
فيه ولا طيات ، واحبوا ان تكون سررة القينة واسعة غير ضيقة فهي اجمل  
وادعى الى الحب . ووصفت بدهن العاج اشارة الى اتساعها وبياضها ،  
وفضل اناس آخرون السررة العميقة الواسعة من داخلها وكتلتها من الجمال  
الرائع الذي يجلب النظر .

من صفات القينة الجميلة بروز ردفها وضخامة عجيزتها ، وهذا البروز  
يكون متناسبا مع الجسم كله .

ومما ذكر ان القينة ( عزة الميلاء ) من ابرز قيان العهد الأموي اذا  
استلقت على قفاها ورمى تحتها بالأتربة تنفذ الى الناحية الاخرى لعظم  
ردفيها ! وقيل انها كانت تصب الماء على جسمها وهي قاعدة فلا يصيب ظاهر  
فخذيها قطرة منه لعظم عجيزتها ، ولم يختلفوا في ذلك حتى النساء الضامرات  
المجدولات ، أحبوا فيهن الردف البارز حتى يكون التباين واضحا بين  
اردافهن وخصورهن ، وواضحوا ان يكون الردف ليناً ناعماً . وشبههوه  
بالكثب لارتفاعه ولينه ، وكذلك بالدعص والغراتين ، واحبوا ان يكون  
لون الاليتين أزهر مائلاً الى الحمرة ، فهو اجمل وولعوا بالارداف سواء  
كانت في القيان أو الغلمان أشد الولع ، واكثر الشعراء في وصفها ولينها  
واستدارتها وبروزها .

أحب الناس ان يكون ذراع القينة مكسواً باللحم ويتبعه المعصم لا يبين فيه العظم ، أما الكف فيجب ان تكون بضة لطيفة ذات انامل دقاق ، كأنها اقلام ياقوت ، بيضاء حمر الرؤوس شديدة النعومة والعضوضة ، وشبهت الاذمل بالعلم وهو شجر لين الاغصان احمر الثمر ، يشبه به البنان المخضوبة . وكذلك شبهت الأنامل بالعاج واللؤلؤ وانغضة لبياضها .

وقد عنوا بجعل رؤوس الأنامل حمراً اغلب الأحيان ، كما أحبوا خضاب الاكف ، وكان لكف القينة أثر في اجتذاب قلوب عشاقها ، فقد كانت تفتنهم اذا أظهرتها واخفت بها وجهها ، أو اشارت بها للوداع ، أو حملت بها كأس خمر للشاربين .

وأما الساق فلا بد ان تكون ريتاً مسرواة ، وهي الساق الخدلة التي اذا وضع الخلخال فيها اطبق عيها لأمتلائها فلم يتحرك ولا يسمع له صوت ، وعابوا الساق الدقيقة غير الممتلئة وهي الجشمة ، واشمازوا من الشعر في الساق ، فجسم القينة يجب ان يكون بضاً ناعماً كالحرير الأملس .

## ما يحمد في القيان

لما كان جمال القينة وحسن تناسب اعضائها هو الداعي الى حسب الرجل عند النظر اليها ، فقد اجمع اهل المعرفة أن الذي يحمد في جسم القينة هو من السواد اربعة اشياء ، الشعر والحاجبان وحادقة العين والأهداب.

- ومن البياض اربعة : لون جسمها وبياض عينيها واسنانها وفرقها .
- ومن الحمرة اربعة : حمرة اللسان والوجنات والشفقتين والأليتين .
- ومن الغلظ اربعة : العضدان والساقان والركبتان والذوائب .
- ومن الدقة اربعة : العظام والأنف والخصر وأطراف الأتامل .
- ومن الطول اربعة : الشعر والعنق والقامة والحاجب .
- ومن السعة اربعة : الجبهة والعينان والصدر والسرة .
- ومن الصلابة اربعة : الثديان والأليتان والزندان وعضلة الساق .
- ومن الحلاوة اربعة : الوجه والريق والعينان والنغمة .
- ومن اللين اربعة : اللحظ والنفس والكلام والبشرة .
- ومن الملاحاة اربعة : الضحك والصوت والنوم والمشية .
- ومن الكبر اربعة : الكتفان والركبتان والفضدان والردفان .
- ومن الأشياء البارزة اربعة : الكاهل والثدى والأنف والاذن .
- ومن الاشياء الشهية اربعة : الملامسة والمعاتقة والمحادثة والمعاتبة .

## القيان أمهات الأولاد

سبق ان نوهنا أن القينة هي الجارية المغنية بيضاء كانت أو غير بيضاء . وكان لأثرياء قريش في العهد الجاهلي بعض القيان يقمن أحيانا للترفيه عن اسيادهن ، وبعضهن ينصرفن الى الأعمال المنزلية تبعاً الى ما تقوم به الجواري من الاشغال . وكان العربي عهد ذلك ينظر الى المرأة كما ينظر الى متاع آخر من ريش أو مال أو ما أشبه ، وكان الغزو عند العرب شيئاً معتاداً آنذاك ، فاذا غزوا أعداءهم أو مجاوريهم وتغلبوا عليهم ساقوا أنعامهم واستباحوا نساءهم ، وراحوا يتصرفون بها كتصرفهم بأموالهم .

ولما ظهر الإسلام وسطع نوره وانقشع ظلام الجهل ، احجموا عن ذلك وقامت الفتوحات التي رافقت الإسلام بمقام الغزوات ، فاذا كتب الله لهم النصر على اعدائهم في ساحات القتال ، ودخلوا بلادهم فاتحين اعتبروا البلاد التي فتحوها والاموال التي غنموها ، ملكاً لهم وادخلوها في بيت المال ، ليوزعونها على المجاهدين . فكثير منهم كانوا يتزوجون من النساء اللاتي يقعن في الغنائم باعتبارها مما ملكت أيماهن ، وليس كزوجات ، لذلك سمين امهات أولاد للتمييز بينهن وبين الزوجات الحرائر الشرعيات ، كما كان كثيرون يستولدون الجواري اللاتي يكن في ملكهم من غير غنائم الفتوحات على هذا الاساس ، وكان الآدباء انفسهم يفضلون اولادهم من الحرائر على اللذين انجبتهم الجواري ، كما حدث عندما استبق أبناء عبد الملك بن مروان في حلبة الجياد فسبقوا سلمة بن عبد الملك ، وكان ابن امة فتمثل عبد الملك بقول عمرو العبدى القائل :

نهتيكموا ان تحموا فوق خيلكم هجيناً لكم يوم الرهان فيدرك  
فتعثر كفاه ويسقط سوطه وتخدر ساقاه فما يتحرك



وهل يستوى المرءان هذا ابن حرة  
فقال له مسلمة غفر الله لك يا أمير المؤمنين ليس هذا مثلي ، ولكن كما قال ابن  
المعمر :

فما انكحونا طائعين بناتهم  
فما زاد ما فيها النساء مذلة  
ولكن خطبناهم بأرماحنا قسرا  
ولا كلفت خبزاً ولا طبخت قدرا  
وكم قد ترى فينا من ابن سيبة  
إذا لقي الأبطال يطعنهم شزرا  
فيأخذ ريان الطعان بكفه  
فيوردها بيضا ويصدرها حمرا

فقبل عبد الملك رأسه وعينه ، وقل له : احسنت يا بني ، ذلك والله انت  
وأمر له بمائة الف درهم مثلما اخذ السابق (١) .

وفي عهد العباسيين أخذ نفوذ القيان يقوى ويزداد حتى اصبحت كلمتهن  
نافذة لا مرّد لها ، ولكن الخلفاء العباسيين تداركوا الأمر فشلوا حركتهن  
واضعفوا شأنهن واخذوا يفحصون اللواتي يدخلن في قصورهم ، فاذا  
وجدوهن ذوات أسر ولهن اهل ، امتنعوا عن شرائهن والبناء بهن ، وكان  
الخليفة المنصور اكثر العباسيين تشدداً في ذلك ، لذا كانت القيان يعمدن الى  
كتمان حقيقتهم حينما يدخلن في حوزة الخلفاء فاذا ولدن واصبحن امهات  
اولاد يكشفن عن سر نسبهن كما فعلت الجارية الخيزران ، لما اشتريت  
وعرضت على ابي جعفر المنصور (٢) فقال لها من اين انت ؟ قالت من مولدات  
مكة ومنشئ بجرش ، وجرش صقع من اصقاع اليمن . فقال افلك احد ؟  
قالت : مالي الا الله وما ولدت امي غيري ، فقال المنصور لأحد غلماناه : اذهب  
بها الى المهدي ، وقل له : انها تصلح للولد . واتى بها الى المهدي ولما عرضت  
عليه ، قال لها يا جارية : انك لعلى غاية التمنى ، ولكنك جشمة الساقين ، أي  
دقيقتهما ، فاجابته بجواب دل على ذكائها وفطنتها فحظيت عنده ، وولدت  
له موسى الهادي ، وهارون الرشيد ، وصارت ام خليفتين ، ولما تمكنت

(١) المستطرف ج ٢ ص ٧٥

(٢) هو ابر جعفر عبدالله المنصور تولى الخلافة في سنة

١٣٦ هـ - ٧٤٥ م

عند المهدي أبحاث له بما تضمنه عن حقيقتها ، وقالت له : ان لى اهل بجرش فقال المهدي : ومن لك من الاهل ؟ قالت لى اختان اسم احدهما أسماء ، واسم الاخرى ( سلسل ) ولي ام واخوان ، فكتب المهدي باحضار أهلها ، فاحضروا فتزوج اخوه جعفر بن المنصور سلسلا ، فولدت منه زبيدة واسمها أمة العزيز ، وان جدها المنصور كان يحبها ويأنس بها ويرقصها وهي صغيرة ويقول لها : انت زبده ، وانت زبيدة ، فغلب هذا اللقب على اسمها ، وانما لقبها المنصور بذلك لبضاظتها وحسن بدنها وقد تزوجها هارون الرشيد ، والرشيد اول من غالى في تفضيل القيان المغنيات وتقريهن اليه ، فان معظم اولاده ابناء جوار ، فهم عبدالله المأمون ، وامه جارية ام ولد فارسية يقال لها ( سراجل ) ، والقاسم والمؤمن ، وامه ام ولد يقال لها ( قصف ) ، ومحمد المعتصم وأمه ام ولد يقال لها ( ماردة ) ، وصالح وامه ام ولد يقال لها ( فارهة ) ومحمد ابو عيسى وامه ام ولد يقال لها ( عرابة ) ، ومحمد ابو يعقوب وامه ام ولد يقال لها ( شذره ) ، ومحمد ابو العباس ، وامه ام ولد يقال لها ( خبث ) ، ومحمد ابو سليمان وامه ام ولد يقال لها ( رداح ) ، ومحمد ابو علي وامه ام ولد يقال لها ( دواج ) ، ومحمد ابو احمد وامه ام ولد يقال لها ( كتمان ) (١)

وكان للمعتصم بن هارون الرشيد جارية تزوجها يقال لها ( شجاع ) تركية الاصل خوارزمية من اقليم طخارستان فيما وراء النهر ، جلبها النخاسون ضمن الرقيق ، وباعها النخاسون فى بغداد فصارت الى المعتصم فأولدها جعفر المتوكل على الله .

وذكر بعض المؤرخين فقال : لاتعرف امرأة رأت ابنها وله ثلاثة اولاد ولاية عهد الاهي ، وقد اراد بقوله هذا ابناء المتوكل وهم محمد المنتصر بالله ، وزير المعتز بالله ، و ابراهيم المؤيد بالله . وكان للمعتصم جارية يقال لها ( قراطيس ) تزوجها قبل شجاع ، وولدت له ابا جعفر هارون الملقب بالوائق بالله ، وهي رومية الاصل . اما الامير محمد بن المعتصم فقد امتلك جارية

(١) تاريخ الطبرى ج ٦ ص ٥٤٠

روسية الاصل يقال لها (مخارق) فولدت له احمد ، الذي لقب بالمستعين بالله لما ولي الخلافة . وامتلك الخليفة ابو العباس احمد المعتضد بالله جارية يقال لها (ناعم) فولدت له ابنا سماه جعفرا ، وهو الذي لقب بالمقتدر بالله حين ولي الخلافة ، ولم ولدته غير المعتضد اسمها وسماها (شغب) وكانت ولادتها ولدا ذكرا شغباً وتحريشا بالاضافة الى نساء الخليفة المعتضد . ولما نعلمه من تغيير اسماء النساء والقيان والجواري خاصة قديما وحديثا نشك ان تكون الاسماء وهي الاسماء الحقيقية لامهات الاولاد المذكورات . هذا وفي وسعنا ان نذكر جميع القيان والجواري اللواتي استولدهن الخلفاء العباسيون ولكن ضيق المجال يحول دون ذلك ، لهذا آثرنا اكتفاء بما اوردناه . وفي كتب الادب والتاريخ مجال واسع للمستزيد ولا يغرب عن البال أن هؤلاء القيان والجواري المتعددات الاجنس والالوان، مختلفات في الدين فمنهن المسلمة ، والنصرانية ، واليهودية ، والمجوسية ، اما الوثنيات فيسارعن الى اعتناق دين الاسلام ويقمن بشعائره تقربا من اسيادهن الذين كانوا يحررون بعضهن للزواج منهن زواجا شرعيا ليرثن أزواجهن الاغنياء بعد موتهم ، ولم يكن اعتناقهن الدين الاسلامي ليس بالامر اصعب المنال بل ينحصر ذلك بأن تشهد القينة او الجارية على نفسها امام احد قضاة الشرع ، وان تنطق بالشهادتين ، وهما شهادة ان لا اله الا الله وحده لا شريك له ، وان محمداً عبده ورسوله ، وتقول انا برئت من كل دين يخالف دين الاسلام ، ودخلت في ذلك طائفة مختارة ، ثم يشهد القاضي عليها بذلك<sup>(١)</sup> . اما الجواري والقيان اللواتي يقين في الرق فيتمسكن لدينهن القديم ويحافظن عليه ويقمن بشعائره احسن قيام متقيدات بأحكامه ونواهيه ، ويتساهلن اسيادهن معهن في القيام بالطقوس المرعية ، والفروض الخاصة في المواسم والاعياد ، لا يكرهوهن على تغيير عقائدهن ، وقد تقول بعض المغرضين الذين لا تطيب لهم مراعاة اصحاب الاديان ، فقالوا ان المسلمين اكرهوا قيانهم وجواريهم على ترك دينهن واعتناق دين الاسلام خوفا وارهابا .

(١) نهاية الارب ج ٩ ص ١٤٥

وقد فاتهم ان المقربين لخليفة المأمون يدخلون في مجلسه فيجسدون  
القيان الروميات والصقليات ، وقد تمنطقن بلزنانير ، وعلق في أعناقهن  
صلبان الذهب ، حاملات بأيديهن اغصان الزيتون ، وسعف النخيل ابتهاجا  
بعيد الشعانين ، والمأمون ينظر اليهن مسرورا لا يستغرب مايجرى في مجلسه ،  
ألم يكن هذا دليلا واضحا على اطلاق حرية الاديان في عهد الخلفاء العباسيين .  
ومما ذكر في كتب التاريخ ان كثيرا من الخلفاء والامراء والوزراء  
والأعيان ، قربوا اليهم القيين واجوارى غير المسلمات واغدقوا عليهن  
نعمهم فضلا عن حسن المعاملة التي كان النصارى واليهود وغيرهم يتمتعون  
بها من قبل المسحين في ذلك العهد . ومن اوضح الامثلة على ذلك هو ان  
خال الخليفة المقتدر بالله كان رومي الجنس يعرف بأسم (غريب) ويخاطبه  
الناس بالامرة وهو ذو سلطان يرهبه الناس ويتقربون اليه ، لا في سبيل  
الوصول الى ما يريد من نعم الخلافة ، بل احتراما لدينه الذي بقي عليه .  
ومثل ذلك ماجرى لخالد بن عبدالله القسرى عامل العراق للامويين  
مع امه النصرانية ، وهي رومية الجنس تغزل بها احد الشعراء فقال لخالد  
مدافعا عن نصرانيتها وزرقة عيونها .

|                           |                                           |
|---------------------------|-------------------------------------------|
| يقولون نصرانية ام خالد    | فقلت دعوها كل نفس ودينها                  |
| فان تك نصرانية ام خالد    | فقد صورت في صورة لانشينها                 |
| احبك ان قالوا بعينيك زرقة | كذلك عتاق الطير زرق عيونها <sup>(١)</sup> |

وكان ابنها خالد يبرها كثيرا كما كان محسنا الى اهل الذمة يعرف  
لهم قدرهم ، ويقلد من يصلح منهم الاعمال الحكومية .  
وكانت ام خالد متعصبة في دينها ، ملتزمة بأداء طقوسها دون اعتراض  
من ولدها أو غيره وهكذا كان المسلمون يراعون حقوق اهل الذمة بين  
ظهرانيتهم .

## زينة القيان

ان زينة القيان وتجميل ملابسهن وازيائهن في العصر العباسي ، كانت تجميلا باشياح الملونة ضيقة كانت او فضفاضة ، وبالكحل والخضاب بالحناء وكن يضعن في ايديهن الاساور ، وفي اصابعهن الخواتم ، وفي سواعدهن اندمالج ، وفي آذانهن الافراط ، وفي ارجلهن الخلاخيل ، ويتحلين احيانا بالسلاسل الذهبية والعقود الجوهريّة ، ويلبسن المآزر الحريرية ، ويتخذن العصائب المزركشة المحلاة بالاشعار الرقيقة والعبارات الغرامية الشافية تطريزا عليها او على الملابس ، كما كن يطرزن مثل هذه الاشعار العاطفية على المناديل والوسائد والمراوح ، ويكتبنها بالحناء على راحة الايدي والاقدام . وقد كتبت القينة (حدائق) على يدها بالحناء .

ليس حسن الخضاب زين لكفى حسن كفى زين لكل خضاب  
وذكر الماوردي قال : رأيت قينة وانا عند محمد بن عمرو بن مسعدة ،  
وعليها قميص ارجواني مكتوب على وشاحه :

اغيب عنك بوّد لا يغيره نأي المحل ولا صرف من الزمن  
وقال : رأيت القينة (عريب) ترتدى قميصا موشى بالذهب مكتوب عليه ،  
وإني لأهواه مسيئا ومحسنا واقضي على قلبي له بالذي يقضي  
وكتبت فريدة جارية الخليفة الواثق فوق عصابتها بالذهب :

عيني تبكى حذرا لبين ما اسخن الفرقة للعين  
لم ار في الحب ولوعاته اوجع من فرقة إلفين  
وكتبت هلال جارية عبدالله بن طاهر فوق عصابتها :

افلت من حنور الجنان وخلقت فتنة من يراني

وذكر اسحاق الموصلى قال : دخلت على محمد الامين الخليفة العباسي  
فرايت على رأسه جوارق قرايط مفروجة ويبد كل واحدة مروحة مكتوب  
عليها :

بي طاب العيش في  
 مسكى ينفى أذى الحر  
 الندى والجود في و  
 ملك أسدسه ال  
 الصيفه وبي طاب السرور  
 اذا اشتد الحرور  
 جه أمين الله نور  
 شبه واخلاه النظير  
 ومما اخبر به على بن الجهم قال : خرجت علينا (عالمج) جارية خالصة  
 كأنها غصن بان وعلى طرتها مكتوب بالغالية :

ياهللاً من اقصور تجلى  
 لست أدري أطال ليلى ام لا  
 وكتبت (وردة) جارية الماهاني على عصابتها :  
 صام طرفي لمقتيك وصلّى  
 كيف يدري بذاك من يتقلّى  
 تمّت وتم الحسن في وجهها  
 اناس في الشهر هلال ولي  
 فكلّ شيء ماسواها محال  
 في وجهها في كلّ يوم هلال  
 وكتبت في مأزرها :

يارامياً ليس يدري مالذي فعلا  
 اجرته في مجارى الروح من بدني  
 وكتبت (عنان) جارية الناطقى في سزرها في الجانب الايمن :  
 عليك عقلى فان السهم قد قتلا  
 والنفس في تعب والقلب قد شغلا  
 كتب الطرف في فؤادي كتاباً  
 وعلى الجانب الايسر :  
 هو بالشوق والهوى مختوم  
 أن طرفى على فؤادى مشوم  
 وكتبت على عصابتها :

الكفر والسحر في عيني إذ نظرت  
 وان ابي سيف لحظ لست أغمده  
 وكتبت الجارية (شكل) على قلنسوتها :

لم ألق ذا شجن يبوح بحبه  
 حذراً عليك وإنتي بك واثق  
 الإ حسبتك ذلك المحبوبيا  
 أن لاينال سواي منك نصيبيا  
 وكانت الجارية (حمدان) تتقلد سيفاً وتخرج الى القوم وقد كتبت  
 على جمائله :

لم يكفه سيف بعينه      يقتل من شاء بحديته  
حتى تردى لابسا درعه      يخطر فيها بين صفيه  
علمت ان السيف من طرفه      أقتل من سيف بكفيه

ولم يكن هذا التزيين محصورا بانقيان والجوارى اللواتي كتبن  
الأشعار على عصائبهن وأزرهن ، وانما تعدى الى الاميرات العربيات الحرائر،  
فقد كتبت ولادة بنت المستكفي على جوانب برقعها الاربعة من كل جانب  
شظراً :

أنا والله اصلح لنعالي      وأدرك حاجتي واتيه تيهها  
أمكن عاشقي من صحن خدي      وامنح قبلي من يشتهيها

ولم ادر هل ان ولادة كتبت هذين البيتين اغراء لعشاقها أم لتحلية  
الملابس ؟

وكانت القيان في العصر العباسي تقدم كالهدايا وتدخل في الميراث  
وفي الصداق •

وذكر مؤرخوا ذلك العصر محاسن تلك القيان فكان الجمال في مقدمة  
مايتبعه من المهارة الفائقة فيهن مع رجاحة العقل والاخلاق الفاضلة وحفظ  
الأشعار والعزف بالآلات الموسيقية • وكثير من بين تلك القيان  
من كن يذهبن في حب أسيادهن مذهبا بعيدا ويخلصن لهم الى حد التضحية  
مثل جارية منصور زلزل ، وكان قد رباها واحسن تربيتها ، وعلمها الضرب  
على العود والغناء حتى حذقت بهما ، وكان يصونها من ان يسمعها أحد  
ويتمتع بجمالها ، فلما مات بلغ اسحاق الموصلي انها تعرض في ميراثه فذهب  
اليها لينظر مقدرتها الفنية وطلب منها ان تغني فغنت :

اقفر من أوتاره العود      والعود للأوتار معمود  
وأوحش المزمار من صوته      فماله بعدك تغريد  
من للمزامير وعيدانها      وعامر اللذات مفقود  
الخر تبكي في أباريقها      والقينة الخصانة الرود

وهذا الشعر رثاه به صديق كان يألفه فأبكت عين اسحاق وأوجعت قلبه،  
 فدخل على الرشيد وحدثه عنها ، فامر بأحضارها فلما حضرت قال غني الغناء  
 الذي حدثني عنه اسحاق فغنته وهي تبكي !  
 فتغرغرت عينا الرشيد ، وقال اتريدان ان اشتريك ؟  
 فقالت يا امير المؤمنين عرضت علي ما يقصر عنه الامل ، وليس من  
 الوفاء ان يملكني احد بعد سيدي فينتفع بي ، فازداد الرشيد رقة عليها  
 وقال غني لي غناء آخر فغنت :

العين تظهر كتماني وتبديه      والقلب يكتم ما ضمنته فيه  
 فكيف ينكتم المكتوم بينهما      والعين تظهره والقلب يخفيه

فأمر ان تبتاع وتعشق ، ولم يزل يجري عليها الى ان ماتت .  
 والقيان اللواتي تعلمن الغناء ومهرن فيه ، لم يكن تعليمهن مقصوراً  
 عليه وحده ، فقد تعلمن كثيراً من الادب والشعر حتى منهن من كانت تقرضه  
 وتجديه كعريب ومحبوبة ، ومنهن من كانت تطارح الشعراء كعنان جارية  
 الناطفي وفضل اليمامية لذلك أصبحن مغنيات مثقفات قد نلن حظاً عظيماً  
 ومقايماً رفيعة .



## الشعراء الديوان

عرف عن معظم شعراء الدولة العباسية بعشق القيان والجواري فبشار  
ابن برد كان يحب ( عبدة ) وفيها يقول :

يزهدني في حب عبدة معشر      قلوبهم فيها مخالفة قلبي  
فقلت دعوا قلبي وما اختار وارتضى      فبالقلب لا بالعين يبصر ذو الحب  
فما تبصر العينان في موضع الهوى      ولا تسمع الأذنان إلا من القلب  
وما الحسن إلا كل حسن دعا الصبا      والف بين العشق والعاشق الصب

وقال فيها عندما ارسل غلامه اليها :

قالوا بمن لا ترى تهذى فقلت لهم      الأذن كالعين توفي القلب ما كنا  
ما كنت أول مشغوف بجارية      يلقي بلقيانها روحاً وريحاناً  
يا قوم اذني لبعض الحي عاشقة      والأذن تعشق قبل العين أحياناً  
وقال فيها وقد بعثت اليه تبث اشواقها :

عبد إني اليك بالأشواق      لتلاق وكيف لي بالتلقى  
انا والله اشتهي سحر عينيك وأخشى مصارع العشاق      وأهاب الحرسى محتسب الجند يلف البريء بالفساق

وقال فيها بعدما اعترضه مالك بن دينار ولامه على فعله :

غدا مالك بملاماته      علي وما بات من باليه  
فقلت دع اللوم في جها      فقبلك اعيت عذاليه  
اعبدة مالك مسلوية      وكنت مقرطقة حاله  
فقلت على رقبة انسى      رفضت المرعث خلخاله  
بمجلس يوم سأوفى به      وان تكن الناس أحواليه

وقال فيها عندما زارها فلم يجدها في بيتها :

لعبدة دار ما تكلمنا الدار      تلوح مغانيها كما لاح اسطار  
اسائل اجازاً وتؤيا مهدماً      وكيف يجيب القول قوي واحجار

وما كلمتني دارها اذ سألتها  
وعند مغاني دارها لو تكلمت  
وقال فيها وقد قل صبره :

يا عبد بالله فرجى كرىسى  
وضقت ذرعاً بما كلفت به  
ففرجى كربة شجيت بها  
ولا تظنى ما اشتكى لعباً  
وقال فيها وقد اشتاق اليها :

يا عبد زورينى تكن منة  
والله ثم الله فأستيقنى  
يا عبد إنى هالك مدنف  
فلا تردى عاشقاً مدنفاً

وقال فيها يشرح حاله :

لم يطل ليلى ولكن لم أنم  
وإذا قلت لها جودى لنا  
رفهى يا عبد عني واعلمي  
ان في بردي جسماً فاحلاً  
ختم الحب لها في عنقي  
وقال فيها معترفاً بذنبه :

عبد إني قد اعترفت بذنبي  
عبد لا صبر لي ولست فمهلاً  
ولقد قلت حين انصبتى الحسب فأبلى جسيمي وعذب قلبى  
رب لا صبر لي على الهجر حسبي  
وقال فيها متوسلاً :

يا عبد بالله ارحمى عبدك  
يضبح مكروباً ويمسى به

وفي كبدي كالنفظ شبت به نار  
لمكتب بادي الصباة اخبار

فقد براني وشفني نصبى  
من حبكم والمحب في تعب  
وحر حزن في الصدر كاللهب  
هيهات قد جل ذا عن اللعب

لله عندي يوم القاك  
انى لأرجوك واخشاك  
ان لم ادق برد ثناياك  
يرضى بهذا القدر من ذاك

وقى غني الكرى طيف ألم  
خرجت بالصمت عن لا ونعم  
أنى يا عبد من لحم ودم  
لو توكأت عليه لا نهدم  
موضع الخاتم من اهل الذمم

فاغفرى واعد لي خطاي بحبى  
قائلاً قد عتبت في غير عتب  
ولقد قلت حين انصبتى الحسب فأبلى جسيمي وعذب قلبى  
فأقلنى حسبي لك الحمد حسبي

وعليه بمنى وعبدك  
وايس يسدري ماله غنيدك

ماذا تقولين لرب العلاء اذا تخلّيت به وحدك  
وهذا ابو نواس يحب ( جنان ) جارية آل عبد الوهاب بن عبد المجيد  
الثقفى ، وكان مولها بها ، ولم تكن تحبه وقال يعاتبها :

جنان إن جدت يا مناي بما آمل لم تقطر السماء دما  
وان تمادى دماً تماديت في منعك أصبح بقفرة رمما  
علقت من لو أتى على أنفـس الماضين والغابرين ما ندما  
لو نظرت عينه السى حجر ولد فيـه فتورها سقما

وقال فيها :

لولا حذاري من جنان وركبت ما اهوى وكم  
أجفو مقالة من نهانى وخرجت اخبط سادراً  
لم أغن عن حب الغوانى قد ذبت غير حشاشة  
في النفس تحبسها الأماني يا من يلوم على الصبا  
دعنى فشأنك غير شانى

وقال فيها وقد رآها في منزل عبد الوهاب الثقفى وقد مات بعض أهله  
وعندهم مأتم وجنان واقفة مع النساء تلطم وجهها وفي يدها خضاب :

يا قمرأ أبرزه مأتم يبكي فيذرى الدر من نرجس  
يندب شجواً بين أتراب لا تيك ميتاً حلّ في حفرة  
ويلطم الورد بعناب أبرزه المأتم لي كارها  
وابك قتيلاً لك في الباب لا زال موتاً داب أحبابه  
برغم دايات وحجاب ولم تزل رؤيته دابي

وقال فيها حينما علم انها شتمته وتنقصته :

وابأبى من إذا ذكرت له وطول وجدى به تنقصنى  
لو سألوه عن وجه حخته في سبّه لي لقال يعشقتنى  
نعم الى الحشر والتناد نعم اعشقه أو الفّ في كفى  
أصيح جهراً لا أستسر بها عنفنى فيه من يعنفنى  
يا معشر الناس فاسمعوه وعوا إن جناة صديقة الحسن

وقال فيها وقد طلب منها ان تكتب له :

كشري السهو في الكتاب وفجيه بريق اللسان لا بالبنان  
وامرئى الحزام بين ثنايا ك العذاب المفجآت الحسان  
إتني كلما مررت بسطرٍ فيه محو لظعه بلساني  
فأرى ذاك قبلةً من بعيد اسعدتني وما برحت مكاني

وقال فيها وقد زاد حبه :

جفن عيني قد كاد يسقط  
وفؤادي من حر حبك  
خبريني فدتك نفسي  
كان ميعادنا خرو  
أنت من قتل عائذ  
من طول ما اختلج  
والهجر قد نضج  
واهلي متي الفرج  
ج زياد وقد خرج  
بك اضيق الحرج

وكان ابو العتاهية يحب (عتبة) جارية الخيزران ام الرشيد وفيها يقول :  
بالله يا قرّة العينين زوريني  
هذان أمران فاخترى أحبهما  
يعتب ما أنت الا بدعة خلقت  
إني لأعجب من حبّ يقربني  
لو كان ينصفني مما كلفت به  
أما الكثير فما ارجوه منك ولو

وقال فيها :

ألا يا عتب يا قمر الرصافة  
رزقت مودتي ورزقت عطفي  
وصرت من الهوى دنفاً سقيماً  
أظل اذا رأيتك مستكيناً  
وقال فيها :

من لم يندق لصبابة طعما  
إني منحت مودتي سكناً  
فلقد احطت بطعما علماً  
فرأيتها قد عدّها جرماً

يا عتب ما أبقيت في جسدي  
دعّب ما آنا من صنيعك بي  
إن الذي يدري وما كلفني  
ليرى على وجهي به وسما

والعباس بن الاحنف يجب (فوز) جارية محمد بن منصور الملقب  
بفتى العسكر ، ثم اشتراها شاب من البرامكة وقد ذهب بها لاداء فريضة  
الحج ، ولما عادت قال فيها العباس :

ألا قد قدمت فوز  
لمن بشرنى البشرى  
أيا دياجة الحسن  
يلومنى على الحب

فقرت عين عباس  
على العينين والراس  
ويا رامشة الآس  
وما بالحب من باس

وقال فيها وقد رآها معصوبة الرأس :

عصبت رأسها وقالت صداعا  
ثم لاشتكى وكان لها الاجر  
ذاك حتى يقول لي من رأني  
وقال فيها عندما برأت ونكست ،

قد شكته الي كان براسي  
وكتت السقام عنها اقاسي  
هكذا يفعل المحب المواسي

ان التي هامت بها النفس  
كانت اذا ماجها المبتلى  
يابأبى الوجه المليح الذى  
ان تكن الحمى أضرت به

ءاودها من عارض نكس  
ابراه من كفتها اللمس  
قد عشقته الجن والانس  
فربما تنكسف الشمس

وقالت فوز الى بعض اولاد الجند وبلغ ذلك العباس فتركها ولكنها لم  
ترض هى بهذا البديل فعادت الى العباس وكتبت له تعاتبه على هذا الجفاء  
الحاصل منه فكتب اليها :

كتبت تلوم وتستريب زيارتى  
فأجبتها ودموع عينى جمّة  
يا فوز لم اهجركم لماللة  
لكنني جربتكم ، فوجدتكم

وتقول لست لنا كعهد العاهد  
تجرى على الخدين غير جوامد  
مني ولا لمقال واش حاسد  
لا تصبرون على طعام واحد

وقال فيها :

يا فوز يا مينة عباس  
اسأت ان احسنت ظني بكم  
يقلقني الشوق فأتيكم  
قلبي يفدى قلبك القاسي  
والحزم سوء الظن بالناس  
والقلب مملوء من الياس

وابن عيينه<sup>(١)</sup> يحب فاطمة بنت عمر بن حفص الملقب (هزار مرد) وكانت امرأة شريفة وكان يخاف اهلها ويقول الشعر في جارية لها يقال دنيا ومن قوله فيها :

ما لقلبي أرق من كل قلب  
ولدنيا على جنوني بدنيا  
نزلت بي بليّة من هواها  
قل لدنيا ان لم تجبك لما بي  
فعلام اتهرت بالله رسلتي  
أيّ ذنب اذنبته ليت شعري  
وقال فيها :

ولا جبي أشدّ من كل حبّ  
اشتهدى قريها وتكره قربي  
والبلايا تكون من كل ضرب  
رطبة من دموع عيني وكتبي  
وتهددتهم بحبس وضرب  
كان هذا جزاؤه أي ذنب

وقال فيها :

ألا في سبيل الله ما حل بي فيك  
وتركك جسمي بعد اخذك مهجتي  
فهل حكم في الحب يحكم بيننا  
وقال فيها :

وأبي قلبك لي أن يرقسا  
است أرضى بأن تموتى وأبقى  
ومن العذال فيها ملقسي  
ليت ذا الباطل قد صار حقيا  
وقال فيها :

يا حسنها يوم قالت لي مودعة  
كأنني لم اصل دنيا علانية  
لا تنس ما قلت من فيها الى اذني  
ولم أزر اهل دنيا زورة الختن

(١) الاخاني ج ١٨ ص ٢٠

جسمى معى غيران الروح عندكم  
 فليعجب الناس منى ان لى جسداً  
 ومطيع بن أياس يحب (جوهراً)  
 أنت يا جوهراً عندي جوهراً  
 او كشمس أشرفت من بيتها  
 وكأنى ذائق من فمها  
 وكأنى حين اخلو معها  
 وقال فيها :

يا أبابى وجهك من بينهم  
 يا أبابى وجهك من رائع  
 جارية أحسن من حليها  
 وجرمها أطيب من طيبها  
 جاءت بها بربر مكنونة  
 كأنما ريقتها قهوة  
 وقال فيها :

ألا يا جوهراً القلب  
 وقد كملك الله  
 اذا غنيت يا أحسن  
 فهذا حزناً ييكى  
 وهذا يشرب الكأس  
 وقال فيها بعدما يش منها :

لقد قلت معلناً  
 ان أتتى منيتى  
 قتلتنى بمنعها  
 لسعيد وجعفر  
 فدمى عند بربر  
 لى من وصل جوهراً

ولم يكن الشعراء وحدهم هاموا بحب الجوارى والقيان ، بل تعدى  
 الى جماعات شتى متنوعة الاذواق ، متعددة المراتب والمقامات الاجتماعية ،

ومن بينهم ابن فهم الصوفي وهو مؤله بالقيان والسماع الى غنائهم ، فعندما يسمع غناء (نهاية) جارية ابن المغنى يضرب بنفسه الارض ، ويتمراغ فسى التراب ، ويهيج ويزبد ، فاذا دنا منه أحد عض بنانه ، وخمش بظفره وجهه ، وركل رجله الارض • ومثله ابن غيلان البزاز عندما يسمع ترجيعات (بلور) جارية ابن الزيدي وهى تغنى تنقلب حماليق عينيه ، ويسقط مغشيا عليه ، فلا يستفيق الا بعد ان ينضح بالكافور وماء الورد ، ويقرأ فى اذنيه آية الكرسي والمعوذتين !

والاغرب من هذا أن ابا الحسن الجراحى قاضي الكرخ الرجل الوقور عندما يسمع غناء القينة (شعلة) تبتل شيبته بالدموع حتى يبرق له الحاضرون ، فتتحدردموعهم رحمة واشفاقا عليه ، وغير هولاء أجبوا الغناء ورغبوا فى التحلى من الملاحظة الدافقة من اصوات القيان •

## تجارة القيان

كانت تجارة القيان صناعة رائجة تدر كسباً وافرا لاصحابها النخاسين، فى وقت كانت للرقيق أسواق تبني فيها الدور للبيع والشراء ، وتقع هذه الدور فى بغداد قرب دجلة فى الجانب الغربى ، وقد بقيت آثارها بادية الى القرن الثالث عشر للميلاد (١) وكان كثيرا من هولاء النخاسين قد بلغوا الشهرة الواسعة والصيت البعيد • وكان أكثر الشعراء والأدباء يقصدون دورهم للتمتع بجمال قيانهم ، ويبدلون لهذه الدور الاموال الطائلة والهدايا الثمينة ، وبهذا كان اولئك الذين فتحوا دورهم ينعمون فى ترف وعيش رغيد يحسدون عليه •

وفى بعض الايام مرّ أبو دلالة (زند بن الجون) الشاعر الكوفي الاسود

(١) تجارة العراق قديما و حديثا ليوسف غنيمه ص ٥١



بأحد هؤلاء النخاسين فرأى عنده من النعمة وترف العيش مادعاها السى أن  
يحصده على ذلك فدخل على الخليفة المهدي وانشده قصيدة يفضل فيها  
مهنة النخاسة على قرض الشعر ومطلعها :

ان كنت تبغي العيش حلوا صافيا فالشعر أعذبه وكن نخاسا  
وكان الرقيق لدى النخاسين من جميع الاجناس والالوان ومن مختلف  
الشعوب والديانات •

ووجه العباسيون عناية فائقة الى تدريب القيان والجوارى وتعليمهن  
مختلف الصناعات والفنون وخاصة الموسيقى فأذا وجدوا في الجارية  
قابلية على حفظ الشعر والأنشاد أودعوها الى أساتذة أكفاء يعلمونها قرض  
الشعر والآداب العربية حتى تأخذ حظها منهما ، واذا كانت الجارية ذات  
صوت حسن ومنظر جذاب ، اتجهوا بها الى تعلم الموسيقى واصول الغناء  
لتجمع بين الجمال وحسن الشدو والغناء ، وهذا هو السبب المباشر فى  
انتشار الغناء بأوسع نطاق ، فكان فى وسع المرء أن يواجه هذه الظاهرة  
الفنية فى كل مكان من بغداد ، يسمعا فى الطرقات ، او فى المحلات العامة  
والندوات الخاصة ، يسمعا فى الحانات المكتتزة أو فى قصور الخلفاء  
والامراء ، وبيوت اليسار ، ودور الطبقة الفقيرة ، يسمعا فى كل نافذة  
تشرف على دجلة وفى كل مجتمع أنس يسمع ترنم الاوتار وهينمة الانغام ، مما  
اصبح من الصعب الحكم على هذا الغناء والقصف ، هل تسرب من القصور  
والمنازل الى الحانات ؟ ام من الحانات الى القصور والمنازل ؟

وهكذا كانت بغداد تجمع بين حياة كلها لهو ومجون واباحة ، وحياة  
كلها ورع وتقوى • فقد كانت كما قيل فى وصفها :

مسجد وحانة ، وقارىء وزامر ، وساهر متعجد يرقب الفجر ليؤدى  
فرضه ، ومصطبح فى حدائق ، ولاه فى طرب ، وعاكف فى تخشع ، وتخمة  
فى غنى • ومسكنة فى إملاق ، وشك فى دين ، وايمان فى يقين •

ولم يكن الناس قبل هذا يعلمون الجوارى الحمان الغناء ، وانما  
كانوا يعلمون الجوارى السود والصفير فقط •

وأول من علم القيان البيض الغناء ابراهيم الموصلى فبلغ بهن كل مبلغ،  
ورفع من اقدارهن غاية الرفعة ،

والقىنة التى تمتاز بالموهبة يرتفع ثمنها في سوق الرقيق ، وبذلك يقول  
أبو عيينه وقد كان يهوى جارية له يقال لها (أمان) حينما أغلى بها مولاها السوم:

قلت لما رأيت مولى أمانٍ      قد طغى سومه بها طغيانا  
لاجزى الله الموصلى ابا اس      حاق عنا خيراً ولا احسانا  
جاءنا مرسلا بوحي من الش      يطان اغلى به علينا القيانا  
من غناء كأنه سكرات ال      حب يصبي القلوب والآذانا

وهذا الشعر قيل على اثر تأليف شركة لتعليم القيان اصول الغناء بين  
ابراهيم الموصلى دون أن تتأثر مواهبه الفنية ، وبين المغني يزيد حوراء، على  
ان تقسم الارباح بينهما مناصفة .

ومن جراء ذلك كان تعلم القيان عاملا كبيراً في ازدهار حركة الغناء  
بين افراد الشعب .

وازدادت الرغبة في طلب المزيد من تعليمهن ورفع مستواهن وبذلك  
حذا اصحاب القيان حذو الموصلى وشريكه وأخذوا يجدون في تعليم قياتهم،  
واصبحوا يفاخرون على ان تكون قياتهم موضوعا لاحاديث الناس ، ووحيا  
لخيال الشعراء ، وفيضا لالحان المغنين ومنهم من كان يسعى جهده لينال هذا  
الفخر ، وكان يقصد الرجل الشريف والشاعر العبقري والمغني للزيارة  
والتحدث الى القيان ومن الذين اشتهروا بتجارة القيان : أولهم ابراهيم  
الموصلى ، وولده اسحاق ، ويزيد حوراء ، وعمرو بن بانه ، وابن غانم ،  
وابن رامين ، وابن رمانه ، وابن ميناء ، وابن شماس ، ويحيى بن نقيس وقرين  
أبو الخطاب ، ومحمد بن كناسة ، وسنيس ، ودحمان ، والفضل .

وللقيان اثمان فاحشة ، فابن غانم قينته (زييده) بمئة الف درهم ،  
وكذلك عوف بلغت جاريته (حبيثة) مئة الف درهم .

ويروى أن دحمان المغني كان جمالا فاشترى جارية من امرأة قرشية  
بمائتي دينار ، ثم باعها لأحد الخلفاء متنكرا بعشرة آلاف دينار ، هذه لمحة

خاطفة من تجارة القيان في بغداد ومن هذا تعرف أن القيان والجواري كان  
لهن الفضل الأكبر في نهوض الموسيقى وترقيه لادب العامة والشعر خاصة .

## قيان الحانات

الحانات جمع حانة ، وهي البيت الذي تباع فيه الخمرة ، وهذه  
الحانات لم تعد للطبقة الاستقرائية الراقية ، بل كانت للطبقة المتوسطة من  
اهل بغداد ، فلا تحوى غير ما يحتاج اليه صاحبها لصنعه ، والشارب في  
تعاطيه . واذا ما أردنا أن نصف ما يوجد عادة فيها ، لانجد غير البسط  
والنمارق التي يمتد عليها الشاربون أثناء تعاطيهم الشراب ، والدنان التي  
توضع فيها الخمرة ، والاباريق المعدة للتفريغ بعد ان تكال لهم ، والقناسي  
والطاسات والكؤوس وبعض آلات الطرب ، كالعود والطنبور وغيرها ،  
والخمارون بعضهم يؤثر وضع الخمرة المعتقة في خاوية يختم فاها بالطين المطيب  
وآخرون يعمدون الى الزقاق ( جمع زق ) المصنوعة من جلد الغنم ويربط  
رأس الزق بجبل أو خيط ويحل رأسه عندما تسكب الخمرة منه وفي هذا  
قال الشاعر .

ولما حللنا رأسه من رباطه      وفاض دماً كالمسك او عنبر الهند  
وجدناه في بعض الزوايا كأنه      أخو قرّة يهتز من شدة البرد

وكذلك كانت الاباريق والكؤوس مختلفة الاصناف والانواع ، تصنع  
من الفخار والبلور ، وتوشى بالرسوم والتصاویر الدقيقة الصنع ، تمثل  
فيها نقوش مشاهد عديدة من معارك حربية ترمز الى العهدين الفارسي  
والبيزنطي ، وفيها قال أبو نواس :

فحلّ بزألهما في قعر كأس      محفرة الجوانب والقرار

مصوِّرة بصورة جند كسرى وكسرى في قرار الطهرجار  
وحلّ الجند تحت ركاب كسرى بأعمدة واقية قصار

أما القناني الزجاجية البديعة الشكل ، فتملاً للذين يتناولون الخمرة خارج الحانة ، ولهذه الحانات قين خصصن لها فيقمن بدورهن أحسن قيام ويبعثن المرح في قلوب الذين يؤمنونها من غناء ورقص ومنادمة ، ويتفنن في اظهار ملاحظتهن وجلب الانظار اليهن فمنهن من تتخذ أزياء الغلمان من حيث اللباس وتصنيف الشعر ، ويعقبن سواقهن على مستدار الاذن . ومنهن من عقدن على حجب أجسامهن بنسيج شفاف فيترآى من تحته بياض الجسم الغض النعم ، اغراءً للشاربين ، وهن رهن اشاراتهم متقيدات بتلبية طلباتهم ، فيغنين لهم ما يروق لهم من الغناء الشائع يومذاك .

وكان الشعراء في مقدمة الشاربين يتقارضون الشعر مديحا وتغزلاً ، ويطرحونه عليهم فيتغنين به ، وهكذا تجتمع قريحة الشاعر وحناجر القيان فيتحول مجلسهم الى جوّ زاخر بالطرب والادب ، يختلط فيه غناء القيان وصخب السكارى ، فواحد يطلب سماع غناء ابراهيم الموصلى والآخر يرغب سماء غناء (عريب) المأمونية ، والقيان حريصات على ارضاء الجميع . وهؤلاء القيان من طبيعة مهنتهن يتوددن الى صاحب المال ويبدن غوايتهن له ويعمدن الى جميع الوسائل المغرية لايقاعه في احابيلهن . وقد تبين للجاحظ أنّ القينة . لا تكاد تخلص لعشيقها لأنها مجبولة على نصب الأشرار للرابطين عندها ليقعوا في أنشوطتها . واذا شاهدتها المشاهد رمته بلحظ وداعبته بالتبسم المصطنع ، وغازلته في أشعار الغناء ونشطت للشرب معه ، وأظهرت الشوق الى طول مكثه عندها والصبوة لسرعة عودته والحزن العميق لفراقه . واذا أحست ان الحيلة انطلت عليه أكثرت فيما شرعت فيه من عشق وهيام ، وأوهمته انّ الذي فيها اكثر مما به منها ، واذا غاب عنها غياباً طويلاً ، فتأنيبه وتشكو اليه ألم بعده وفراقه ، وتقسم له ان شرابها من دمعها ، وان خياله لا يفارقها في ليلا ونهارها ، وأنها لا تريد سواه ولا تؤثر احداً على هواه ، ولا تريده لثروته بل لنفسه ، فاذا أجابها على ما أبدت له ، ادعت أنها صيرت

الجواب سلوتها واقامت كتابه مقام رؤيته ، وتبدي له انها شديدة الغيرة عليه ،  
وتنسب اليه النظر الى صاحباتها ، وتزوده عند انصرافه منها بخصله من  
شعرها ، وتهدي اليه في الاعياد والهدايا المناسبة ، وتنقش على خاتمها اسمه ،  
وتزعم انها لا تنام الليل شوقا اليه وهياماً به ، ولا تهنا بطعام وتلند بشراب  
وجدا عليه ، وربما عمدت الى مثل هذه الضيل مع تلاله او اربعة من المترددين  
عليها ، فتبكي لواحد بعين ، وتضحك للثاني بالآخرى ، وتوهم تلالاً منهما  
انها له دون الآخر ، وتظل تثابر على هذا النهج في الخداع إلى ان تنتزع منه  
ما معه من المال فتنبده بيد النواة بعد ان فازت بما أرادت وفاز منها بالخبيثة  
والحرمن ، وفي هذا قال الشاعر :

|                         |                              |
|-------------------------|------------------------------|
| إذا رأين القيان احمق ذا | مال يقبلن نحوه الحدقا        |
| بالتغني وبالتدلل يسلين  | فؤادا بحبته علقا             |
| حتى اذا ما سلخن جلده    | سلخا رقيقا وبدد الورقا       |
| فتبن يرعين في دراهمه    | وبات يرعى النجوم والارقا (١) |

ومع هذا كله كانت الحانات متوارية عن الأنظار لا يجراً أصحابها على  
الظهور امام الناس خوفاً من رجال الشرطة الذين عهدت اليهم مراقبة الحانات  
وأصحابها وكشف ما استتر من مخالفاتهم في جنح الليل ، وكثيراً ما كان  
الرواد يطرقون باب الحانة ليلاً فلم يعدمهم الخمار التفاتة ويتناوم خوفاً من  
مداهمة الشرطة له ، وبذلك قال أبو نواس :

|                              |                          |
|------------------------------|--------------------------|
| تناوم خوفا ان تكون سعاية     | وعاوده بعد الرقاد وجيب   |
| ولما دعونا بأسمه طار ذعره    | وأيقن منه الرجل منه خصيب |
| وبادر نحو الباب سعياً ملبياً | له طرب بالزائرين عجيب    |

ومن طبيعة الخمار أن يوجس خيفة من رجال الشرطة لأن مداهمتهم  
لحائته تؤدي إلى اهراق الخمر المعتقة بالطرقات والى جلده وحبسه ومصادرة  
كل ما يملك من مال ومتاع ، هذا اذا كان صاحب الحانة يهودياً أو نصرانياً ،

(١) عيون الاخبار ( كتاب النماء ) من ٩٠٠ سنة ١٠٠٠

والويل لصاحب الحانة اذا كان مسلماً ، فأن عقابه يكون أدهى وأمر \*

وقد تفنن اصحاب الحانات بشتى الوسائل لرّد أذى الشرطة عنهم ، وكانت النساء أكثر من الرجال في احتراف هذه المهنة وابتكار الأساليب الشيطانية التي لا تمر على البال للتخفي والتستر من الأنظار ، ومن تلك الأساليب أنهن جعلن لأبواب حاناتهن الوسيلة طاقات صغيرة في مستوى وجه الباب يفتحنها ، وينظرن منها الى الطارق والتعرف عليه، حتى اذا اطمان له فتنح له الباب ليدخل فيرحبن به ترحيباً لا تقيماً ، وكان رجال الشرطة لا ينفكون يشددون المراقبة للحصول على شيء ينعمون به دون علم رؤسائهم \*

ومن طريف ما نشير اليه من الأساليب الشيطانية ما وقع في حانة (شهلاء) اليهودية المشهورة بظرفها وملاحتها وأناقة ملابسها وطيب خمرتها وحسن منادمتها لروادها ، وكان أحد الشعراء مولهاً بها وكان يشرب ويشبب بها في شعره ، وقد جاءها ليلاً فطرق الباب ودخل واقتل الباب وراءه \* وبعد برهة قصيرة دق الباب فدنا الشاعر مع صاحبه اليهودية من الكوة الصغيرة ونظرا الطارق فأبصرا شرطياً فوجما خيفة وقد فاتهما ان الشرطي لا يود ازعاجهما وانما يريد أن يسقى خمرأ وقد أخذ يلح في الدخول الى الحانة ، ومن يأمن كيده اذا فتح له الباب ، وفي هذا الموقف الحرج فظنت شهلاء اليهودية الى الثقب الذي في الباب ووضعت فيه انبوبة قصب وصبت الخمر في داخل الحانة والشرطي يشرب من الخارج ، فروى الشرطي ظمأه وبذلك قال الشاعر صاحبها :

سأل الشرطي ان نسقيه فسقيناه بأنبوب القصب  
انما نشرب من أموالنا فاسألوا الشرطي من اين شرب (١)

وكانت كل حانة يومذاك تشتمل على غرفتين أو ثلاثة تطرح في احداها الزقاق في بعض زواياها بعيدة عن الأنظار ، والذين يشربون يقعدون في غرفة اخرى على البسط كل منهم قابض على كأسه ، وتسر القينة بالشاربين تحمل

(١) مسالك الابصار ج ١ ص ٢٩١

أبريقاً معدنيا له عنق طريل فتملأ الكؤوس الفارغة ، وأحياناً يمزج الخمرة  
بالماء حسب ما يطلبه الشارب وفي ذلك قال أبو نؤاس :

فدعا بالبزال ثم وجأها      فجرت كالعقيق والجلنار  
في أباريق من لجين حسان      كظباء سكن عرض القفار  
أو كراك ذعرت من صوت صقر      مفزعات شواخص الابصار

ولم تكن الحانات مختصرة في بغداد بل تعدت الى أماكن أخرى خارجها،  
وهي أماكن نزهة محفوفة بالكروم والأشجار ، فيقصدها المعاقرون للخمرة  
والمواضبون على اللهو والعبث والدعارة فيقيمون فيها أياماً غير معدودة •

ومن هذه الحانات تلك التي نزلها أبو نؤاس عندما أزمع الى الحج في  
أحد الأعوام وهي بين الكوفة والقادسية فلما حلّ بها وذاق خمرتها تشهى  
متعها ونازعتة نفسه على الإقامة فيها والتسويق في أمر دينه في سبيل ديناه  
فتحول عن الحج واستقر فيها يشرب ، وما زال يحتسي الكؤوس ويداعب  
القيان بشعره حتى وفد أوائل الحجاج عائدتين من أداء المناسك ، ففكر معهم  
راجعاً الى بغداد ، وكأنه كان منهم •

وأكثر القرى شهرة يمثل هذه الحانات هي عانة وقطربل وقنة الفرك  
وكلوذا والصالحية ومهير ناباذ والكرخ •

وكانت هذه الحانات على اختلافها تدّر على أصحابها المال الغزير ممّا  
ساعدهم على البذل في رشوة أصحاب النفوذ المسؤولين وكف الأذى عنهم  
حتى ليظهر بعضهم حاله عياناً بدون خوف ولا وجل ، يقيم بناء حاتته بجانب  
بستان نزه يملأ الأنظار بهجة ومنتعة ، ومثل ذلك ما فعله أحد المقربين الى  
الخليفة المتوكل ، وقد انصرف الى هذه التجارة الرابعة فاقام حانة فخمة  
لتكون مأوى للشاربين من ذوي اليسار والقواد وأبناء الأسر المشهورين في  
بغداد ، فلا يسمح لأحد من العامة الوضعاء بالدخول اليها والتمتع بملاذها ،  
واعد فيها كل ما يلزم للشرب ليرضى الذين يرتادون اليها ، واتخذ لها خماراً  
يهودياً يعرف من اين تؤكل الكتف وحال بنفوزه دون قيام الشرطة بواجبها  
في مراقبته وان كثيراً من كبار بغداد اغرموا بهذه الحانة فكانوا يتوافدون

عليها ليلاً ونهاراً وينعمون بما يلقون فيها من لذة الشراب وجمال القيان حتى تعدى هذا الى بعض الخلفاء العباسيين الذين حال مقامهم الرفيع دون تردهم على الحانات فأنشأوا مثيلات لها في حدائق قصورهم كما حدث للخليفة الواثق الذي كان يحب الحانات ويسعى لرفع مستواها فجعل له حاتين احدهما في دار حرمه ، والأخرى على حافة شط دجلة ضمن دار ضيافته ، وبعد ان اثتها واقام فيها أحواضاً من المرمر تنفث الماء بصورة تجلب الأنظار ، وأمر ان يختار له خمار نظيف من أهل قطر بل فجيء له بنصراني خبير بأمور الحانات ، له ابنان نظيفان مليحان وابتنان وسمتا بميسم الظرف والملاحة ، وزوجته لا تختلف عنه دراية بالحانات ، فجعل النساء في حانة الحرم ، والرجال في حانة دار الضيافة ، وضّم اليهم خدماً وجواري ، ونقل اليهما أحسن الشراب المعتق ، وأمر أن تعلق الستور الموشاة بالذهب فى الحاتين ، ووضع فيهما الأواني المذهبة ، والدنان المطيبة ، وامر بأحضر احسن القيان البارعات فى الغناء والمغنين المعاصرين لهن ، ولم يدع احداً ممن يحسن الضرب على العود والطنبور إلا وأحضره ، وبرز الخمار مع زوجته واولاده وفي اوساطهم الزنابير ، ومعهم غلمان يحملون المكاييل والأوزان والمبازل في اطباق من فضة ، واخرجت الدنان من مكنمها قد طينت رؤوسها تطييناً نظيفاً يعبق منه المسك والزعفران ، واقامت بازاء المجلس الذي كان جالسا به الخليفة وبزلت الدنان ( ثقت ) كما يفعل فى الحانات، فيؤتى بالتماذج فيذوقها الخليفة أولاً ، ثم تعرض على الجلساء فيختار كل منهم ما يشتهي ويجيىء إلى الخمار فيكتال منه ما يكفيه .

ويأمر الخليفة ان تجعل على رؤوس الحاضرين اكاليل من الزهور وما أشبهها من الرياحين ، ويشربون على غناء القيان والمغنين ، ثم يأمر الخليفة بتوزيع الجوائز ، فيعطى للخمار الف دينار ، ولزوجته مثلها ، ولكل واحد من اولاده خمسمائة دينار ، ولن يبرح المجلس أحد من الحاضرين إلا بجائزة تناسب مقامه .

وكانت هذه الولائم تقام فى الحانات بدلاً من قصر الخليفة وهي محرمة



على الحرائر ومقتصرة على الرجال الضيوف والقيان والجواري ، وتقام هذه الولايم عادة عند المساء فتبقى إلى آخر الليل وتزين بالفصون الخضراء ، وتشر الزهور على وجه الأرض ، وتوقد الشموع وهي بشكل ( ثريات ) تقوم على اعمدة مركزة في الأرض ، على قاعدة مثلثة وتضاء الى جانبها سرج الزيت ، وعندما يبدأ الضيوف بالوفود يقف الخدم والجواري عند المدخل لاستقبالهم والترحيب بهم ، فيخلعون أخفافهم ، ويفسلون ايديهم وارجلهم بماء الورد في أوان من فضة .

ومن تقاليد هذه الولايم ، أن لا يتوجه المدعو رأساً إلى قاعة المائدة ، ويبدأ بالتفرج على ما تحويه الدار من رياش فاخر ، وزهور وانوار ساطعة، وسرر منظّمة ، ومقاعد مزركشة ، إلى أن يصل إلى المائدة وهي تزخر بالأطعمة الشهية ، ويتألف طعام المائدة من ثلاثة أصناف .

الأول : من اللحوم وفي مقدمتها لحم الضان والبقر والغزال .

الثاني : من لحم الطيور الداجنة ، وطرائد الصيد ، بضمنها الأسماك .

الثالث : الحلويات المعجونة بالسمن والعسل ، والفواكه والخضروات

والرياحين .

وتقدم هذه الألوان مجزأة ، ليسهل تناولها باليد ، لأنهم لم يألفوا استعمال الملاعق والشوكات والسكاكين ، وبعد الفراغ من تناول الطعام ، يبدأ الشرب ومنادمة القيان المتخرجات على اساتذة اكفاء ، ثم يأتي دور الجواري الراقصات ، وهن يرتدين الأثواب الموشاة برسوم الزهور ، خاصة بالرقص ، وهي أثواب شفافة تنم عما يكتمن فيها من بديع صنع خالقهن ، ويتبعهن جواري من نوع آخر ، تكاد ثيابهن الشفافة الملتصقة في اجسامهن لا تخفي شيئاً من الملامح المثيرة للشعور ، وفي غمرة ثورتهن الفنية في الرقص يعمدن إلى فك العقد التي تضم شعورهن فينسدل ليل الشعر على نهار الأجسام ، وفي هذا قال الشاعر :

بيضاء تسحب من قيام شعرها      وتغيب فيه وهو ليل أسحم  
فكانها فيه نهار ساطع      وكأنه ليل عليها مظلم

وترافق الموسيقى أنواع الرقص الذي يأتي به في مختلف الأدوار، ومن عادة المدعوين حين تعلن الاستراحة، مداعبة القيان والجواري، وهم في نشوة سكر بجر شعورهن وتقبيلهن خلصة منها وكل هذا يحدث أمام انظار الجميع دون أن تثير هذه المشاهد اشمئزازا وخجلا، وعندما يطلع الفجر ويتنفس الصبح يتسلل بعضهم إلى منازلهم ويبقى الآخرون غارقين في سبات عميق.

### في منزل ابن رامين

ابن رامين اسمه عبدالملك مولى عبدالملك بن بشر، وكان من كبار التجار في بيع القيان والجواري للخلفاء وأولادهم، وللوزراء والقواد والأعيان والأثرياء، وكان كلما جيء له بقينة ظريفة، وجارية جميلة يعث إلى قصر الخليفة أو إلى أحد الامراء من يغرونه بالشراء، وأكثر هؤلاء الوسطاء يومئذ من بطانة صاحب القصر والمترددين إليه من الشعراء والمغنين، وكان محمد الأمين بن الخليفة هارون الرشيد، مولعا باقتناء القيان الحسان، غير مبال بما يبذله في سبيلهن من الأموال الطائلة، وقد بلغه ان ابن رامين النحاس المشهور يملك مثل هذه القيان، فانتدب الفضل بن الربيع ليحقق له رغبته، ووصل الخبر إلى ابن رامين أن الفضل قادم إليه في هذه المهمة، فقام وأصلح شأنه وأوعز إلى قياته بالتأهب لملاقات الضيف الكريم، وفي الصباح الباكر أقبل الفضل مع حاشيته على خيول جياد، عرف مما عليها من الديباج، لفتها من اصطبل الرشيد، وقد تقدم أحد الحاشية وطرق الباب، وأخذ للفرسان بالنزول عن جيادهم، وأول من نزل الفضل بن الربيع، وكان طويل القامة، رقيق العضل، خفيف شعر اللحية، أسمر اللون، تخالطه صفرة، وهو لا يزال بعنفوان الشباب، وبعد أن فتح الباب، دخل حاشيته إلى دار الرقيق، فأشرف منها على فسحة واسعة تحيط بها عدة غرف، وكانت

الفسحة مزدحمة بحاشية الفضل ، وانظارهم متجهة إلى الغرف كأنهم  
 يشاهدون بها شيئاً غريباً ، وبجانب الباب من الداخل غرفة لاستقبال الضيوف  
 مفروشة بالطناقب الفاخرة ، وفيها الوسائد المصنوفة بين الجدران المزخرفة  
 بالنقوش الملونة ، وكان الفضل قد دخل هذه الغرفة مع كبار خاصته ، ولبت  
 في انتظار ابن رامين الذي أقبل على الغرفة ، فرأى الفضل جالسا الأربعة ، وقد  
 أسند مرقبيه على ركبتيه ، فهرع إليه وأكبّ على يديه يقبلها ويدعو له ،  
 فضحك له الفضل وقال : أظننا اقلقتك بهذه الزيارة ؟ فقال : كلا يا مولاي  
 فإنّ زيارتكم شرف لنا ، وأشار الفضل إليه فجلس وقال له : إنّ مولانا ولي  
 العهد رغب إلينا أن نأتيه بما عندكم من القيان الحسان ، وعسانا نوفق إلى  
 ذلك ، وقد أحببنا زيارتك لمشاهدة الرقيق والتفرج على ما حوت من القيان  
 والجواري ، فقد قيل لنا أنها تحوي ما يعجب كل زائر إليها ، فقال ابن رامين :  
 في خضوع وأدب وذلك شأن النخاسين ، لقد تجشمت المشقة بهذه الزيارة  
 واوليتموني شرفاً لا استحقه ، وكنتم في غنى عن ذلك بإشارة منكم فتنقل  
 دار الرقيق بأجمعها إلى ما بين يدي مولانا حفظه الله ولكن اقبال سعدنا حملكم  
 على تكبّد هذه المشقة ، أما اذا شئتم ان تشاهدوا القيان والجواري في هذه  
 الدار ، فانكم ترون فيها ما لا يجتمع عند أحد سواها لأنني لم أدخر وسعاً في  
 اقتناء أحسن الرقيق الأبيض والأصفر والاسمر والاسود من القيان والجواري  
 والعلمان على اختلاف اللغات والعمر والمولد في العراق والحجاز ومصر  
 والشام والمجلوب من أقاصي البلاد من الترك والروم والفرس وطبرستان  
 والسند والمغرب ، فسأله الفضل : هل لديك بعض الجواري المغنيات ؟ قال :  
 كيف لا ، وقد تعلمن الغناء عند مغني مولانا أمير المؤمنين نفسه وحفظن  
 الأشعار الجيدة ، وأتقن الضرب على آلات الطرب : منهن العوادة والطنبورية  
 وضاربة الدف والطلبل ، فضحك الفضل وقال : كأنني بك تصف جواري  
 وقيان أمير المؤمنين ، وإنّ مولانا ولي العهد يريد مغنيات من القيان البيض .  
 فقال : كل ما يطلب مولانا عندي ، وسوف يرى ما يسره ، فتحفز الفضل  
 للقيام ، فهض ابن رامين ، ونهض سائر الحاشية ، ومشى هو بين أيديهم حتى  
 خرجوا من الغرفة إلى ساحة الدار ، فتسارع الخدم إلى الانزواء ، ووسعوا

الطريق الى الفضل فمشى وابن رامين بين يديه حتى قطعوا الساحة ووصلوا إلى الغرفة الأولى ، وكان بابها مفتوحاً قليلاً ففتحه ابن رامين بيده فرأى الفضل عدّة فتيات بيض صغيرات ، لا يتجاوز اكبرهن العاشرة من العمر ، لا يكسو ابدانهم إلا ما يستر العورة من الأطمار البالية ، وخشونة البادية ظاهرة عليهن بارسال شعورهن على طبيعتها لم يمستها مشط . ورأى جمال البداوة يتجلى من اشراق وجوههن البيض ، المشوبة بحمرة ، دليلاً على الصحة والعافية . وناهيك بجمال العيون الساحرة ، ومنهن شقراء الشعر ، زرقاء العينين وسوداء الشعر والعينين . فلما وقع نظرن على الفضل ورجاله ففرن نفور الطباء من الصيادين ، وظهر الرعب والخوف في وجوههن ، والغرفة اضيق من أن تتسع لفرارهن ، فجعلن يستترن بعضهن وراء البعض وعيونهن شاخصات ، وأخذ بعضهن في البكاء واستغثن بلغة لم يفهمها أحد من الوقوف ، فدهش الفضل لذلك المشهد الغريب ، ونظر إلى ابن رامين ، فابتدره ابن رامين قائلاً : لا تعجب يا مولاي لما تراه من هولاء من بداوة الفطرة فان معظم اللواتي في قصر الخليفة وقصور الأمراء من الجوّاري والقيان ، كنّ في بادئ الأمر مثل هولاء ، وقد أتيت بكم الى هذه الغرفة لأريكم حال الجوّاري والقيان عند قدومهن لتعلموا كم تقاسي في تربيتهن وتعليمهن حتى تنبغ منهن القينة التي تباع بألف دينار أو اكثر .

فقال الفضل : إنّه لعمل شاق ، وهل كانت (دنانير وعرب وذات الخال) وغيرهن من القيان الفاتنات في مثل هذه الخشونة ؟ قال : نعم إن اكثرهن مجلوب على هذه الحالة . فقال الفضل : ايجوز حرمانهن من ذويهن وأهليهن وجلبهن على هذه الصورة ؟ فتبسم ابن رامين وقال : إن استرقاقهن من اكبر أسباب السعادة لهن ، فينقلن من خشونة البداوة وشظف العيش إلى المدينة والترف ، وقد يراهن من رخاء العيش ما لا تبلغه بنات الأمراء ، خصوصاً من كانت منهن جميلة الوجه ، رخيمة الصوت ، والقليل منهن ينبغ فربّما نبغت واحدة من كل خمسين أو ثمانين ، فمن وجدنا فيها الذكاء والصوت الرخيم ، علمناها الغناء وحفظناها الأشعار .

رأى الفضل أن أمر التطلع قد يطول ، فقال : أرنا أحسن ما عندك

ودعنا من هذه التفاصيل فليس في الوقت متسع لرؤية كل ما في هذه الغرف ،  
 فتجاوز ابن رامين عدة غرف حتى وصل الى غرفة فاذا فيها فتيات بعضهن بين  
 الخامسة عشر والعشرين من العمر ، تبدو سذاجتهن ، ويلبسن ثياباً من الأثواب  
 البسيطة وشعورهن مرسلة او مجدولة ، وفي آذانهن اقراط ، وفي اعناقهن  
 عقود من الخرز الملون وفيهن جمال النساء الفاتنات وحيأوهن ، فلما  
 رأين الفضل ورجاله غلب عليهن الحياء وتولاهن الخوف ،  
 فوقع نظر الفضل على واحدة منهن ، رأى في عينيها سحرا ،  
 وفي قامتها رشاقة ، وقد زادت السداجة حسنا وجمالا فوقعت في  
 نفسه موقعا حسنا ، فكلمها بالعربية فلم تفهم مراده ، ولكنها أدركت أنه  
 يناديها ، فنفرت واختبأت وراء جارتها ، وحولت وجهها وغطته بذراعها ،  
 فأعجبه ذلك النفور ، فقال : أين العباس بن الاحنف ، والحسن بن هاني  
 ابو نواس ، ليصفان هذا المنظر الجميل في شعرهما فقال ابن رامين : صدق  
 مولاي ، ليتهما هنا ؟ وأظن ان هذه الجارية اعجبتك ، إن هذه الجارية من  
 طبرستان ، اشتريتها في جملة جوار من نوعها فليس منهن اجمل منها ،  
 فكيف لو رأيت الجواري المولدات من البصريات والكوفيات ، وبينهن  
 من اذا أفرغت عليها جرة ماء وهى قائمة فلا يصيب ظاهرة فخذيها شيء لعظم  
 عجيزتها ، فضحك الفضل لمهارة ابن رامين في وصف النساء على شيخوخته  
 وقال له : أراك ماهرا في وصف القيان الحسان ! فأجابه ويده على لحيته :  
 وأين قضيت هذه الشبية يامولاي . فقال الفضل : اذهب بنا الى الجواري  
 المولدات ، فقام وتبعه الفضل والحاشية ومشى حتى وصل الى غرفة وفتح  
 بابها ووسع للفضل ، فدخلها فرأى الغرفة مفروشة بالبسط الفاخرة والوسائد  
 وفي بعض جوانبها ثلاث من القيان البيض جالسات ، وقد فاحت رائحة  
 المسك منهن ، وعلى احداهن ملحفة معصفرة فوق غلالة حمراء ، وعلى  
 رأسها عصابة مزركشة ، وقد أرخت تحت العصابة سالتين ، علق في طرف  
 كل سائلة ياقوتة حمراء ، وأرخت شعرها كأنه الليل على محيا كالبدر  
 المنير ، وتعطرت بعطور ملأت رائحتها أرجاء الغرفة ، وهى أجمل من  
 صاحبتيها خيلقة ، وأحسن هيئة ، على ان صاحبتيها كاتتا في مثل لباسها ،

ولكنها تفضلهما بجمالها الفتان ، وبعينيها السوداوين ، ولونها الايض فى صفاء البلور ، وفي عنقها عقد من الحقيق ، وكانت جالسة بين رفيقتيها على وسادة ، فلما فتح الباب أبتدأها ابن رامين قائلاً :

قومي يا (قرنقله) وقبلي يد مولانا الفضل بن الربيع ، وكانت تعرف هذا الاسم وعلاقته بقصر الخليفة ، وتحضرت للوقوف ، وطال تحفظها لثقل أردافها ، ثم مشت وهي تتمايل وسراويلها تشني فوق قدميها ، حتى اذا مادنت من الفضل هشت له وابتسمت ابتسام التحية بلطف ورقة ، وانحنت تقبل يديه فمنعها من ذلك والتفت الى ابن رامين التفاتة استحسان فقال ابن رامين خاطبها يا مولاي فأنها فصيحة اللسان . فحياها الفضل فاجابته بأفصح لسان فادرك من لهجتها انها بصرية ولكنها تختلف عن اهل البصرة بلون الوجه وسائر الملامح . فنظر الى ابن رامين نظرة المستفسر وقال لعلها من اهل البصرة ؟ فقال كلا يا مولاي ولكنها ربيت في البصرة منذ طفولتها وأصلها من بلاد الكرج وقد ابتعتها صغيرة وآنست فيها ذكاءاً وجمالاً فارسلتها الى البصرة وتعلمت العربية وحفظت الاشعار . ولما عادت الي اعجبنى نطقها ورخيم صوتها ورأيت ماعلمته من رغبة رجال الدولة اقتداءً بأمر المؤمنين تعليم الجوارى البيض الغناء فرغبت الى ابراهيم الموصلى من تعليمها فأنتى حتى بذلت له المال الكثير وصرت ابعثها اليه كل صباح تأخذ عنه الغناء حتى اتقنت هذه الصناعة واصبحت نادرة بين القيان ولا نظير لها حتى في قصر الخليفة . وكان ابن رامين يتكلم والفضل يتأمل بحال الجارية . وكانت قد انزلت عوداً معلقاً على الحائط فانحصر كمها عن يدها فباتت بضاضة زندها وعليه الاساور والدمالج ورأى قرطياها يلمعان في اذنيها ، فقال الفضل قلت انها تحفظ الشعر والعربية ، قال اسألها ماشئت واسمع حديثها وانظر الى العصابة واقراً ما عليها فقرأ واذا به :

بدر على غصن نظير      شرق الترائب بالعبير  
نظت صحيفة خده      من صفحة القمر المنير

فاعجبه ذلك اعجاباً شديداً. فتحقق لابن رامين ان الفضل سيشتري هذه

الجارية لامحالة فراد ان يرغبه في الاخريات و اشار الى احدهن اشاراً فهمتها فانزوت في بعض الغرفة والتفت الى مرآة معلقة بالحائط بحيث لا يظهر وجهها لأحد وكان الفضل مشتغلاً عن ذلك بمراقبة الجارية الاولى وهي تتلهم بأصلاح اوتار عودها ، فلما علم ابن رامين ان الجارية الثانية اتمت وصيته التفت الى الفضل وقال يا مولاي انظر ما على وجنة هذه الجارية ! وقال لها تقدمي (ياسوسنة) فأنت تتهادى بمشيتها وثوبها الارجواني يتموج بلمعانه فنفرس الفضل في وجهها فرآها قد كتبت على خدها الناصع بالمسك الفضل بن الربيع فافتتن بها ورغب في هذه الجارية ايضاً ، وادركت الجارية الثالثة رأيه وخافت ان تبقى وحدها وهي تعد ذهابها مع الفضل نجاحاً كبيراً لاتطمع في احسن منه فانفردت جانباً وفي يدها تفاحة عالجتها سرا فناداها ابن رامين تقدمي (ياسلافة) فاقبلت على الفضل وقدمت التفاحة له فتناولها واذا عليها بيت من الشعر مكتوب بالغالية وهو :

اقول والركب قد مالت عمائمهم وقد سقى القوم كأس النعسة السهر  
فأدرك الفضل انها تشير الى ما يقوله الشاعر :

ياليت انى باثوابى وراحتلى عبد لاهلك هذا الشهر مؤتجر  
ان كان قد رما يعطيك ناقله منا ويحرمنا ما انصف القدر

فكانها تعرض له برغبتها في الذهاب مع رفيقتها . فاستحسن فطنتها وعزم على اتباع الجميع . وكان في عزمه سماع غنائهن ولكنه رأى انه ابطأ ولم يكن ميالاً الى اللهو والقصف وانما طاوع الامين بذلك . وخرج الفضل من الغرفة ويتبعه رجاله وابن رامين بين يديه وسار حتى ادخلهم غرفة الاستقبال لانه يرى في الوقت سعة . والتفت الى ابن رامين وقال : بعني هذه الجوارى الثلاث ، فوقف ابن رامين إجلالاً وقال هل على ولى العهد شرط او مساومة فان الجوارى جواريه ونحن كلنا عبيده سواء اعطانا مالا او لم يعط . فقال الفضل بارك الله فيك سوف ترى مايسرك فما عليك الا ان ترسل الجوارى الى قصر مولانا مع وكيلك لاخذ المال . وتحفز للنهوض و اشار الى الخدم ان يسرعوا في اعداد الركائب وخرج وهو متلثم بطرف عمامته اخفاء لما جاء من اجله وسار وحاشيته معه .

## القيان المؤدبات

في العصر العباسي زاد الاهتمام بتثقيف القيان والجواري الى جانب اهتمامهم بظرفهن وملاحتهن وقد جعلت الصفات الادبية لهن شأنًا وقيمة منها خفة الروح وتوقد الذكاء ورفاهة الحس • وحلاوة النكتة وسرعة الجواب ولطافة الفطنة والمجون المستحب كل هذا اصبح وجوده لازما في القيان والجواري • وقد فطن النخاسون الى ذلك فكانوا يهدون اولاء الى علماء اللغة والاداب لتثقيف قيانهم وجواربهم ليأخذوا عنهم آداب اللغة ومالحق بها من علوم اخرى ثم الى اساطين فن الموسيقى ورجالها لتعليمهن الغناء وما يتعلق به من حفظ الاشعار والانشاد ليصبحن قيانا بارعات مثقفات وليفخرن بهن حين تعقد حلقات المطارحة والمنادمة • ولهذا واضب رجال الفكر وعلماء اللغة والشعراء في التردد على هولاء القيان للتمتع في محاسنهن والاصغاء الى ما يدور بينهن في المباحث الادبية والقصائد الشعرية وقد نشأت كثيرات في هذا المضمار الادبي ومنهن الجاريتان اللتان قال لهما الخليفة الرشيد لتقل كل واحدة منكما شعراً فمن كانت ارق شعراً واحسن شأنًا حظيت عندي فقالت الاولى :

انا التي امشي كما يمشى الوجي يكاد ان يصرعني تفنجي  
من جنة الفردوس كان مخرجي  
وقالت الثانية :

انا التي لم ير مثلي بشرٌ كلامي اللؤلؤ حين ينشرُ  
اسحر من شئت ولست اسحرُ

فقال لهما احسنتما واجدتما فما لواحدة فضيلة على الاخرى وحظيتا عنده اما ادبهن وحضور بدائهن وجميل ردودهن فشواهدة كثيرة شعرا او نثرا ومن ذلك ما وقع بين الخليفة المأمون وقينته عريب فقد اغضبها يوما



فهجرته فدخل عليه القاضي أحمد بن أبي دؤاد ، فقال المأمون يا أحمد تعال  
فاقض بيننا فقالت عريب لاحاجة لي في دخوله بيننا وانشدت ،

ونخلط الهجر بالوصال ولا يدخل في الصلح بيننا احد  
وبهذا حصل الصلح بينهما ،

ومرة اخرى عتب المأمون على عريب في بعض الامر فهجرها اياما ثم  
مرضت فعادها وقال لها : كيف وجدت طعم الهجر ؟ قالت يا أمير المؤمنين  
لولا مرارة الهجر ما عرفت حلاوة الوصل • ومن ذم بدء الغضب حمد عاقبة  
الرضا :

ومثل ذلك ما ذكره محمد بن علي بن عثمان قال كان ابي عند ابن  
كناسة والقينة دنانير يومئذ عنده فقال له اتريد ان اعرفك شيئا عن فهم دنانير  
وادبها قال ذلك ماكنت اتمناه فكتب اليها :

انك امرأة ضعيفة لكعاء فاذا جاءك كتابي هذا فمعجلي بالجواب والسلام  
فكتبت اليه : ساءني تهجينك اياي عند أبي الحسين • وان من أعياء العبي  
الجواب عما لاجواب له والسلام • فهز الي رأسه اعجابا بجواب دنانير  
لابن كناسه :

وسأل علي بن الجهم في ليلة منادمة جارية له • كم بيننا وبين الصبح ؟  
قالت • عناق مشتاق ! فجوابها يدل على ان الوقت طويل لان المشتاق  
يطول عناقه •

واستطرد يحدثها وقد طاب له الحديث والمسامرة معها •  
فقال • انظري الى القمر ؟ فاجابته ما اولئك بالجمع بين الضرائر • • وهو  
جواب يدل على توقد الذهن وسرعة الخاطر ،

ومثل هولاء القيان والجواري كثيرات كن يوقعن الشعراء بالاجوبة  
المسكتة • واشتهرت من بينهن ( عنان ) جارية الناطفي التي عاصرت أبا  
نواس وكانت لها معه مساجلات شعرية ومطارحات ثرية لا تخلو من المجون  
والاقتداع • وقد رآها يوماً وفي يدها طاقة نرجس فسألها اياها فضنت بها

عليه • فقل ما اقبح البخل ، فاجابته افبح من البخل شاعر مفلس • وجلس<sup>(١)</sup>  
ابو نواس الى عنان يوما فقالت كيف علمك بالعروض وتقطيع الشعر يا حسن ؟  
قال جيد قالت قطع هذا البيت :

اكلت الخردل الشا مي في قصعة خباز  
فلما ذهب يقطعه ضحكت به واضحكت • فأمسك عنها وأخذها في  
ضروب من الأحاديث • ثم عاد سائلا لها فقال كيف علمك بالعروض ؟ قالت  
حسن " يا حسن فقال قطعي هذا البيت ،

حوّلوا عنا كنيستكم يا بنسي حمالة الحطب  
فلما ذهبت تقطعه ضحك ابو نواس فقالت له قبحك الله ما برحت حتى  
أخذت بئارك •

واغرب من هذا ماحدث به بعض الهاشميين لاخوانه قال خرجت في  
ليل مظلم فرأيت امرأة ذات لباس فاخر وجمال نادر ووجه يلوح وعطر يفوح  
وحولها نسوة قد خفن بها كما تحف الهالة بالقمر ، فقلت :

( ان اخا الظلماء مستراب )

فسمع النسوة فاجابت التي خفن بها فكحلت الشطر الذي قلته  
( الا محبا شاقه لأجباب )

فسألت عن المرأة فقيل هي فضل الشاعرة قينة الخليفة المتوكل فتعجبت  
من سرعة خاطرها وحسن بديتها وبذلك صار كل من الخلفاء والامراء  
والشعراء اذا سمع جوابا شافيا من قينة أو جارية أعاده استحسانا له وربما  
كان هذا مدعاة لشرائها باغلى الاثمان او الانعام عليها بأئمن الجوائز •

(١) العقد الفرید طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر ج ٦ ص ٥٩

## الفصل الثاني

### اشهر القيان

#### بصبص

هذه اول نجمة من نجوم الغناء اللامعة بسماء بغداد فى العصر العباسى الذهبى وهى قينة من القيان اللواتى اكتض بهن منزل يحيى بن نقيس ومنزله معرض يضم خيرة القيان واحسن الجوارى يجتمع فيه اشراف بغداد لسماع غناء القينة بصبص التى امتازت على زميلاتها بما وهبها الله من حسن الصورة وقوة الحنجرة من الغناء مما جعلهم يلهجون بذكرها ويشنون عليها . ومن كان يغشى هذا المنزل محمد بن يحيى او عبدالله بن يحيى وعبدالله بن مصعب بن الزبير . ومر ابو جعفر المنصور الخليفة العباسى بالمدينة عائداً من الحج واقام بها اياما وغادرها دون ان تتوق له نفسه الى سماع المغنين والمغنيات . وابو جعفر فى غنى عن ذلك لانه رجل لاتبه لاهية عن مهام الخلافة والخلافة يومذاك فى بادىء نهضتها فقال عبدالله بن مصعب وقد تعرض بالخليفة المنصور ،

|                        |                         |
|------------------------|-------------------------|
| أراحل أنت أبا جعفر     | من قبل أن تسمع من بصبصا |
| هيهات أن تسمع منها اذا | جاوزت اليميس بك الاعوصا |
| فخذ عليها مجلساً لذة   | ومجلساً من قبل ان تشخصا |
| احلف بالله يميناً ومن  | يحلف بالله فقد اخلصا    |
| لو أنها تدعو الى يعبة  | بايعتها ثم شققت العصا   |

فلما بلغت الايات المنصور غضب ودعا بعبدالله بن مصعب وقال اما انكم يا آل الزبير قديما قادتكم النساء وشققتن معهن العصا حتى صرت أنت آخر الحمقى تباع المغنيات ؟ فدوكنم يا آل الزبير هذا المرتع الوخيم .

ثم بلغ أبا جعفر بعد ذلك أن عبدالله اصطحب مع بصبص وهي تغنيه:  
 اذا تمررت صراحيمة      كمثل ريح المسك او اطيب  
 ثم تغنى لي بأهزاجه      زيد اخو الانصار او اشعب  
 حسبت انى مالك جالس      حفت به الاملاك والموكب  
 فلا أبالي وإله السورى      أشرق العالم ام غربوا

فقال ابو جعفر • العالم لايبالون كيف اصبحت وكيف امسيت ولكن  
 الذى يعجبني ان يحدو لي الحادى الليلة بشعر العنبرى فهو آلف على سمعي  
 من غناء بصبص واحرى ان يختاره اهل الذوق والعقل ، وقال ابن ابي  
 الزوائد فى بصبص ،

بصبص انت الشمس مزدانة      فان تبدلت فانت الهلال  
 سبحانك اللهم ما هكذا      فيما مضى كان يكون الجمال  
 اذا دعت بالعود فى مشهد      وعاونت يمنى يديها الشمال  
 غنت غناء يستفز الفتى      حدقا وزان الحدق منها الدلال  
 وممن شغف ببصبص وهام بها محمد بن عيسى الجعفرى وطال عليه  
 ذلك • فقال لصديق له لقد شغلتنى هذه عن صنعتى واستحوذت على كل  
 مشاعري قم معى اليها حتى اكشفها واقع على سر نواياها فاستريح فاتها  
 فرحبت بهما ولما غنت لهما قال محمد اتغنين :

وكنت احبكم فسلوت عنكم      عليكم فى دياركم السلام  
 فقالت لا ولكنى اغنى :  
 تحمل اهلها عنا فمالوا      على آثار من ذهب العفاء  
 فاستحيا وازداد بها كلفا وعشقا فأطرق وقال اتغنين :  
 وأخضع بالعنبي اذا كنت مذبا      وان اذنبت كنت الذى اتنصل  
 قالت نعم واغنى احسن منه :  
 فان تقبلوا بالود تقبل بمثله      ومنزلكم عنا بأقرب منزل  
 وبهذا انهما تقاطعا فى بيتين وتواصلتا فى بيتين :  
 وغنت بصبص فى مجلس كان فيه ابو السائب المخزومي :

قلبي حبيس عليك موقوف      والعين عبرى والدمع مذروف  
والنفس في حسرة بغفتها      قد شف أرجاءها التساويرف  
ان كنت بالحسن قد وصفت لنا      فأنسى بالهوى لموصوف  
ياحسرتا حسرة اموت بها      ان لم يكن لى لديك معروف

فطرب المخزومي ونعر وقال لا أعرف لله قدره إن لم أعرف لك معروفك  
ثم اخذ قناعها من رأسها وجعل يبكى ويقول لها بأبى والله انت انى لارجو  
أن تكوني عند الله أفضل من الشهداء • وجعل يصيح واغوثاه يا لله لما يلتقى  
العاشقون ،

وكان فتیان قريش مفتونون بغناء بصبص وكثيراً ما كانوا يحضرون  
مجالسها وكان فيهم فتى يحبها ويشبب بها في شعره فسألته حاجة يقضيها  
لها فقام ليأتياها بها فنسى ان يلبس نعله ومشى حافيا فقالت له نسيت نعلك  
فعاد ولبسها وقال :

وحبك ينسيني عن الشيء في يدي      ويشغلنى عن كل شيء احاوله  
فأجابته وهى تعلم بحبه لها :  
وبي مثل ماتشكوه منى واتنى      لاشفق من حب اراك تزاوله

ومن هفوات المؤرخين التى شوهدت وجه الحقيقة وغيرت مجرى التاريخ  
ما ذكر عن بصبص ذلك أن الخليفة المهدي قد أعجب بها فأشترها سراً في  
خلافة ابيه وحجبتها عنه فولدت له عليّة بنت المهدي (١) المغنية • والسدى  
نعلمه ان ام عليّة هى (مكنونة) جارية المروانية اشترت للمهدى فى  
خلافة ابيه بمائة الف درهم وقد قالت عنها الخيزران • ماملك المهدي جارية  
اغلظ علي من (مكنونة) • فيستدل من هذا ان بصبصا هى ليست ام عليّة  
وهناك كثير في كتب الادب عنها لمن اراد الاستزادة •

(١) هو محمد المهدي بن المنصور تولى الخلافة سنة ١٥٨ هـ ٧٧٥م  
الى سنة ١٦٩ هـ ٧٨٥م

## غادر

لم يرد في اخبارها انها قينة من القيان الشهيرات ولا مغنية ممن المغنيات المحترفات وغاية ما هنالك انها جارية من الجوارى الحسان تفردت بالجمال الباهر والعقل الراجح ، وقعت في قلب الخليفة الهادي (١) موقعا عظيما ومن شغفه بها تزوجها وافرغ لها مكانا في قلبه • وكان يغار عليها من اقرب الناس اليه والمحب من طبعه ان يكون سيء الظن بحبيبه • وكلما اشتد فيه الحب كثرت هواجسه وزاد ظنه بحبيبه •

وفي يوم من الايام كانت غادر تغني الهادي وهو مصغ اليها فعرضت له فكرة اضطر بها اضطرابا شديدا كاد ان يقضى عليه وأخذ يلتفت يمينا وشمالا ويقوم ويعتد • فسأله من حضر من خواصه فقال تبادل الى ذهني الآن اني أموت وان أخي هارون يعتلي كرسي الخلافة من بعدي ويتزوج جاريته غادر ، فقالوا له : نعيدك بالله يا أمير المؤمنين الكل قبلك ، فأمر باحضار أخيه هارون وعرفه بما اضطر به فأجابه لا يكون هذا يا امير المؤمنين أبدا فقال لا أرضى حتى تحلف أني متى ما مت لا تتزوجها ، فحلف له واستوفى عليه الايمان من الحج راجلا وطلاق الزوجات وعتق المماليك وتسبيل ما يملكه ثم احلفها بمثل ذلك !•

ان الهادي خطا هذه الخطوة • وقد فاته ان المحب اذا كثر حبه وهاجت عواطفه يصيبه ضرب من الجنون • ولم يمض على ذلك شهر حتى مات الهادي وبويع الرشيد (٢) • ولما استقرت الخلافة له بعث الى غادر يخطبها فقالت له كيف يكون هذا ؟ وماذا تصنع بالايمان ؟

فقال اكفر عن الكل واصبح راجلا • فتزوجها وزاد حبا لها حتى انه

(١) هو موسى الهادي ابن المهدي تولى الخلافة سنة ١٦٩ هـ ٧٨٥ م

الى سنة ١٧٠ هـ ٧٨٦ م

(٢) هو هارون الرشيد بن المهدي تولى الخلافة سنة ١٧٠ هـ ٧٨٦ م

الى سنة ١٩٣ هـ ٨٠٩ م .

صار يضع رأسها في حجره وتنام ولا يتحرك حتى تنتبه! وأحياناً يأخذ المروحة بيده ويروِّح لها تاركاً وراءه ابهة الخلافة وعظمة سلطانها •

وظل يمرح في رياض محسنها وهو في غفلة من ريب الدهر ، فبينما هي نائمة كعادتها انتبهت فرعة مرعوية تبكى بكاءً حاراً فسألها عن حالها وما أصابها ؟ فقالت يا أمير المؤمنين رأيت أخاك الهادي واذ في سنة النوم بهذه الساعة وقد اخذ يعاتبني ويؤنبنى ويقول لى •

اخلفت وعدك بعدما      جاورت سكان المقابر  
وحلفت أن لا تحنثي      إيمانك الكذب الفواجر  
ونكحت غادرة أخى      صدق الذى سماك غادر  
امسيت في اهل البلى      وغدوت في الحور العوائر  
لا يهنك الألف الجديد      ولا تدر عنك الدوائر  
ألحقت لي قبل الصبا      حوصرت حيث غدوت صائر  
والله يا أمير المؤمنين فكأنى اسمع ما قال وكانما كتبه في قلبى فما نسيت  
منه كلمة واحدة •

فقال لها الرشيد انف عنك الفزع ما هذا الا اضغث احلام فقالت كلا كلا يا أمير المؤمنين وهي تضطرب وقد تغيرت سحتها واصفر وجهها وغارت عيها ولم تزل تضطرب حتى سقطت جثة هامدة ولحقت بالهادي •

## عليه بنت المهدي

ازدهرت الفنون الجميلة فى العصر العباسي وعمت الحضارة كل مكان وأخذ صوت الموسيقى يملأ أجواء بغداد معبراً عن رسالته الفنية ومفصحاً عن الحنة الغنائية فتلقاها الخلفاء واولادهم والأمراء والأغنياء بكل فخر واعتزاز • وبذل بعض الخلفاء واولادهم أقصى مجهودهم في تعليم صنعة الغناء واتقانها وخلدوا اسماءهم في سجل تعزز به الموسيقى وتاريخها ومن بينهم من الرجال نبع ابراهيم بن المهدي ومن النساء اشتهرت الأميرة عليه بنت المهدي التي كان

لها الحظ الأوفر والنصيب الكامل في الغناء العربي نشأت عليه اميرة عباسية  
تستقبل خلافة بعد خلافة فمن خلافة الجد والاب الى خلافة الاخوان وابناء  
الاخ فشبّت زهرة يانعة مدلله بين مقاصير الذهب واللؤلؤ ووسط الحرير  
والديج . وثقفت بما هو جدير بامثالها من بنات الخلافة والملك ، كانت  
عليه تقرض الشعر الجميل وتصنع له لحناً اجمل وتؤديه باعذب صوت  
واحسن اداء وقد جمعت بين شخصية الفنانة البارعة وصفات المتعبدة الزاهدة  
وكانت لا تغني ولا تشرب النبيذ الا اذا كانت معتزلة للصلاة الاعتزال  
الشرعي . فاذا طهرت آقبلت على الصلاة وقراءة القرآن والكتب الدينية والادبية،  
ولا تلتذ بشيء غير قول الشعر والمنادمة فيه .

وكانت مفتونة بالمطالعة والبحث في الكتب التاريخية والأدبية لا تنفك  
منها آناء الليل واطراف النهار . ولها مع اخيها الرشيد مواقف غزبية  
ومطارحات شعرية يلتذ بها الرشيد ويسجلها في مجموعة ذكرياته .  
ومما حد ثوابه ان الرشيد ارق ليلة فركب حماره وخرج متلثماً ومعه  
بعض خدمه وقصد بيت ابراهيم الموصللي فلما دخل عليه رأى عيدانا واثار  
لجلسة قد انتهت فقل ما هذا يا ابراهيم ؟  
قال وقد ظهر عليه الارتباك . يا امير المؤمنين لقد بعثت الي مولاتي عليه  
بنت المهدي بجريتين أعلمهما بعض الالجان . قال الرشيد عليّ بهما فحضرتا  
وامر الرشيد احدهما ان تغني فاخذت العود وشرعت تغني .

|                         |                        |
|-------------------------|------------------------|
| بني الحب على الجور فلو  | أنصف المعشوق فيه لسمح  |
| ليس يستحسن في شرع الهوى | عاشق يحسن تأليف الحجج  |
| لا تعيين من محب ذلة     | ذلة العاشق مفتاح الفرج |
| وقليل الحب صرفاً خالصاً | لك خير من كثير لو مزج  |

فطرب الرشيد وسأل لمن الشعر والغناء ؟ فقالت لسيدتي . قال ومن  
سيدتك ؟ قالت عليه أخت أمير المؤمنين فاطرق رأسه وحركه قليلاً ثم طلب  
الجارية الثانية امر ان تغني فاخذت تغني :

حجبت فان الحب داعية الحب - وكم من بعيد وهو مستوجب القرب



تفكر فأَن حدثت ان اخا الهوى  
واحسن ايام الهوى يومك الذي  
فأَن لم يكن في الحب سخط ولا رضى

فطرب الرشيد غاية الطرب وسأل عن الشعر والغناء ؟ فقالت انها  
لمولاتي عليه بنت المهدي . وطلب الرشيد المزيد من الغناء فغنت احداهن :

يا موري الزند قد أعيت قوادحه  
ما افبح الناس في عيني واسمهم  
لما علم الرشيد ان الشعر والغناء لاخته عليه نهض غير متوان وانصرف  
في ظلمة الليل مسرعا حتى دخل على عليه فذعرت لقدمه انها في تلك  
الساعة الرهيبة . فجلس ونظر اليها بأستغراب ؟ واستحلفها بترية المهدي ان  
تغني الغناء الذى سمعه من الجاريتين عند ابراهيم الموصلى . فدهشت لهذا  
الطلب المفاجيء ولم يكن منها الا أن غنته له . فقال لها أعندك هذا ولا أعلم!  
وتسم ليلته عندها وكانت من احسن الليالي التى مرت بالرشيد ،

ومن براعة عليه في الغناء الحكاية التالية :

أهديت الى الرشيد جارية ظريفة في غاية الجمال والكمال . فشغف بها  
وحلت بسويداء قلبه فجعلها جنة حياته يستظل بظلها الوارف ويرتشف من  
مائها السلسل ويتنعم برحيقها الحلو وينشق عبيرها الفياح . وقد اصطحب  
يوما واخرج كل قيانه وجواريه من قصره فكان جميع من حضر من قيانه  
وجواريه ماعدا الخدم زهاء الفى قينة وجارية في احسن زي من انواع  
التياب الفاخرة وشاع خبر هذا الاصطباح العظيم . وفزعت له ام جعفر  
وغلظ عليها ذلك . وام جعفر من طبيعتها كامرأة شديدة الغيرة واثار نفسها  
على غيرها . فارسلت الى عليه بنت المهدي تشكو ما آل اليه الرشيد وما  
امرف من الاموال الطائلة ارضاء لهذه الجارية التى سلبت عقله ، فارسلت  
اليها عثيه لايهولنك هذا فوالله لاردنه اليك فنظمت شعراً وصاغت به  
غناء ووضعت لاجراجه منهجا رائعا . وجمعت جواريهما وجواري ام جعفر  
والبستهن افخر الشياب وزينتهن بأبهى زينة مزودات بالعيدان والظنابير

والدفوف وفوجيء الخليفة بعد صلاة العصر بهذا الاستعراض الفخم الذي لم  
يألفه الرشيد من قبل ،  
وكان في مقدمة الجواري عليّة بنت المهدي من جانب وأم جعفر في  
جانب آخر والجواري يضربن بالعيدان والطباير والدفوف في نغم واحد  
ويرددن بصوت واحد .

منفصل عنى وما                      قلبى عنه منفصل  
يا قاتلى اليوم فمن                  نويت بعدى ان تصل  
فدهش الرشيد لذلك وتعجب ! واقبل معتذرا الى ام جعفر وهى على  
غاية السرور فقبلت العذر واهدته ثلاث جواري وهن (ماردة) ام المعتصم  
و (مراجل) ام المأمون و (فارهة) ام صالح بن الرشيد :  
هذه هي عليّة المحظية التي لا تغنى الا لأهلها واذا غنت تكاد تحرك  
الحجر وتستخف ارباب العقول الراجحة وتقتل النفوس المغرمة طرباً فكيف  
يهاجمها الرواة وينسبون اليها اشنع الاخبار (وما آفة الاخبار الا رواها)  
كيف تغرم عليّة بخدم الرشيد وأمامه الاشراف من العباسيين والامراء  
والقواد وغيرهم من ذوي المكانة والمقام الرفيع الذين يليقون بها وتليق بهم  
ويؤيد هذا ما اثبتته الدكتور مصطفى جواد في كتابه القيم ( سيدات البلاط  
العباسي ) وكان تصريحاً مشعباً بالاداة العقلية والنقلية ومن شاء فليراجعه ،  
ومما قاله حفظه الله وابقاه ،

« قالوا انها كانت تحب مملوكاً لاخيها الرشيد اسمه (طل) على نحو  
ما يفعل السادة المتواضعون مع عبيدهم فمنعها الرشيد من ذلك خشية قالة  
السوء لأن الناس يسيئون الظنون ويجعلون الارجيف كالذى رآته العيون .  
ولقد نحلها الرواة شعراً غيرها لانها لحنته وغنت به ، ولان منهم من يريد  
تقبيح اخبارها والانتقام منها ومن اهلها قالوا انها نظمت شعراً في المملوك  
(طل) وغنت فيه وصحفت اسمه الى الظل وفي رواية انها قالت شعراً فى  
مملوكها (رشاً) وكنت عنه بزئيب وزيب الى غير ذلك مما هو سهل  
المتلفيق صعب التحقيق على أن العدو اذا أراد مقالا في عدوه وجد له مجالاً

وانا اقول ان عثية بنت المهدي مع مقامها الرفيع وفتحها المستحب كانت  
تجيد قرص الشعر وتحسن صياغة الالجان فيه . واذا صح انها قالت شعراً  
من اسم ( طل ) ورشاً فما ذاك الا تلاعباً في الاسماء أو ضرباً من رفاهية هذه  
المتفنتة . أو أنها سلكت سلوك الشعراء المتقدمين كقول امريء القيس وهو  
يشب باسم فاطم في معلقته المشهورة ،

أفاطم مهلاً بعض هذا التدل وان كنت قد ازمنت هجري فأجمل  
فمن هي فاطم ياترى ؟ اليس هذا اسم من اسماء الترفيه او من الخيال  
الشعري الذي يلازم الشعراء ،

وكذلك الاعشى يقول :

رحلت سمية غدوة اجمالها غضباً غليك فما تقول بدالها  
ولظرفة بن العبد مثله ،  
لخولة اطلال بيرقة ثمند  
والنابغة يقول في مية

يا دار مية في العلياء فالسند اقوت وطال عليها سالف الأبد  
وهذا حجر بن عمرو آكل المرار يقول

ان من غره النساء بشيء بعد هند كجاهل مغرور  
ولكعب بن زهير قصيدة اشتهرت بالبردة مدح بها النبي صلى الله  
عليه وسلم ويقول في مطلعها :

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول متم اثرها لم يفد مكبول  
وللعرجي في اسم سلمى ،

لو ان سلمى رأتنا لا يراع لنا لما هبطنا جميعاً ابطن السوق  
ولابن الاشعث في اسم زينب ،

خليلى عوجاً ساعة ثم سلما على زينب سعياً ورقياً لزينب  
ولو اردنا التوسع بمثل هذه الاداة الدامغة لضاق بنا المجال فسى  
هذا البحث ،

وظلت عثية معتزة بمقامها تحت أنظار الرشيد حتى توفي فحزنت عليه

حزنا شديدا وتركت الغناء • واقسمت ان لاتقوه به ما عاشت ولكن الخليفة محمد<sup>(١)</sup> الأمين كان مفتونا بغنائها وظل يستميلها حتى غنت مكرهة :

أطلت عاذلتي لومي وتفنيدي      وانت جاهلة شوقي وتسهيدي  
لا تشرب الراح بين المسمعات وزر      ظيباً غريراً تقى الخد والجيد  
قد رنحته شمول وهو منجدل      يحكى بوجته ماء العناقيد  
قام الأمين فاغنى الناس كلهم      فما فقير على حال •• بموجود

وكانت عثية يستهويها كل غناء جديد ، ولا تحاذر أن تسبب الى نفسها ما يروق لها من غناء ابراهيم الموصلي واسحاق ابنه ويقول الاخير أنه عمل لحناً من شعر ابراهيم بن يسار وهو :

سقيا لأرض اذا ما نمت نبهني      بعد الهدوء بها قرع النواقيس  
كان سوسنها من كل شارقة      على الميادين اذ ناب الطواويس

وقبل ان يغنى اللحن او يسمعه انسان احتالت عليه ( عثية ) فأخذته منه وأعطته عشرين ألف درهم على ألا ييوح لاحد انه لنفسه او يغنيه امام الخليفة • ورضي اسحاق على كره منه • وراحت عثية تغنيه للمأمون وهو يطرب له ويعجب لوضعه • وبعد موت علية دخل اسحاق على المأمون فغناه الغناء نفسه فدهش وقال من اين لك هذا ؟ وهو غناء عمتي عثية ! فروى له اسحاق القصة • فقال له المأمون يا بغيض وأي فخر لك من أن تبيع غناءك ثم تجهر به • فخجل اسحاق وحلف الا يغنى هذا الغناء ابدا ،

وقد ادركت عثية خمسة خلفاء من اهلها وهم ابوها المهدي واخواها الهادي والرشيد وابنا اخيها الامين والمأمون ، وذكر ان سبب وفاتها هو ان المأمون جعل يقبل رأسها بعد غناء غنته له وكان وجهها مغطى وشرقت من ذلك ثم حمت وبعد ايام ماتت •

(١) هو ابن هارون الرشيد تولى الخلافة من سنة ١٩٢ هـ ٩٠٨ م الى سنة ١٩٨ هـ ٨١٢ م .

## ذات الخال

وردة ثمينة وجوهرة لامعة في تاج بغداد عروس الدنيا ومدينة العلم  
والفن اسمها (خث) وعرفت (بذات الخال) لوجود خال على خدها أو على  
شفتها العليا لم ير الناس احسن منه في موضعه كانت لابي الخطاب المسمى  
قرين وهو نخاس شهير احترف مهنة النخاسة ببغداد ، يتجر بأسواقها  
بالتيان والجواري المولدات ،

وذات الخال فتاة لعوب وقينة طروب تستهوي الارواح وتعبث بالقلوب  
وفي مقدمتها قلب استاذها ابراهيم الموصلى حينما كان يعلمها الغناء . فما  
كان منه إلا أن تعلق بها ووقع في شرك هواها فأرسل فيها شعره وتغنى به  
وشهرها وشهر معها نخاسها ابا الخطاب ، ولما علم بذلك حجبتها عنه ولم يعد  
يراها الموصلى فقال فيها :

ما بال شمس ابي الخطاب قد حجبت      يا صاحبي لعل الساعة اقتربت  
أولاً فما بال ريح كنت آنسها      عادت الي بصد بعد ما جنبت  
اليك اشكوا با الخطاب جارية      غريرة بنفواذي اليوم قد لعبت  
فانت قيمها فانظر لعاشقها      يا ليتها قربت منى وما بعدت  
وزاد الموصلى بها شوقاً وغراماً فقال ،

اذات الخال اقصيت      محبباً بكم صبأ  
فلا انسى حياتي ما      عبت الدهر لى ربا  
وقد قلت انيليني      فقالت اقرف الذنبا

وقال وهو يتوجع في هذه الأبيات ويتغنى بها :

اذات الخال قد طال      بمن اسقمته الوجع  
وليس الى سواكم في الـ      نذي يلقي به فزع  
اما يمنعك الأسلا      م في قتلى ولا السورع  
وما ينفك لى فيك      هوى تفتره خدع

وفيها يقول وقد زاد به الوله :

فمن يرحم محزوناً  
أبى فيها وما يسلو  
بذات الخال مفتوتا  
وكل الناس يسألونا  
وقد أصبح مجنوناً  
ثوى في اللحد مدفوناً  
ويقول فيها وقد نفذ صبره وزاد ارقه ،

لذات الخال ارقنى  
بكى وجرى له دمع  
خيال بات يلثمى  
لما بالقلب من حزن  
إذا ادرجت في كفى  
فلا انساه او انسى

وظل الموصلى يشبب بها حتى اشتراها وسعد بها سعادة قصيرة فقد جنى عليه شعره فيها وتشبيبه بها حيث وصل خبره ونعته في محاسنها الى سمع الرشيد فبعث اليه واشترها منه وقد اغلى الموصلى بها الثمن ولايهم الرشيد ذلك فقد قيل ( ومن يخطب الحساء لم يغله المهر ) .

اخذ الرشيد ذات الخال وحجزها في قصره فنعّم بها ومال اليها ميلا شديدا حتى طغى حبها عليه وجلس ينظر الى وجهها المشرق البديع ويحلق في نجوم السماء فيتخيلها عقدا فريدا في نحرها ولكن الحرص الشديد والغيرة العنيفة التي عرف بها الرشيد نغصت عليه سعادته بها وقد خامره الشك فيها . والمحج كثير الهواجس سيء الظنون . ولم تدر بما كان يكنه الرشيد في قلبه نحوها ؟

اكان ذلك لنقص في جمالها ؟ وهى كالبدر المنير ! ام كان من ناحية ثقافتها الادبية والفنية . ولها الحظ الوافر والنصيب الاوفى منهما ، فلعل ذلك كان من ناحية انها ليست خالصة له ! وللرشيد الحق في ذلك . فكيف يستخلص لنفسه ويتخذ لانس وطربه من شبب وتغنى بها ابراهيم الموصلى، وقد يكون غير الموصلى احبها واجته . والذى لاشك فيه انها كانت سلعة معروضة للشعراء وغيرهم . ان الرشيد لم يخطيء فيما تخيل له وقد سألها في مجلس شراب وقد شدد عليها أن تصدقه ، اكان بينك وبين الموصلى

شيء ؟ فتلكأت ثم قالت وقد اعترها الخوف والفرع • (اجل مرة واحدة)  
والانسان اذا شدد عليه في افشاء سر أودع اليه فلا عبرة بتعهده أن يكتمه  
وقد يكون الاحاح عليه في كتمان من بواعث ترغيبه في افشائه ، والنساء  
اقل صبرا على حفظ الاسرار من الرجال ، فصدقها الرشيد وتألم الما شديدا .  
فأمام هذه الثورة النفسية وهذا الموقف الحرج لم يكن صعبا على الرشيد  
ان يتخلى عن ذات الخال ويتنازل عنها هبة لوصيفه حمويه وبين عشية  
وضحاها غادرت ذات الخال قصر الرشيد • واصبحت سميرة حموية  
ونديته • وما ان غربت الشمس حتى ازدحمت على الرشيد الخواطر  
والهموم وقد اسدل الليل ستاره على ضوء النهار المشرق واخذ يناديها ولا من  
مجيب في جوف ذلك الليل البهيم الا صدى اخر كلمة قالتها ذات الخال  
وهي وداعا يا أمير المؤمنين لتبقى تسلية له في وحدته وتخفف من آلامه وأخذ  
يناجي نفسه ويقول :

كيف ثور بي الغيرة فانتزع من يدي خاتما لؤلؤيا كان متعة ناظري  
وانس روعي ؟ وكيف اصبر عنها وهي بعيدة عني ؟  
وظل مولها بها لاتبرح من فكره ، وقد اشتاقها الرشيد يوما بعدما  
وهبها لحمويه قال له ما صنعت الاقذار بذات الخال عندك ؟ قال يا امير المؤمنين  
انها قررة العين ومتعة السمع والبصر •  
قال الرشيد ويلك يا حمويه وهبنا لك ذات الخال على أن تسمع غناءها  
وحدك ؟ قال حمويه ما تأمر يا امير المؤمنين ؟

قال الرشيد نحن عندك غدا ، وفي اصيل اليوم التالي اقبل الرشيد  
الى بيت حمويه ليرى ذات الخال • واذا بها فوق خياله لقد رآها تتبختر  
في عقود من الجواهر • وتميس في حل ثمينة تزيد قيمتها على اثني عشر  
الف دينار فلم يكن من الرشيد الا التعجب حينما رأى عقودا وجواهر لا قبل  
لحمويه بها ، فنظر اليه شزرا وحملق في وجهه غاضبا وقال ويلك يا حمويه  
من اين حصلت على هذه الجواهر والعقود وعهدى بك لاتملك شيئا قل من  
اين وصل اليك هذا ؟ وكان حمويه قد استأجرها من بعض الجوهرين

لاستقبال الخليفة على حال تليق به عظمة ومقاما • فصارح الخليفة بذلك ولم  
يكتفم عنه شيئاً • فامر الرشيد باحضار صاحب الجواهر فاشتراها منه واهداها  
الى ذات الخال •

ويبدو من هذا أن ذات الخال لا بد من رجوعها الى قصر الرشيد •

ولا بد من تعويض يناله حيويه من الرشيد فطلبت ذات الخال من  
الرشيد أن يوليه ديوان الخراج بفارس سبع سنين ففعل الرشيد ذلك وكتب  
له وثيقة به وأكد على ولي العهد بعده أن يتمها له ان لم تتم وهو في قيد الحياة •  
وفي الصباح الباكر احتفل جواري قصر الرشيد بقدوم ذات الخال وغدا  
القصر يموج بالقيان وعلامات الفرح والسرور بادية على وجوههن • كيف  
لا وهي احدى القيان الثلاث اللواتي استولين على قلب الرشيد • والقيان  
الثلاث هن (سحر) و (ضياء) و (خث) أي ذات الخال • وفيهن قال الرشيد  
وقد قيل أن ابن الاحنف قالها على لسانه :

ملك الثلاث الآنسات عناني وحللن في قلبي بكل مكان  
مالي تطاوعني البرية كلها واطيعهن وهن في عصياني  
ما ذاك الا ان سلطان الهوى وبه قوين اعز من سلطاني  
ولما عادت ذات الخال الى الرشيد اصبحت معتزة بمكاتها آمرة ناهية  
ترضى وتغضب • وتغار وتثور • ولكن قلب المرأة كالزهرة تذب لها الريح  
وتنعشها قطرة الندى •

ومن حب الرشيد لذات الخال وشغفه بها انه وعدها أن يجيء الليلة  
عندها لسماع صوتها فلما خرج متوجها اليها واذا بجارية غيرها تقطع عليه  
الطريق وتنتزعه منها قبل أن يصل اليها ويذهب الرشيد ويقضي ليلته عند تلك  
الجارية • فاتقدت نار الغيرة في ذات الخال وماذا تصنع ؟ وليس لها سلطان  
على الرشيد • انها لا تستطيع مقابلة الرشيد بشيء يقهره الا أن تجعل جمالها  
الذي فتن الرشيد موضع الانتقام • فقامت بقطع الخال من على خدها وهو  
حلية جمالها اذ كانت أنظر القيان وجها وأحسنهن جاذبية بهذا الخال العنبري  
لقد جنت على نفسها وعلى قلب الرشيد الذي شغف بها بهذا العمل الجنوني



فبذلك محت آية من آيات جمالها وطمست فتنة وجهها بقطعه منه • ولما علم  
الرشيد بذلك ترك ما هو عليه من الأوس وراح يؤنبها على فعلها هذا وانصرف  
غضبان أسفاً وسأل من بالباب من الشعراء فقبل له العباس بن الأحنف وأدخل  
عليه وحدثه بما حل بذات الخال وأمره أن ينظم ذلك شعراً ثم يصوره  
ابراهيم الموصلي أنعاماً فقال :

تخلصت ممن لم يكن ذا حفيظة      وملت الى من لا يغيره حال  
فان كان قطع الخال لما تعظفت      على غيرها نفسي فقد ظلم الخال

فكان هذا خير تسلية للرشيد وأمر للعباس بجائزة ألفي دينار وقام  
الرشيد الى ذات الخال فترضاها واعتنقته وبكت، ومن شعر العباس بن الأحنف  
في ذات الخال قوله :

الاليت ذات الخال تلقى من الهوى      عشير الذي القى فيلتثم الشعب  
اذا رضيت لم يهنني ذلك الرضا      لعلمي به أن سوف يتبعه العتب  
وابكى اذا ما اذنت خوف صدها      واسألها مرضاتها ولها الذنب  
وصالكم قطع وجبكم •• قلى      وعظفكم صد وسلمكم حرب  
وفيها قال :

جزى الله من كلفت يوماً بحبه      وليس به إلا المموه من جبي  
وقالوا قلوب العاشقين رقيقة      فما بال ذات الخال قاسية القلب  
وقالوا لها هذا محبك معرضاً      فقالت ارى اعراضه ايسر الخطب  
فما هو إلا نظرة بتبسّم      فتتشب رجلاه ويسقط للجنب

ولئن استهدف ابن الأحنف دلال ذات الخال وبديع غنائها فذلك شأن  
كل شاعر اتصل فنه بفنها •

والشعراء غير ابن الأحنف شعر كثير في ذات الخال مما يشعرونا انها  
قينة تتمتع بما تتمتع به القينة المتمازة من صفات طيبة تميل اليها القلوب  
وتستهويها الأفئدة •

## دقاق

ما عجبت واستغربت في أخبار القيان والجواري التي مرت بي في كتب الأدب أكثر مما عجبت من سيرة القينة دقاق جارية يحيى بن الربيع ، فقد اعتنى في أمرها وأدبها وخرّجها في الغناء على أكابر الأساتذة فيه في العصر العباسي حتى أصبحت مغنية بارعة يكتنفها جمال بديع وفتنة ساحرة . كانت دقاق تغني لمولايها وحده لأنه كان ضئيلاً بها شديد الغيرة والحرص عليها حتى لم يعرف عنه انه عرضها للبيع يوماً ما أو قيل أهداها لبعض من طلبوها منه .

وروى أنها ولدت ليحيى ابنه أحمد المعروف باسم أمه دقاق ، وان يحيى مولايها اعتقها قبل وفاته فتزوجت ثلاثة قواد معروفين فماتوا جميعاً واحداً واحداً وهي لم تزل بريعات الشباب تتمتع بحسنها وجمالها وفتنتها ودلالها . دقاق امرأة هتكت ستر الحياء بعيدة كل البعد عن حشمة المرأة الحرة ، جبلت طبيعتها على الدعارة الممقوتة تعيش عيشة المرأة المتهتكة لا يهملها خجل أو حياء . والحياء من ألزم الصفات للمرأة فهو لها حلية ثمينة لا يقدر لها ثمن . والمرأة الكاملة الشريفة روضة مزدهرة يفوح شذاها ويضوح أريجها وينتشر في الجو عطرها . لها وداعة الطباء وثورة اللبوة عند الغضب ومن أعمال دقاق التي لا تتفق مع سمعة مولايها ومركزه الاجتماعي انه اذا غاب عنها بضعة أيام وصف لها الجو في دارها تراسل أناساً لا قيمة لهم لها صلاة معهم فيلتقون معها في دارها بدون أن يعلم أحدهم بالآخر . وبذلك اشتهرت بين الناس ولاكتها الألسن ومجتها الأفواه وهجاها الشعراء هجاءاً لا ذعاً ومن هجاها وعرض بمولايها بعد موته ابو موسى الأعمى قال :

قل ليحيى تمم صبرت على الموتي ولم تخش سهم ريب المنون  
كيف قل لي اطلقت ويحك يا يحيى على الضعف منك حمل القرون  
وكانت تواصل جماعة يميلون اليها وترى كل واحد منهم أنها تهواه ،  
فقال فيها أبو اسحاق ابراهيم بن المهدي :

عدمتك يا صديقة كل خلق      اكل الناس ويحك تعشقينا  
كيف اذا خلطت العث منهم      بلعم سمينهم لا تبشميننا  
ولما مات القواد الثلاثة ادين نزوجوا منها اصبحت في نظر الناس مصدر

خوف وفزع لانها شؤم على كل من زوجها وهدم جهاه بذلك عيسى بن زينب فقال:  
قلت لما رايت دار دقاق      حسنها قد اضر بالعشاق  
لم تضاجع بعلاء فهب سليماً      لا يكونن نجمه في محساق  
حدروا الرابع الشقى دقافاً      بل جريحا وجرحه غير راق  
وروى ابن حمدون ان دقافاً كتبت رسالة الى ابي تصف فيه جسمها  
وصفاً مشيراً اعجزه الجواب عليه فقال له صديق ابعت الى احد المخثنين ليكتب  
اليها جواباً شافياً فكتب المخثن بذلك وألقمها حجراً والكتاب تجوز قراءته في  
كتاب الأغاني ولا يطلو نقله<sup>(١)</sup> . وحدث أحمد بن علي بن جعفر قال حضرت  
مرة مجلساً وفيه أحمد بن دقاق وحضر النصراني المعروف بابي الجاموس  
اليعقوبي البزاز فعبث ابن دقاق بأبي الجاموس وأثر عليه العبث فقال  
النصراني أسمعوا مني وحلف بالحنيفية أنه لا يكذب .

قل مضيت وأنا غلام مع أستاذي الى باب حمدونة بنت الرشيد ومعنا  
بز عرضه للبيع فخرجت الينا دقاق أم هذا ، وأشار الى أحمد ، تقاولنا في  
الثن وفي يدها مروحة كتبت على أحد وجهيها كذا وعلى الوجه الآخر كذا  
وقاله بنصه وهو كلام فحش بذيء فبهت الحضار وسكت ابن دقاق سكوتاً  
عميقاً علمنا منه لو أنه أخرس لكان الخرس أصون لعرضه ، وهذه نكبة أصابت  
أحمد فلم يستطع أن يدفع عن نفسه اذى الناس ويقف في وجوههم ان عرضوا  
بأمه ، ودقاق التي عاشت بحصن من حصون البرامكة الذي دعاها أن تكون  
داعرة خليعة لا تعرف الحياء ولا يبريها خجل .

دقاق التي كان مولاها لا يسمح لأجد أن يسمع صوتها ولا يراها كيف  
أطلقت لنفسها العنان واتصلت بمن عشقتهم وأرسلتهم في غفلة منه ؟  
دقاق المصونة في دار مولاها لماذا خرجت من دارها وفي يدها مروحة

(١) الأغاني ج ١٩ ص ١٨٢

كبيرة كتبت على وجهيها عبارات تدعو الناس اليها بلا حياء وخجل ؟  
 دقاق نديمة حمدونه بنت الرشيد التي لا تتحدث الا بملحة طريفة ونكتة  
 نادرة كيف تصف جسمها لصديق لها بعبارات تنم على أنها امرأة ساخرة بالحياة  
 تتخالع وتتماجن لا يردعها رادع ولا يزجرها زاجر ؟  
 دقاق ربيبة كبير البرامكة تتزوج بثلاثة قواد وتطمح نفسها الى أناس  
 سوقة لا شأن لهم بين المجتمع •  
 هذه هي دقاق وهذه سيرتها المملوءة بالدعارة والأستهتار كيف لا أعجب  
 وأستغرب من سيرة حياتها ! •

## دنانير

عرف الخلفاء العباسيون بميلهم الشديد الى القيان واشتهروا بحبهم  
 لسماع الغناء منهن حتى صاروا لا يحلو لهم العيش بدونه •  
 ولقد أغرم الرشيد بالغناء وبلغ من غرامه به انه كان يغشى المجالس  
 العامة تاركا وراءه أهبة الخلافة وعز السلطان ليستمع الى غناء القيان المحترفات  
 وكثيراً ما كان يذهب الى دار خالد بن يحيى البرمكي ليسمع غناء جاريته  
 دنانير • ودنانير هذه كان مولها الأول محمد بن كناسة الشاعر العباسي  
 المعروف • نشأت في داره وكانت أحسن القيان وجهاً وأعذبهن صوتاً وأكملهن  
 أدباً وأكثرهن رواية للغناء القديم والشعر الجيد •

دنانير صفراء ذهبية اللون مولدة مليحة القوام تشنى كأنها غصن بان  
 أو قضيب خيزران • وكان لمولها صديق يسمى أبا الشعثاء أديب فكه يدخل  
 الى دنانير فيسمعها تغني فيطرب لغنائها ويثني عليه ويحادثها بلطف وأدب  
 ويعرض في حديثه لها أنه يهواها وهي تعلم بما يضره نحوها فقالت فيه :

لأبى الشعثاء حب باطن ليس فيه نهضة للمتهم  
 يا فؤادى فازدجر عنه ويا عبث الحب به فاقعد وقم  
 زادنى منه كلام صائب ووسيلات المحبين الكلم

صل ان احببت ان تعطى المتى  
يا ابا الشعثاء لله وصم  
ثم ميعادك يوم الحشر في  
جنة الخلد ان الله رحم  
حيث ألقاك غلاماً ناشئاً  
دفعاً فد كملت فيك النعم

وسمع يحيى بن خالد البرمكي بدنانير وما هي عليه من الأدب الرفيع والصفات الكاملة فاشتراها من ابن كناسة وانتقلت من منزل متواضع الى قصر منيف . وكان الرشيد لا ينفك من الحضور الى منزل يحيى فيسمع دنانير تغني فيطرب لغنائها ويعجب بمحاسنها ومن اعجابه بها انه أهداها في ليلة عيد عقداً ثميناً قيمته ثلاثون ألف دينار . وقد رد اليه عند مصادرة أموال البرامكة بعد الفتك بهم وكان الرشيد على علم بما لدنانير من المكانة في قلب يحيى واستمر يكرر زيارته اليه ويسهر معه أكثر لياليه . ودنانير تعلم أنها هي الدافع الوحيد لاستمرار زيارة الرشيد الى يحيى . وشاع حب الرشيد لدنانير ولم يخف ذلك الحب على أم جعفر ( زبيدة ) فشكته الى عمومته فعتبوه على ما بدر منه . فقال ما لي في هذه الجارية من أرب في نفسها وانما هي مغنية محسنة وأخذهم الى دار يحيى بن خالد واستمعوا الى دنانير تغني :

هذي دنانير تنسائي فاذا كرهها  
وكيف تنسى محباً ليس ينساها  
اعوذ بالله من هجران جاريتي  
اصبحت من حبها اهذى بذكرها  
قد اكمل الحسن في تركيب صورتها  
فارتج اسفلها واهتز اعلاها  
قامت لتمشى فليت الله صورني  
ذاك التراب الذي مسته رجلاها  
والله والله لو كانت اذا برزت  
نفس المتيّم في كفيّ ألقاها

ولما سمع أعمامه ذلك الغناء طربوا له ووعذروا الرشيد فيها وعادوا الى أم جعفر وأشاروا عليها أن لا تلح عليه فانه غير ملوم وظلت دنانير عند يحيى وهو شديد الحرص عليها وابراهيم الموصلي يرعاها بفنه فتلقت عليه أصول الغناء . فاذا غنت لم يعرف أهو غناؤها أم غناء الموصلي !  
وكان الموصلي يقول ليحيى اذا فقدتني دنانير عندك فانك لم تفقدني !!  
وحدث الموصلي قائلاً : قال لي يحيى بن خالد أن ابنتك دنانير عملت لغناء أعجبت به فقلت لها لا يفرنك حسن عملك حتى تعرضيه على أمستاذك

فاذا رضيه كان له الفوز والنجاح فيه • وان كرهه فجهدي لعمل غيره ، فقلت  
 أيها الوزير فكيف اعجابك أنت به ؟ فانك والله ثقب الفطنة صحيح التمييز ،  
 فقال يحيى أكره أن أقول لك انه أعجبني وانت غير معجب به • وانك رئيس  
 صناعتك تعرف منها ما لا أعرف وتقف من مضمونها على ما ليس لي به علم •  
 كما أكره ان أقول لك لا يعجبني وقد بلغ من قلبى مبلغاً محموداً ، وانما يتم  
 السرور اذا صادف منك تصويماً واستحسناً ، قال ابراهيم فمضيت اليها وقد  
 تقدم أن يحيى قال لدنانير اذا جاءك ابراهيم الموصلى فاعرضي عليه الغناء الذي  
 صنعته فان قال لك أصبت سررت لذلك وان كرهه فلا تعلميني فاني أكره أن  
 أسمع منك شيئاً غير حسن •

قال الموصلى فدخلت الدار واذا الستارة قد نصبت فسلمت على دنانير  
 من ورائها فردت عليّ السلام بأحسن رد فقالت يا ابة أعرض عليك غناءاً قد  
 تقدم لا شك اليك خبره وقد سمعت مولاي الوزير يقول انك يفتنون بغنائهم  
 فيعجبهم منه ما لا يعجب غيرهم وقد خشيت على غنائي أن يكون كذلك فقلت  
 هات فأخذت العود وراحت تغني :

نفسى اكنت عليك مدعيّاً      ام حين ازمع بينهم خنت  
 إن كنت مولعة بذكرهم      فعلى فراقهم الامت

قال ابراهيم فأعجبني والله غاية العجب واستخفف فيه الطرب فقلت لها  
 أعيديه فأعادته وأنا أطرب فيه موضعاً أصلحه وأغيره لتأخذه مني فلا والله  
 ما قدرت فطلبت اعادته مرة ثالثة فأعادته فاذا هو كالذهب المصفى ، فقلت  
 أحسنت واصبت فقد صرت تحسنيين الأختيار وتجيدين الصنعة • وخرجت  
 فلقيني يحيى بن خالد فقال كيف رأيت ابنتك ؟ قلت أعز الله الوزير ما يحسن  
 كثير من حذاق المغنين مثل هذه الصنعة • وقد قلت لها أعيديه فأعادته عليّ  
 مرات كل ذلك وأنا ألتبس فيه موضعاً لأصلحه فلم أجد ! فقال لي يحيى  
 وصفك لها يقوم مقام تعليمك اياها ، وقد سررتني وسأسرك فوجه اليه جائزة  
 ثمينه • وبعد الفتك بالبرامكة أمر الرشيد بنقل دنانير اليه فنقلت وأمرها أن  
 تغني فأبت قائلة يا أمير المؤمنين أني آليت ألا اغني بعد وفاة سيدي ابدأ •

فقل لها متهكماً ومن هو سيدك؟ قالت يحيى بن خالد . فغضب وأمر بصفعها  
فصفت وأقيمت على رجلها وأعطي العود لها فأخذته وهي تبكي أحر البكاء  
واندفعت تغني :

يا دار سلمى بالنازح السند      بين الثيايا ومسقط اللبد  
مالي رأيت الديار قد درست      ايقنت ان النعيم لم يعد  
فاتحبت فرق الرشيد وأمر باطلاقها فانصرفت وبقيت في دار من دور  
البرائكة التي أخنى عليها الدهر حزينة كنيية لا تفرح لنعمة ولا تطرب لغناء .  
ومما يذكر بعد أن أصبحت حرة ان عقيلاً مولى صالح بن الرشيد وقع  
في حياها وهام بها وشغف بذكرها فخطبها فردته واستشفع عليها بمولاه صالح  
والمغنية ( بذل ) والحسين بن محرز فلم تجبه وأقامت على الوفاء لسيدها  
يحيى بن خالد البرمكي فكتب اليها عقيل يقول :

يا دنانير قد تنكر عقلي      وتحيرت بين وعد ومطل  
شغفي شافعي اليك والا      فاقتليني ان كنت تهوين قتلي  
انا بالله والأمير وما آ      مل من موعد الحسين وبذل  
ما احب الحياة والله ان لم      يجمع الله عاجلاً بك شملى  
ولم يعطفها ذلك وبقيت على ما هي عليه من بكاء ونحيب الى أن ماتت  
ومما يجدر ذكره ان دنانير في أخريات أيامها عند يحيى بن خالد أصيبت بالعلة  
الكلبية فما كانت تصبر على الطعام ساعة واحدة وكان يحيى يتصدق بألفي  
درهم من أجلها في كل يوم من أيام الصيام في شهر رمضان .

## عنان

للقيان والجواري في العصر العباسي الزاهر الفضل الأكبر في نهضة  
الاداب عامة والشعر خاصة فمنهن من كانت تطارح الشعراء وتسابقهم في  
التصوير والتفكير وتعرض عليهم صوراً من انفعالات النفس والتعبير عما  
تكنه في مجامع قلبه وبما لم يمر بخيلتهم واحساساتهم منه . وكانت عنان  
جارية الناطفي<sup>(١)</sup> من تلكم الجواري الشاعرات والنيهات فقد كانت سريعة  
البديهة ترتجل الشعر ارتجالاً بما يطلب اليها بدون مشقة أو عسر . وهي  
الفارس المقدم في هذا المضمار وأفضل من عرف من طبقتها فيه . وكثيراً ما  
كان فحول الشعراء في عصرها يلقونها في منزل مولاها الناطفي فيقارضونها  
الشعر فتتنصف منهم وتتسامى عليهم .

عنان من القيان الحسان غلب عليها اسم مولاها الناطفي وصارت تدعى  
( عنان جارية الناطفي ) . وهي من مولدات اليمامة وبها نشأت وادبت ولرفة  
أدبها وفصاحة لسانها رغب الرشيد بشرائها فمنعه عنها استهتارها وما هجاها  
به الشعراء . وقيل انه احضرها لبيتاعها من مولاها وكان ثمنها مائة الف  
درهم فرفضها . ولما مات مولاها بيعت بمائتي ألف درهم ثم اعتقت بعد  
وفاة مولاها الاخير ،

وذكر مروان بن أبي حفصه قال لقيني الناطفي فدعاني لزيارته فذهبت  
معه فدخل اليها قبلي فقال لها جئتك بشاعر عظيم هو مروان بن ابى حفصه  
وكانت عليله تشكو من مرض اعترها فجأة فقالت اني عنه لفي شغل فأتى  
بسوط فضربها به ثم قال لي ادخل فدخلت وهي تبكي فرأيت الدمع كاللؤلؤ  
ينحدر من عينيها فقلت

بكت عنان مسبلاً دمعها كالدر اذ يسبق من خيطه  
فقلت وهي تبكي :

(١) الناطفي بائع الناطف وهو نوع من الحلوى اسمه القبيط ايضاً .



فليت من يضربها ظالماً تيسس يمناه على سوطه  
فقلت للناطفي احلف ولا احث ان كان فى الانس والجن مثلها :  
وذكر ان رجلا اعجب بييت شعر فاجهد نفسه للعثور على من يجيزه فلم  
يجد فقل له صديق عليك بعنان جارية الناطفي فأنها اهل لذلك فجاءها  
وانشدها ،

وما زال يشكو الحب حتى رأته تنفس من احشائه وتكلما  
فما لبثت أن قالت :  
ويكى فابكى رحمة لبكائه اذا ما بكى دمعاً بكيت له دما  
ودخل ابو نواس على الناطفي وعنان جاريته تبكى وخذها على رزة  
مصراع الباب • وقد كان الناطفي ضربها وهربت منه فأومى لابي نواس ان  
يحركها بشيء فقال ،

عنان لوجدت لى فاني من عمرى بما آمن الرسول بما  
يعني في اخر عمره لان آمن الرسول بما انزل اليه من ربه ،  
فردت عليه عنان ،

فان تمادى وما تماديت في قطعك حبلى كن كمن ختما  
فرد عليها ،

علقت من لواتى على انفس الماضيين والغابرين ما ندمنا  
فردت عليه ،

لو نظرت عينه الى حجر ولد فيه فتورها سقما  
ودخل ابو نواس يوماً دار الناطفي والمجلس حافل ما بين محب وامق  
وناظر متعجب ومستفيد متعلم • فقال ابو نواس لعنان اجيبني على هذا  
الييت ،

رأيت نجوم الليل لاحت كأنها من الذهب العقيان احمر خالص  
فقال عنان ،

فشبهتها ليلاً مصايح راهب عليه ثياب باليات قوالص  
وقال ابو نواس ،

وانى لاهوى من حبيب احبه مداعبة منه واهوى المداعقة

فقلت عنان ،

اجرعه ريقى واثرب ريقه      فما تنقضي مني ومنه المزاغة  
وكن أبو نواس تحلو له مجالسة عنان ومنادمتها فقال لها :

جعل الرحمن من وجـ      هك يا حسناء قبله  
فاذنى لى بصلاة      من محياك وقبله  
فردت عليه قائلة ،

انظر لي في المـرآة      تريك القبح جمـله  
وتأمل كيف ترجو      من جميل الوجه قبله  
وكانت عنان تعارض أبا نواس في الشعر وتتحداه فكتب اليها يوماً :  
يا ايها الطيبي الذي لحظاته      تصمى الفؤاد الا ترق وترحم  
هلا تفى ليكون وصلك غامراً      صباً بغير لقاك لا يتنعم ..  
ودخل ابان اللاحقى على عنان جارية الناطقى في يوم من ايام الصيف  
وهي جالسة في الخيش وهو ثياب في نسجها رقة \* وخبوطها غلاظ من  
الكتان وهو معروف في عدة أقطار عربية فقال لها اللاحقى :

لذة عيش الصيف في الخيش  
فقلت ..... لا فى لقاء الجيش في الجيش  
فقال اللاحقى ،

كل يوم باقحوان جديد      تضحك الأرض من بكاء السماء  
فقلت ،

هى كالوشى في ثياب يمان      جلبتها التجار من صنعاء  
وقال معرضاً بها ما احسن ما قال جرير ،  
فضلت ارعى صاحبي تجلداً      وقد علقتنى في هواك علوق  
فقلت غير متوقفة ،

اذا غلب الخوف اللسان تكلمت      بأسراره عين عليه نظوق  
وكان ابو النظير الشاعر يهوى عنان وكتب اليها

ان لى حاجة فرأيك فيها      لك نفسى الردى من الأوصاب  
وهي ليست مما يبلغه غيري      ولا استطيعه بكتاب

غير اني اقولها حين القا      ك رويداً اسرها في ثيابي  
فاجابته قائلة  
انا مشغولة بمن لست اهواه      وقلبي من دونه في حجاب  
واذا ما اردت امراً فاسرره      ولا تجعله في كتاب  
ولعنان شعر ينم عن عواطف جياشة مشبعة بلوعة الفراق ومنه قولها في  
رثاء مولاها الناطقي ،  
نفسى على حسراتها موقوفة      فوددت لو مزجت من الحسرات  
لو في يدي سيف ايامي اذا      لطرقتن تعجلاً لوفاتي  
خير لبعذك في الحياة وانما      ابكى مخافة ان تطول حياتي  
هذه هي عنان التي كانت مطمح أنظار الرشيد وقد أراد شراءها لولا  
اقوال الناس الذين قبحوها بعينه والناس مفطورون على حب الذات وقلما  
يعملون عملاً لا ينظرون فيه الا الى فائدتهم .

## دمن

ينبوع عذب يروي عشاق الأنس والطرب ، ودرة ثمينة رسبت في قعر  
بحر فن الغناء فأستخرجها اسحاق الموصلى فصقلها ووضعها بقلادة نحر  
الموسيقى واخذ يتباهى بها في دنيا القيان ، كانت ( دمن ) شيطانة مريدة  
تسترق السمع من مولاها اسحاق حين اخذت عنه احسن اغانيه بلا علم منه  
وطبعتها في ذاكرتها ، وسألها محمد بن موسى اليزيدي اي شىء اخذت من  
مولائك اسحاق من الغناء ؟ فاجابت ما اخذت عنه انا ولا واحدة من جواريه  
ولكن اغفلته يوماً وهو مشخن بالسكر فدخل الى البيت وهو يترنح يميناً  
وشمالاً فرأى عوداً معلقاً فاخذه وبدأ يجس اوتاره وقال لخادمه علي بدمن  
فجاء الى الخادم واخبرني فخرجت معه فلما بلغت الباب اذا هو مستلق على  
الفرش والعود في يده وهو يصنع هذا الغناء ويرده .

الا ليالك لا يذهب      ونيط الطرف بالكوكب  
وهذا الصبح لا يأتى      ولا يدنو ولا يقرب

وقد تمنع في هذا الغناء وبالغ في صنعه وتركيزه حتى استقام له ، اما  
أنا فعلت أنى اذا دخلت اليه ورآني أمسك عن الغناء وهو كما عرف ضنين  
بغناؤه فوقفت استمع ولا استطيع الكلام ولا الحركة لما خالط قلبي من اللذة  
والسرور وكدت اطير طرباً وانساً حتى فرغ منه واخذته عنه ثم وضع العود  
من يده وتذكر انه طلبني فقال يا غلام اين دمن ؟ فقلت ها اناذى يا سيدى  
فقال منذكم وانت واقفة ؟ قلت منذ ابتدأت بالغناء وقد اخذته منك فنظر  
الي وهو مغضب وقال هاته فغنيته حتى استوفيته . وقال وقد فتر وخجل  
قد بقيت عليك نقطة واحدة أأصلحها لك . فقلت لست أحتاج الى اصلاحك  
اياه وقد والله اخذته بكامله على رغمك فضحك عن حقد .

ومرت الايام ودمن تعلق في سماء الغناء وسطع نجمها حتى طار خبرها  
الى الرشيد انها جارية ظريفة تجيد الغناء بصوت يأخذ بمجامع القلوب  
وتحكمه مع ادب كامل وجمال فتان . فبعث الى اسحاق ليأتى بها اليه  
ليسمعها . فلما مثل اسحاق بين يديه ودمن معه امر لهما بالجلوس وقال  
لأسحاق دعها تغنى فاخذت العود وغنت الغناء الذي اخذته عن اسحاق  
السالف الذكر فطرب الرشيد وتعجب وقال لدمن لمن هذا الغناء ؟ فنظرت  
الى اسحاق وضحكت . وقالت سرقة منه فقال الرشيد وكيف ؟ فحكته له  
الحكاية ، فقال الرشيد مخاطباً اسحاق ارغب ان اشترى ( دمن ) منك .  
قال اسحاق هي بين يديك يا امير المؤمنين .

فاشترها منه وغادرت دمن منزل اسحاق وجلت بقصر الرشيد وشتان  
بين قصر الرشيد ودار اسحاق وظلت تقضى حياتها بمناظر قصر الرشيد  
الخلافة واشجاره المورقة التى تتمايل مع النسيم العليل وعلى افنانها تصدح  
العنادل بانغامها المقتبسة من انغام الموسيقى !

عاشت ( دمن ) بتلك النعمة والرشيد معجب بها لا ينفك من الأستماع  
الى غنائها ومضت السنون وهي تنمو وتزدهر باوراق صباها المتأرجة وثمار  
الأثوية الناضجة .

وروى ابراهيم الموصلي قال : دعاني الرشيد وهو مصطبح فلما مثلت  
بين يديه . اذن لي بالجلوس وفي تلك الساعة دخلت جارية كأنها خوط بان

حلوة المنظر طيبة الشمائل وفي يدها عود فأمرها الرشيد أن تغنى فغنت شعر

ابي نواس ..

توهمه قلبي فاصبح خسده      وفيه مكان الوهم في نظري اثر  
ومر بفكري خاطراً فجرحته      ولم ار جسماً قط يجرحه الفكر  
وصافحه قلبي فاله كفه      فمن غمز قلبي في انامله عقر

قال ابراهيم فذهبت والله بعقلي حتى كدت أن أفتضح وقلت من هذي  
يا امير المؤمنين ؟ قال هذه التي يقول فيها الشاعر :

لها قلبي الغداة وقلبها لى      فنحن كذاك في جسدين روح

فقال لها الرشيد زينا من غنائك فغنت ،

تقول غداة البين ان نساءهم      لي الكبد الحرى فسر ولك الصبر  
وقد خنقتها عبرة فدموعها      على خدها بيض وفي نحرها صفر  
فشرب الرشيد وسقاني ثم سقاها وقال غن يا ابراهيم فغنيت حسبما

في قلبي غير متوقف في شيء ..

تشرب قلبي حبها ومشى به      تمشى حياء الكأس في جسم شارب  
ودب هواها في عظامي فشفها      كما دب في المسوع سم العقارب  
فقطن الرشيد في تعريضي وكانت جهالة مني فأمرني بالانصراف ولم  
يدعني شهراً الى مجلسه ولما مضى الشهر دس لى خادماً معه رقعة فيها

مكتوب ..

قد تخوفت ان اموت من الو      جد ولم يدر من هويت بما بي  
يا كتابي فاقر السلام على من      لا اسمى وقل له يا كتابى  
ان كفاً اليك قد بعثتني      من شقاء مواصل وعذاب  
فاتانى الخادم بالرقعة فقلت له ما هذا ؟ فقال رقعة الجارية التي غنتك

بين يدي امير المؤمنين . فادركت ما انطوى عليه ذلك فشتمت الخادم ووثبت  
عليه وضربته ضرباً شفيته به نفسي وغيضي وركبت الى الرشيد من فوري  
واخبرته بالأمر واعطيته الرقعة وضحك حتى كاد يستلقى ثم قال على عمد  
فعلت ذلك بك لأمتحن مذهبك وطريقتك . فقمت وقبلت الأرض بين يديه  
وقلت يا امير المؤمنين بحق تربة المهدي الا قلت لي من هي تلك الجارية ؟

فقال الرشيد هي دمن جارية ولدك اسحاق ثم انصرفت بعد ان تفضل  
علي بجائزة .

## بذل

غص العصر العباسي بالقيان والجواري الحسان . وانك لتسمع  
الأحاديث المتعة عنهن فتطرب لطرائف أخبارهن وما نقلت الأسفار التاريخية  
عنهن . ولتجد في كل واحدة مزية لاتجدها عند اخرى فكانك اذا تمر بتاريخ  
اولئك القيان انما تطوف . . بروضة في كل غصن منها فاكهة طاب اكلها .  
ومن بينهن امتازت بذل بشيء هام اعنى الرواية والحفظ وجودة الغناء  
ومهارة العزف وحسن النقل ، وكانت بذل تزاحم اسحاق الموصلي وتتحدى  
ابراهيم بن المهدي بصنعتهما وحسبك بهما من زعيمين لأكبر مدرستهموسيقية  
في زمانهما !

كان ابراهيم بن المهدي يعظمها ويتعصب لها ويتودد اليها ثم استكبر  
عليها اعجاباً بما بلغه من مكاتته في الغناء فسارعت اليه لتعلمه درساً في  
التواضع لعظمة الفن . وطلبت العود وغنت امامه بايقاع واحد مائة لحن  
لم يعرف منها ابن المهدي لحناً واحداً ثم وضعت العود وانصرفت جذلة  
منتصرة ولم تعد الى داره بعد ذلك . حتى الح عليها في الرجاء والأعتراف  
بفضلها ، وكانت بذل مع سيطرتها على النواحي الفنية الرفيعة . جميلة  
الخلقة وسيمة الطلعة خفيفة الروح لها سحر اخاذ وعاطفة تسمو بها الى حياة  
راقية في ظل الخلفاء العباسيين . فاشتراها جعفر بن موسى الهادي .

فملكت مشاعره بظرفها وملاحظتها وحسن غنائها . وقد وصفت للخليفة  
محمد الأمين فحضر مجلس جعفر واستمع الى بذل فاعجب بحسن صوتها  
وجمالها فطلب شراءها منه ، فقال جعفر يا سيدى مثلى لا يبيع جارية . قال  
فهبها لى . قال ان رضيت فانصرف الأمين حانقاً ثم سطا عليه فأتزعا منه  
قهرأ وارسل اليه على كره منه عشرين الف الف درهم ثمناً لها وما زالت عند

الأمين مدة خلافته حتى قتل و يروى ان علي بن هشام كان يهوى بذل ويكتفم ذلك وانها هجرته مدة فكتب اليها :

تغيرت بعدى والزمان مغير  
واظهرت لي هجرأ واخفيت بغضه  
ومما شجاني انني يوم زرتكم  
وفي دون ذا ما يستدل به الفتى  
كفرت بدين الحب ان جئت بآبكم  
فان ذهبت نفسي عليكم تشوقاً  
ولو كان نجمي في السعود وصلتكم  
وخست بعهدي والملوك تخيس  
وافريت وعدا واللسان عبوس  
حجبت واعدائي لديك جلوس  
على الغدر من اجابه وقيس  
وتلك يمين ما علمت غموس  
فقد ذهبت للعاشقين نفوس  
ولكن نجوم العاشقين نحوس

وكانت بذل تتحدى على كل من يتناول على فنها ولم يسلم اسحاق الموصلى على عظم قدره وعلو مكآته في الغناء من تحديها له ، فقد حدث ان خالفها في نسبة لحن غنته في مجلس المأمون فامهلته ساعة ثم غنت ثلاثة ألحان واحداً بعد واحد . وسألت اسحاق عن مصدرها فتلعثم ولم يجب ، فقالت للمأمون يا امير المؤمنين هي والله لأبيه ابراهيم اخذتها من فيه فاذا كان هذا لا يعرف غناء ابيه فكيف يعرف غناء غيره ؟ فاشتد على اسحاق وظهرت على وجهه علائم الفشل الذريع ومما لا شك فيه ان هذه الألحان هي من صنع بذل ارادت ان تتحدى اسحاق بها كما كان هو يتحدى سائر زملائه . وقد روى حماد ابنه قال غنت بذل يوماً بين يدي ابي :

ان ترينى ناكل البدن  
كان ما اخشى بواحدتي  
فلطول الهم والحزن  
ليته والله لم يكن

فطرب ابي طرباً شديداً وقال لها احسنت يا بنتى :

وذكر ان المأمون كان جالساً يشرب ويبيده كأس اذ غنت بذل :

الا لا ارى شيئاً الذ من الوعد  
فغيرت كلمة ( وعد ) وجعلتها كلمة<sup>(١)</sup> لا تليق بمقام المأمون فوضع  
المأمون الكأس من يده والتفت اليها واجابها بجواب اضطربت منه وخافت

(١) اللفظ الصريح في الاغانى ج ١٥ ص ٢٣٨ .

من غضبه وقال لها اتمى الغناء فغنت ،  
 ومن غفلة الواشى اذا ما اتيتها      ومن زورتى ابياتها خالياً وهدى  
 ومن ضجة في الملتقى ثم سكتة      وكلتا هما عندى الذ من الخلد

وبلغ المأمون انها غضبى من على بن هشام فاكرهه على ان يذهب  
 اليها فيترضاها . وذهب علي اليها يوماً فاستأذن وهي تمشط شعرها فكرهت  
 دخوله عليها فقالت جاريتها ( وشيكة ) يا سيدتي اتتججين من على بن هشام؟  
 فدعت بخمار غطت به وجهها ورأسها واذنت له فدخل . وصاحت به بذل  
 ان كنت اتيتنا بأمر من الخليفة فأهلاً والا فآخرج فترضاها وطلب اليها  
 نسبة اربعة آلاف لحن الى أصحابها فكتبت له بها جميعاً في يوم واحد أ  
 ومما ذكر ان سبب موتها هو انها كانت جالسة عند المأمون فغنته وكان  
 حاضراً في المجلس موسوس يكنى بأبي الكركدن من اهل طبرستان يضحك  
 منه المأمون فعبثوا به فوثب عليهم وهرب الناس من بين يديه فلم يبق احد  
 فيه الا هرب وبقيت بذل جالسة والعود في حجرها فاخذ العود من يدها  
 وضرب به رأسها فشجته وانصرفت وحث وبعد أيام قلائل ماتت .

## سلامة الزرقاء

آية في معرض الجمال وهبها الله كمال الحسن ومزية الطرف فكانت  
 بهما واحدة لا ثاني لها .

كانت سلامة الزرقاء من ابرز جواري ابن رامين وابن رامين كما نوهنا  
 من اكبر تجار الجوارى والقيان في بغداد . واشتهرت الزرقاء من بين قيانه  
 برخامة الصوت والحديث المستطاب وبهذا كله كانت موضع اعجاب الذين  
 يؤمون دار ابن رامين .

وذكر بعض المدنين . قال اتيت منزل ابن رامين فوجدت عنده جارية  
 قد رفع ثديها قميصها . لها شارب اخضر ممتد على شفتها امتداد الطراز  
 كأنما خطت طرفتها وحاجباها بقلم لا يلحقها في ضرب من ضروب حسننها



وصف واصف فسألت عنها فقيل لي هذه سلامة الزرقاء فقلت تبارك الله  
احسن الخالقين •

كانت الزرقاء فتنة للناظرين وسلوة للمحبين ومن افتتن بها ووقع في  
شرك حبها محمد بن الأشعث القرشي • وهو من فتيان اهل الكوفة وادبائهم  
وكان يجيد قرص الشعر ويتغنى به ومن شعره في الزرقاء •

امسى لسلامة الزرقاء في كبدي صدع مقيم طوال الدهر والأبد  
لا يستطيع صناع القوم يشعبه وكيف يشعب صدع الحب في الكبد  
الا بوصل التي في حبها انصدعت تلك الصدوع من الاسقام والكمد  
ودخل ابن الأشعث يوماً الى دار ابن رامين فخرجت اليه الزرقاء ومعها  
وصيفة من وصائفهم فأعجبتته فتبسّم وقال شعراً في وقته وتغنى فيه فأخذته  
منه الزرقاء وهو قوله :

قل لاختي التي أحب رضاها انت لى فاعلميه ركن شديد  
ان لى حاجة اليك فقولى بين اذني وعاتقي ما تريد  
فقطنت الزرقاء الى ما اراد فقالت :

بين أذني وعاتقي ما تريد فما هو ؟ قال جاريتك هذه فانها قد أعجبتني •  
قالت هي لك فأخذها شاكرًا لها •

ولام ابن الأشعث قومه في التردد الى بيت ابن رامين فلم يحفل  
بمقالتهم ولم يعرهم التفاتة وظل مواظباً على ذلك الى أن حدث ما كرهه  
وازعجه فترك بيت ابن رامين ومال الى ( سحيفة ) جارية زريق بن منيح  
وزريق هذا كان شيخاً كريماً نبيلاً يجتمع اليه اشراف الكوفة وفضلاؤها •  
وسحيفة جاريتة فقال فيها ابن الأشعث •

سحيفة انت واحدة القيان فما لك مشبه فيهن ثمان  
فضلت على القيان بفضل حذق فحزت على المدى قصب الرهان  
سجدن لك القيان مكفرات كما سجد المجوس لمزبان  
ولا سيما اذا غنيت صوتاً وحركت الميثاق والمثانى  
شربت الخمر حتى خلت انى ابو قابوس او عبدالمدان  
فاعمال اليسار على المسلاوى ومن يملك ترجمة البيان

ولما علم ابن رامين ان ابن الأشعث مال بكليته الى سحيفة وان تركه للزرقاء أمر لا يستهان به فلم يكن منه ان أبرح لابن الأشعث بسر كان يكتمه عن سحيفة ظناً منه أن يحواه عنها ويعود الى الزرقاء فكتب له ابا الأشعث يلومه على ذلك :

|                                                                                                                                                                                                                                                                       |                                                                                                                                                                                                                                                                    |
|-----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|--------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| يا بن رامين بحث بالتصريح<br>قينة عفة ومولى كريم<br>ربعي مهذب اريحى<br>نحن منه في كل ما تشتهى الا<br>عند قوم من هاشم في ذراها<br>في سرور وفي نعيم مقيم<br>فاسل عنا كما سلوناك انى<br>حافظ منك كل ما كنت قد<br>فاكتفى ما حيت منى لك الد<br>يا بن رامين فالزمن مسجد الحي | في هوائى سحيفة ابن منيح<br>ونديم من اللباب الصريح<br>يشترى الحمد بالفعال الريح<br>نفس من لذة وعيش نجيح<br>وغناء من الغزال المليح<br>قدامنا من كل امر قبيح<br>غير سال عن ذات نفسى وروحي<br>ضيعت مما عصيت فيه نصيحي<br>هر بود يا منيتي ممنوح<br>وطول الصلاة والتسبيح |
|-----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|--------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|

وعلى هذا لم يدع ابن رامين شريفا بالكوفة الا<sup>3</sup> وجعله واسطة ليرضى ابن الأشعث عنه فيعود اليه وكان نصيبه الفشل واخيراً استعان عليه بالجحوانى وهو محمد بن بشر بن جحوان الأسدى وكان يومئذ على الكوفة فكلم ابن الأشعث فرضى عنه ورجع الى ما كان عليه من تودده للزرقاء .

ولأبن الأشعث غناء كثير في الزرقاء لا تنفك هي من الغناء به ومنه .  
صاح انى عاذل ما ذهباً  
اذكرتنى الشوق سلامة ان  
واذا ما لام فيها لائم  
من ذوات الدل لو دب على  
ويقول فيها :

|                                                             |                                                                   |
|-------------------------------------------------------------|-------------------------------------------------------------------|
| رجبت بلادك يا امامه<br>وسقى ديارك ، كلما<br>انى وان اقصيتنى | وسلمت ما سجت حمامه<br>حنت الى السقيا غمامه<br>سفها احب لك الكرامة |
|-------------------------------------------------------------|-------------------------------------------------------------------|

رى امورك طاعة  
ويقول فيها :

ما بالمعاني من احد  
اضحت خلاءً درساً  
عهدي بها فيما مضى  
فاستبدلت وحشا بهم  
ويقول فيها :

ليت من طير نومي  
او شفى جسمي سقيماً  
نظرت عيني اليها  
تركت قلبي حزناً

مفروضة حتى القيامه

الا حمامات فود  
للريح فيها مطرد  
ينتابها بيض خرد  
والورق تدعو والصد

رد في عيني المناما  
زاده الهجر سقاما  
نظرة هاجت غراما  
بهواها مستهما

واجتمع عند ابن رامين معن بن زائدة وروح بن حاتم وابن المقفع فغنت لهم سلامة الزرقاء . وفي الصباح الباكر بعث اليها معن بيدرة دراهم فصبت بين يديها . وكذلك فعل روح بن حاتم اما ابن المقفع فبعث اليها بصك ضيعة وقال لها هذه عهدة ضيعتي خديها . اما الدراهم فما عندي منها شيء .

ومما يروى ان جعفر بن سليمان اشترى سلامة الزرقاء بثمانين الف درهم وستر امرها عن ابيه وابوه يومئذ على البصرة في خلافة المنصور وقد تحرك في تلك الايام عبدالله بن علي ثائراً وفي يوم من الايام فاجأه أبوه والزرقاء عنده فخبأ العود تحت السرير فقال له ويحك نحن في ضيق وقد هجم علينا عدونا وانت تشتري جارية بثمانين الف درهم وغضب عليه لفعله هذا . فلم يكن من ابنه جعفر الا ان غمز خادماً كان واقفا فآخرج الزرقاء الى سليمان فأكبت على رأسه تقبلته ودعت له فأعجب ما رأى منها وقال لها غنيتي قول النعمان بن بشير . ( اذا ما أم عبدالله ) فقالت فديتك قد ترك الناس هذا الغناء منذ زمان ثم غنته اياه وهو :

اذا ما ام عبدالله لم تحلل بواديه

ولم تشف سقيما هيب حج الحزن دواعيه

غزال رابه القنا ص تحميه صياصيه

عفته سواقيه  
ملتف روايته  
قليلاً ما اواتيه  
وقد أسرف ساقيه

عرفت الريح بالأكليل  
بجو ناعم الحوذان  
وما ذكرى حيباً و  
كذا الخمر تمنها

ولما مضت لها مدة عند جعفر سأها يوماً هل ظفر منك احد ممن كان  
يهواك بقبلة ؟

فخشيت ان يبلغه شيء كانت فعلته امام جماعة او يكون قد بلغه :  
فقال لا والله الا يزيد بن عون الصيرفي الملقب بالماجن فإنه قبلنى قبلتين •  
فقال وكيف كان ذلك ؟

قالت كنت يومذاك في منزل ابن رامين وقد اجتمع ناس من اشرف  
أهل الكوفة ووجهاؤها وأنا أغنيهم اذ طرقتنا طارق واذا هو يزيد فاستأذن  
للدخول فاذنت له فلما استقبلنى اقصى بين يدي ثم اخرج من جيبه لؤلؤتين  
وقال لي انظري يا سلامة جعلت فداك ثم حلف انه اشتراهما بأربعين الف  
درهم ، فقلت وما شأنى بشرائهما ؟ قال اردت ان تعلمي فغنيت غناءً خلقت  
به لب الماجن وقلت هبهما لى قال فعلت والله ان شئت ، قلت قد شئت •

قال واليمين التى حلفت بها لازمة لى ان تأخذيها بشفتيك من شفتي!  
فقلت قد قبلت ، فمشى على يديه وركبتيه والمؤلؤتان في فمه فقلت له  
هات • فلما اقدمت عليه بشفتى جعل يصد عنى يميناً وشمالاً ليستكثر من  
الملاعبة فغمزت لجارية كانت واقفة فاندفعت اليه فلما دنا منها وذهب ليروغ  
كشأنه دفعت منكيه فأمسكتهما حتى أخذت اللؤلؤتين بشفتى من فمه وقد  
رشح جيبني حياءً من الحاضرين ثم تجلدت فأقبلت عليه فقلت له المغبون  
مقهور فقال أما أنا فلا أبالي لا يزال طيب هذه الرائحة في أنفي وفي أبادا  
ما حييت •

فلما سمع جعفر ذلك سكت عن غيظ ولم يزل يحتال على ذلك الماجن  
حتى وقع في يده فضره بالسياط حتى مات •

## عريب

إذا كانت القينة ( جميلة ) مولاة الأنصار زعيمة الغناء في العهد الأموي  
فإن عريباً زعيمة الغناء في العصر العباسي فضلاً عن انها نقادة بارعة صريحة  
في قولها تدعم الحجة بالحجة يؤخذ براياها كدليل فاطع . كما كان لها إلمام  
فادر المثل بأثقافات العريية بالأدب والتاريخ والشعر والبلاغة والمنطق .  
وقد اشتهرت بالحسن والجمال والظرف والدلال . ولا يوجد احد ممن  
عاصرها يتجرأ على مزاحمتها في الضرب على العود مع إتقان الصنعة والمعرفة  
بفن النغم والأوتار . ومن الروايات الواضحة في كتب الأدب والتاريخ عن  
حياة عريب انها ابنة جعفر بن يحيى البرمكي وامها تسمى فاطمة كانت قيمة  
لأم عبدالله بن يحيى البرمكي رآها جعفر فمال قلبه اليها وأحبها وتزوجها  
فلامه يحيى بن خالد وعنفه ، وقال له كيف تتزوج بجارية لا تعرف لها اباً  
ولا امأ اذهب واشتر مكانها مائة جارية واتركها ، فلم يستطع جعفر ان يخالف  
رأى ابيه ولا يهون عليه تركها فسكت على مضض واسكنها في دار بناحية  
الانبار ووكل بها من يقوم برعايتها وصار يتردد عليها بين آونة واخرى .  
فولدت له عريباً وماتت وتركته طفلة فدفعتها جعفر الى امرأة نصرانية لتقوم  
بتربيتها وبقيت عندها مدة ولما حلت النكبة بالبرامكة باعها الى النخاس  
سنبس وهذا باعها الى اسماعيل المراكبي فخرج بها الى البصرة واعتنى بأمرها  
وخرجها وادبها وعلمها الخط والنحو والصرف والعروض حتى اصبحت  
وحيدة دهرها مع جمال نادر المثل ، ولما كان لها استعداد غنائى استطاعت  
ان تستغنى عن الحان غيرها فانبرت تقرض الشعر وتضع فيه الألحان فحصلت  
بهذا على شهرة واسعة اعتلت بها كرسى زعامة الغناء بين القيان ، وفيها يقول  
اسحاق الموصلى :

ما رأيت امرأة اضرب بالعود من عريب ولا احسن صنعة ولا اجمل  
وجهاً ولا اخف روحاً ولا اميز دلالة ورشاقة ولا ابلغ كلاماً ولا اسرع  
جواباً ولها خصال حسنة لم ارها في امرأة غيرها .

كانت حياة عرب مملوءة بالحوادث المرعبة والحب العارم الذي أوقعها  
في احضان كثير من الرجال !

اولهم حاتم بن عدي اغرمت به واقامت معه اياماً حتى ملته ولم تستطع  
البقاء معه ، ففرت منه دون أن يشعر بها فحزن عليها وظل يبحث عنها أياماً ولما  
يس قال فيها :

رشوا على وجهي من الماء واندبوا      قتيل عرب لا قتيل حروب  
فليتك اذ عجلتني • فقتلتني •      تكونين من بعد الممات نصيبي  
وما لبثت حتى وقعت في غرام جديد فقد احبت محمد بن حامد المعروف  
بالخشن جداً استولى على مشاعرها فهامت به ونظمت به اشعاراً كثيرة وغنت  
بها • وابن حامد فتى وسيم الطلعة اصهب اللون ازرق العينين وفيه تقول :  
بابى كل ازرق      اصهب اللون اشقر  
جن قلبى به ولي      من جنونى بمنكر  
ولم يخف عن مولاها المراكبي وكان يعلم انها اغرمت بعشيق جديد  
والحب يعنى ويصم فهما أوتي صاحبه من الحكمة والتعقل فانه يفقدهما  
اذا وقع في شراكه •

وظلت عرب تتحين الفرص للقاء ابن حامد بعد ان منعها مولاها من  
الاتصال به واذا خرجت من داره ارسل معها جارية من جواريه تدعى  
مظلومة لتراقبها وتمنعها من لقاء ابن حامد •  
ومن الاتفاق الغريب ان الجارية مظلومة هي الاخرى تعشق ابن حامد  
ولكن من منهن ستحظى به ؟ لا شك أنها عريب وأن مظلومة ستكتفي بالتمتع  
بالنظر الى ابن حامد فقط لأنها كانت تهيء لعريب وابن حامد اسباب اللقاء  
وفي ذلك يقول الشاعر :

لقد ظلموك يا مظلوم حتى      اقاموك الرقيب على عريب  
ولو اولوك انصافاً وعدلاً      لما اخلوك انت من الرقيب  
اتنهين المريب عن المعاصي      فكيف وانت من شأن المريب  
فإن يسترقبوك على عريب      فما رقبوك انت من القلوب  
وهكذا ظلت عرب تجتمع مع ابن حامد تحت ستار الرقابة ولم يطب

لها العيش مع المراكبي وهي مغرمة بأبن حامد ولم تكتف ببقائه على يد  
الجارية مظلومة لم لم تحصل على الحرية اتامه ومظلومة الرقية عليها .  
والحرية في الحياة هي اذا عاش الانسان حرا طليقا لا يسيطر عليه الا نفسه .  
الحرية شمس يجب ان تشرق في كل نفس فمن عاش محروما منها  
عاش في ظلمة حالكة .

الحرية هي الحياة ولولاها لكانت حياة الانسان اشبه شيء بسجن

#### ضيق .

واخيرا فرت عريب الى ابن حامد فقتلها وحجبتها في منزله فجاء اليه  
المراكبي وحاول ان يسترجعها منه فلم يفلح فذهب وشكاه الى الخليفة  
المأمون<sup>(١)</sup> فأمر بأحضار ابن حامد كما امر ان يجرد عن ثيابه ويضرب  
بالسياط الى ان تحضر عريب . وعلمت عريب الخبر فحضرت وقد كشفت  
عن وجهها وهي تصيح ويلاه نم تضربونه ؟ لا اريد المراكبي ان كنت مملوكة  
له فليبعني . وان كنت حرة فلا سبيل له علي فرفع خبرها الى المأمون فأمر  
بتعديلها عند قتيبة بن زياد القاضي فعدلت عنده وتقدم اليه المراكبي مطلبا  
بها فسأله البيعة على ملكه اياها فعاد متظلماً الى المأمون وقال ياسيدي لقد  
طلبت بما لم يطالب به أحد في رقيق ولا يوجد مثله في يد من ابتاع عبداً  
او امة . فأمر المأمون بدفعها الى محمد بن عمر الواقدى القاضي بالجانب  
الشرقي في بغداد . فأمر ببيعها ساذجة فاشتراها المأمون بخمسين الف درهم  
ودعا بالمراكبي فدفعها اليه ، وقال له لولا اني حلفت الا اشترى مملوكا  
باكثر من هذا لزدتك ولكني سأوليك عملاً تكسب فيه اضعافاً لهذا الثمن  
ورمى اليه بخاتمين من ياقوت احمر قيمتهما الف دينار وخلع عليه ، فقال  
يا سيدي أنا ينتفع بشئ هذا ؟ وأما أنا فاني ميت لا مجالاً لأن هذه الجارية  
كانت حياتي وخرج من حضرته واختلط وتغير عقله ومات بعد اربعين يوماً .  
ولما حلت عريب قيصر المأمون كان على وسعه اضيق من كفه الحابل  
في عينها ودامت فيه على كره منها ثم احتالت في الخروج الى ابن حامد وكانت

(١) هو عبدالله المأمون بن هارون الرشيد تولى الخلافة سنة ١٩٨ هـ

٨١٣ م الى سنة ٢١٨ هـ ٨٢٣ م .

تلقاه وقتا بعد وقت حتى حبلت منه وولدت بنتا وبلغ ذلك المأمون فامر  
بالباسها جبة صوف وختم زيفها وجبسها في مكان مظلم شهرا لا ترى الضوء  
يدخل اليها ثم دثرها المأمون وسأل عنها فقيل له هي في سجنها فرق بها وامر  
باخراجها فاخرجت ولم تتكلم حتى اندفعت تغنى :

لو لان يقدر ان ييتك ما به      رايت احسن عاتب يتعتب  
حجبه عن بصرى فمثل شخصه      في القلب فهو محجب لا يحجب  
ومرت الايام وعز اللفاء بين الحبيبين      ومر بفكر ابن حامد ان عرياً  
نسته وشك انها خاتته وغدرت به ولما علمت ما خامرته كتبت اليه :

ويلى عليك ومنكبا      اوفعت في الحب شكبا  
زعمت انسي خوون      جورا علي وافكبا  
ان كان ما قلت حقاً      او كنت ازمعت تركبا  
فابدل الله ما بسى      من ذلة الحب نساكبا

وكتبت له يوما تستزيه فكتب اليها اني اخاف على نفسي .  
فكتبت اليه :

اذا كنت تحذر ما تحذر      وتزعم انك لا تجسر  
فمالي اقيم على صبوتي      ويوم لقائك لا يقدر  
تبيت عذرى وما تعذر      وابليت جسمي ولا تشعر  
ألفت السرور وخليتني      ودمعى من العين لا يفتر

وزارته يوما وبعد ان جلسا جعل يعاتبها ويقول لها : فعلت كذا وكذا،  
فقال يا عاجز . دع عنك هذا الآن واجعل سراويلي في عنقي والصق خلخالي  
بقرطى فاذا كان غداً اكتب الي بعتابك وقل فيه ما شئت ان تقول . فقال  
اقول مثلما قال العباس بن الأحنف :

تعب يطول من الرجاء لدى الهوى      خير له من راحة في اليأس  
لولا كرامتكم لما عابتكم      ولكنتم عندي كبعض الناس  
وبقيت عنده باطيب لقاء ثم ودعته وانصرفت .

وظل حب ابن حامد مسيطراً على قلب عريب لا تنزعه قوة ولا ترهبه  
سلطة الخلافة ، فماذا يصنع المأمون وهو يعلم بها ، يعاقبها على ذلك ؟ وقد



ملك قلبه حتى لقتبت بالأمونية ! وغلب عليها هذا اللقب ، ومن حبه لها انه كان يقبل رجلها ! وقالت له مرة حين قبلهما • والله يا امير المؤمنين لولا ما شرفهما الله لوضع فمك عليهما لقطعتهما • ولكن الله عليّ ان لا اغسلهما لغير الوضوء أو طهر الاّ بماء الورد ما عشت •

وكان المأمون لا يطيق فراق عريب ويصطحبها معه أينما ذهب ومع هذه الملازمة الشديدة فقد كانت تحتل للقاء ابن حامد ، وحدث احمد بن حمدون عن ابيه قال • قال ابي كنت حاضراً في مجلس المأمون ببلاد الروم بعد صلاة العشاء وكانت ليلة ظلماء يتخللها برق ورعد • فبعثني المأمون برسالة السى معسكر المعتصم فركبت وبينما انا سائر سمعت وقع حوافر دابة فرهبت ذلك وجعلت اتوختاه • وبرقت بارقة فتبينت وجه الراكب فاذا عريب فقلت عريب؟ قالت نعم • فقلت من اين في هذا الوقت ؟ قالت من محمد بن حامد قلت وما صنعت عنده ؟ قالت • عريب تجيء من عند محمد بن حامد في هذا الوقت خارجة من مضرب الخليفة راجعة اليه • تقول لها اي شيء صنعت عنده ؟ صليت معه التراويح وقرأت عليه جزءاً من القرآن الكريم ودرسته شيئاً من الفقه ، ويلك يا احمق • تحادثنا وتعاتبنا وشربنا وغنينا وتعانقنا • وانصرفنا افهمت ؟ قال فاخجلتني فمضيت واديت الرسالة وعدت الى المأمون فاخذنا في الحديث وتناشد الاشعر وهممت ان احديثه حديثها ولكنى هبت فقلت اقدم قبل ذلك تعريفاً بشيء من الشعر والمأمون شاعر نبيه لا بد ان يظن اليه فانشدته •

الا حي اطلالاً بواصة الجبل      انوف تسوى صالح القوم بالردل  
قلو ان من امسى بجانب تلعة      الى جبلي طيء لساقطه الجبل  
جلوس الى ان يقصر الظل عندها      لراحوا وكل القوم فيها على وصل

فقال لي المأمون اخفض صوتك لا تسمع عريب فتغضب وتظن اننا في حديثها فامسكت عما اردت ان اخبره به وعلمت انه مأخوذ على يده ! هذا كله والمأمون يظن أن عريباً مخلصاً له بجها وانها اودعت اليه قلبها المتقلب • والقلب ما سمي قلباً الا لتقلبه وانحرافه وهل المأمون وهو الرجل

الكامل يصدق حب عريب له وهي لا تصبر على طعام واحد ! فإذا كان هذا حال عريب فكيف يغض النظر عن فعلها ! وقد احاط علما بكل ما تنطوى عليها سريرتها ونواياها الخبيثة مع الأمور التي لا يمكن الاغضاء عنها . والخلفاء العباسيون يفتكون بأقرب الناس اليهم لافل شبهة او ريبة . فكيف تعلق هذا ؟ وان سلطان الحب قاهر .

لقد عرفنا أن عريبا لم تخلص لواحد من أحبهم . وان حياتها الغرامية ليست لها نهاية نفسانية . وهي في حبها كالريشة في مهب الريح او كسفينة في بحر متلاطم الامواج ، والدليل على ذلك ما حدث به ابن المعتز قال :  
حدثني علي بن الحسن أن عريبا كانت تعشق أبا عيسى بن الرشيد وكانت لا تضرب المثل الا بحسن وجهه وغناؤه . وكانت تزعم انها ماعشقت احدا من بنى هاشم واصفته المحبة من الخلفاء واولادهم سواه . وقد عشقت صالح المنذرى الخادم وتزوجته سرا فوجه به المتوكل الى مكان بعيد في حاجة له فقالت عريب فيه .

اما الحبيب فقد مضى      بالرغم منى معرضا  
اخطأت في تركي له      لم الق فيه عوضا

وحدث بعض جواري المتوكل قالت . دخلت يوماً على عريب فقالت لي تعالى ويحك الي فجئت فقالت : قبلي هذا الموضع مني فانك تجددين رائحة الجنة واشارت الى ما بين نهديها . فقلت لها ما السبب في ذلك ؟ قالت قبلى صالح المنذرى من هذا الموضع !

ومن هويتهم عريب واستماتت في حبهم ابراهيم بن المدبر وكان شاعرا مجيدا وكاتبا ادبيا اتخذه الخليفة لكتابة امور الدولة وقد تولى كثيرا من الولايات . منها ولاية البصرة ولستواء اعطاه وتصرفاته غير اللائقة حبسه المتوكل فقال وهو بالحبس :

وانى لتشيني الشمال اذا جرت      حينما الى الاف قلبي واحبابى  
واهدى مع الريح الجنوب اليهم      سلامى وشكوى طول حزنى واوصابى  
فيا ليت شعرى هل عريب عليمة      بذلك ام نام الأحبة عما بى ؟

وكثيرا ما استعطف المتوكل في شعره فلم يعطف عليه حتى تشفعت له  
هريب واخرج من سجنه ، وكانت عريب تقدم ابن المدير على كل من احبته  
وشغفت به بعد ابن حامد وقد كتبت له عدة رسائل تشوقا اليه وتحببا له .

## رسائل عريب

لعريب كثير من النثر الجيد الذي يثير الاعجاب ، ويعد من أساليب  
النثر الأدبي . وكانت تضع فيه العبارات التي تتم عن اظهار قدرتها النثرية  
وابراز علمها . وهذه طائفة من رسائلها الى ابن المدير .

### الرسالة الاولى

استوهب الله حياتك . قرأت رقعتك التي كلفتها لسؤالك عن أحوالنا  
ونرجو من الله أحسن عوائده عندنا وندعوه ببقائك ونسأله الأجابة فلا تعود  
نفسك جعلني الله فداك هذا الجفاء والثقة مني بالأحتمال وسرعة الرجوع

### الرسالة الثانية

وكتبت اليه وقد بلغها صومه يوم عاشوراء :  
قبل الله صومك وتلقاه بتبليغك ما التمس . كيف ترى نفسك نفسي  
فداؤها ؟ ولم كدرت جسمك في آبه أخرجه الله عنك في عافية فانه فظ غليظ  
وأنت محرور واطعام عشرة مساكين أعظم لأجرك ولو كان لصمت لصومك  
مساعدة . وكان الصواب في حسناتك دوني لأنني في الصوم كاذبة .

### الرسالة الثالثة

فداؤك السمع والبصر والأم والاب ومن عرفني وعرفته . كيف ترى  
نفسك وقتها الأذى . وأعمى الله شانتك وامقه الله . كيف ترى الصوم  
عرف الله بركته وأعانك على طاعته .

ارجو ان تكون سالماً من كل مكروه بحوله وقدرته ، ووا شوقي اليك  
ووحشتي لك ردك الله الى احسن ماعودك . ولا اشميت بي فيك

عدوا ولا حاسدا • وقد وافاني كتابك لاعدمته الا بالغنى عنه بك • وذكرت  
حامله فوجهت رسولي اليه ليدخله فاسأله عن خبرك فوجده منصرفاً ولو  
رأيته لفرشت خدى له وكان لذلك اهلا •

#### الرسالة الرابعة

وكتبت اليه بلهجة شديدة من قلب مغمم بالغيط وقد عتبت عليه فى  
شيء بلغها عنه •

وهب الله بقاءك متعاً بالنعم وما زلت أنبس في ذكراك فمرة بمدحك  
ومرة بشكرك • ومرة بأكلك وذكرك بما فيك لونا لونا وأجد ذنبك الآن  
وهات جميع الكتاب ونعامتهم ، وما اخبرنا امس فانا شربنا من فضلة نبيدك  
على تذكارك وقد رفعنا حسابنا اليك فأرفع حسابك • وخبرنا من زارك  
امس والقالك واي شيء كانت القصة على وجهتها ولا تخطف فتحوجنا  
كشفك والبحث عليك وعن حالك وقل الحق فمن صدق نجا وما احوجك  
الى تأديب فانك لانحصين ان تود والحق اقول انه يعتريك كزاز يجوز حد  
البرد • كفاك بهذا من قولى عقوبة وان عدت سمعت اكثر منه واغلظما  
فيه والسلام على من وعى •

#### الرسالة الخامسة

بنفسي أنت وسمعي وبصري وكل حواسي •  
اصبح يومنا هذا طيباً طيب الله عيشك ومقامك ،

يوم قد احتجب سواؤه وزق هواؤه وتكامل صفاؤه فكأنه انت  
في رقة شمائلك وطيب محضرك ومخبرك لاققدت ذلك ابدا منك ولم  
يصادف حسنه وطيبه نشاطا ولا طربا لامور صدتنى عن ذلك ،

أكره تنغيص ما أشتهيه لك من سرور بنشرها وقد بعثت اليك  
بيدعة وتحفة لتؤنسك وتر بهما سررك الله وسرني بك •  
فكتب اليها يقول ،

كيف السرور وانت نازحة عنى وكيف يسوغ لى الطرب

ان غبت غاب العيش وانقطعت اسبابه وامت الكرب  
وأرسله اليها فلم تلبث أن جاءت على حمار فوثب وخرج حافيا واخذ  
بركابها حتى نزلت وقبل الارض بين يديها وانزلها في مجلسه وجلس بين  
يديها وقال ،

الارب يوم قصر الله طوله بقرب عريب حبذا هو من قرب  
بها تحسن الدنيا وينعم عيشها ويجتمع السراء للعين والقلب  
وقضت معه يوماً من احسن الايام في شراب وغناء في هذا الشعر  
وكانت بدعه تضرب على العود وتحفه تزمر فوصفهما ابن المدبر بقوله :

ان عريباً خلقت وحدها في كل ما يحسن من امرها  
ونعمة الرحمن في خلقه يقصر العالم عن شكرها  
اشهد في جاريتها على انهما محسنتا دهرها  
فبدعة تدع في ضربها وتحفة تحسن في زمرها  
يا رب امتعها بما خولت وامدد لنا يا رب في عمرها

وأراد ابن المدبر أن يمحو الشك من قلب عريب فقال شعراً وقد  
تغنت به في مجلسها وهو :

زعموا اننى أحب عريباً صدقوا والله حباً عجيباً  
حل من قلبي هواها محلاً لم تدع فيه لخلق نصيباً  
ليقل من رأى الناس قدماً هل رأى مثل عريب عريباً  
هى شمس والنساء نجوم فاذا لاحت أفلن غيوباً

وفي اواخر ايام عريب ركنت الى العزله مع جواربها وقد تقدمت بها  
السن ولم تفقد بها مكاتنها الغنائية والادبية والثقافية حتى ماتت .

## متيم الهشامية

قينة من قيان العصر العباسي ابتسم لها الحظ في فجر حياتها وما انفك ذلك الابتسام حتى استحال الى ضحكة عالية سمعت في كل مجلس الغناء ثم عبس بوجهها ذلك الحظ وتجهمت لها الاقدار واتابها الشقاء بعس السعادة ولازمتها المحنة بعد الوفاة بفقدما مولاهما علي ابن هشام .

كانت متيم أول نشأتها للبابة بنت عبدالله المراكبي فاشتراها علي بن هشام بعشرين الف درهم واليه نسبت فقبل لها الهشامية وغلب عليها هذا اللقب ! وما كان لعلى ان يدفع قيمة جارية في حادثة سنها هذا القدر من المال لولا ما كانت تشفه مخايلها من دلائل النبوغ والعبقرية ؟ وعنى بها علي بن هشام وتركها تقيم بالبصرة حتى تمت ثقافتها واستكملت تربيتها وقد نبغت في الغناء وقرض الشعر وابتكار روائع الالجان . وقد استقام فيها الغنائي واشرقت مواهبها وهي مستترة لاتغنى الا في خلوة عند الخلفاء والامراء . وكانت احذق القيان بالموسيقى علما واداءً واخبرهن بالانغام والايقاع واطبعهن في العزف على العود ، ولعلى بن هشام مجالس غنائية لاتقل روعة عن مجالس الخلفاء وكان المغنون وهواة الطرب يقصدون مجالسه لسماع الغناء من متيم وحسب متيم أن اسحاق الموصلي وابراهيم بن المهدي كانا يبلغ بهما الأعجاب بفنها ويحسدانها لما هي عليه من البراعة . والحسد داء قديم بين اهل صناعة ومهنة في كل عصر وزمان ، وكثيرا ما كان اسحاق وابن المهدي يحتالان في استعادة الحانها حتى يأخذها وعلى الرغم من منزلة اسحاق الموسيقية وقدره الرفيع في فنه لم يمنعه ذلك من الاعتراف بها وتقديرها ،

وغنت يوما امام الخليفة المعتصم (١) لحنها ،

(١) هو محمد المعتصم بن هارون الرشيد تولى الخلافة سنة ٢١٨ هـ

٨٣٢ م الى سنة ٢٢٧ هـ - ٨٤٢ م

لزينب طيفه تعتريني طوارقه هداً اذا ما النجم لاحت لواحقه  
 وكان ابراهيم بن المهدي حاضراً فأعجب باللحن وود لو أنه يأخذه  
 وطلب منها اعادةه فقالت للمعتصم ياسيدي ابراهيم يستعيدني الغناء وكأنه  
 يريد استلابه لنفسه فضحك وقال لا تعيده فامسكت وبعد ايام كان  
 ابراهيم في مجلس المعتصم ومثيّم غائبة عنه فانصرف ابراهيم الى منزله ومثيّم  
 في منزلها بالميدان فجعل طريقه عليها فوجدها في منظره مشرفة على الطريق  
 وكانت تطرح ذلك اللحن على جوارى على بن هشام فتقدم ابراهيم الى  
 المنظره وهو على دابته فتناول حتى اخذ اللحن ثم ضرب باب المنظره  
 بمقرعته وقال : أخذناه بلا حمدك ولم يعرف عن مثيّم أنها أحبت غير مولاها  
 ابن هشام واتصلت بغير المغنين وارباب الفن ،  
 وروي أن مثيّم اذا خرجت من المنزل لم تخرج سافرة كشأن القيان  
 اللواتي عاصرنها بل تضع النقاب على وجهها ،

فحدث يوماً ما استدعى ذهابها الى ابن عبدالله بن الحسن القاضي  
 الى ان يشهد عليها فأمر ان تسفر ففعلت فقبل لعبد الصمد بن المعذل الشاعر  
 لو نظرت الى مثيّم وقد أسفرها القاضي لرأيت عجباً فقال :

|                              |                                |
|------------------------------|--------------------------------|
| ولما سرت عنها القناع مثيّم   | تروح منها العنبري مثيما        |
| رأها ابن عبدالله وهو محكم    | عليها لها طرفاً عليه محكما     |
| وكان قديماً كالح الوجه عابسا | فلما رأى منها السفور تبسما     |
| فان يصب قلب العنبري فقبله    | صبا باليتامى قلب يحيى بن اكثما |

فبلغ قوله يحيى بن أكثم فكتب اليه عليك لعنة الله اي شيء  
 اردت مني حتى اتاني شعرك من البصرة ؟ فقال لرسوله قل له مثيّم اعدتلك  
 على طريق القافية ،

وحدث الهشامي فقال : كانت مثيّم تعلم اني أحب النبق فكانت لا تنفك  
 تبعث الي منه وفي ليلة من الليالي في وقت السحر اذا بالباب يدق فقبل  
 من هذا ؟ فقال خادم مثيّم فدخل ومعه صينية فيها نبق ما رأت عيني مثله  
 فوضعها امامي وهو يقول :

سيدتى تقرئك السلام وتقول لك كنت عند امير المؤمنين المعتصم  
فجاءوه بنق فذكرتك فيها انا مرسله اليك منه ،  
وكانت متيّم شديدة الاعجاب بالبنفسج وبجميع انواع الرياحن حتى  
انها من شدة اعجابها به لا يخلو كمّتها منه ولا يراه الانسان الا كما قطع من  
البيستان ، وكان المعتصم يداعبها ويجذبها من رداؤها ويخطف البنفسج من  
كمّتها ، وفي البنفسج قال الحكيم بن منصور :

ولما بدا زهر البنفسج خلته نجوم الثريا في انامل خرد  
يشير بالحاظ مراض كأنه عيون بنات الروم غشت بائمه  
وتقول متيّم عن نفسها بعث الي المعتصم بعد قدومه بغداد فذهبت  
اليه فأمرني بالغناء فغنيته :

هل مسعد لبيكاه بعبرة او دمء  
وذا لفقء خليل لسادة نجباء  
فقال عن غير هذا فغنيت :

اولئك قومي بعد عز ومنعة تفتانوا والا تذرف العين اكمد  
فبكى وقال ويحك لا تغنيني في هذا المعنى فغنيت :  
لا تأمن الموت في حل ومرتعلى ان المنايا تغشي كل انسان  
واسلك طريقك هونا غير مكترث فسوف يأتيك ما يمنى لك المانى  
فقال والغضب يلوح بين عينيه والله لولا انى اعلم انك انما غنيت  
بما في قلبك لصاحبك وانك لا تريدين لمثلت بك ، ولكن خذوا بيدها  
فأخرجوها فأخذ بيدي فأخرجت ،

ويقول بعض من كانت تتردد اليهم متيّم وتغشى مجالسهم كنا فى  
مجلسنا نياما بعد أن قضينا سهرتنا ومع الفجر اذا بمتيّم قد دخلت علينا  
وقالت اطعمونى شيئا فأخرجنا اليها الطعام فاكلت ودعت بنيذ فشربت  
ودعت بالعود فأخذته واندفعت تغنى لنفسها وتشرب ،

كيف الثواء بأرض لا اراك بها يا اكثر الناس عندى منة ويذا  
وهذا الغناء من صنعتها في رثاء مولاها على بن هشام . وليس هذا



فقط وانما رثته بكثير من شعرها واقامت عليه النوائح وهي تنوح فسى  
وسطنه . ومن ذلك الوقت اصبحت زعيمة النائحات ،

وقالت لها احدى النساء حياك الله يا متيم كنت علما في السرور فصرت  
علما في المصائب ،

ويتحدث المؤرخون عن كيفية قتل المأمون لعلي بن هشام فمنهم من  
قال ان ابن هشام كان عاملا للمأمون على آذربيجان . وعلم المأمون انه يسير  
في الرعية سير المعتصب الظالم من اخذه الاموال وقتله الرجال بلا سبب  
موجب فأمر بقتله ، ومنهم من قال ان سبب قتله هو متيم وهذا هو  
الصحيح . لأن المأمون لم يخل من نزعة غرامية تدفعه الى امتلاك كل قينة  
طيبة كما فعل ذلك مع المراكبي مولى عريب من قبل وقد طلب من علي بن  
هشام ارسال متيم كلما اشتاقها . والمأمون لا تكفيه الزيارة بل يريد لها  
لتكون جاريته ، ففطن ابن هشام الى ذلك وهو لا يستطيع التنازل عنها  
لاحد فاندفع الى حيلة يتخلص بها من المشكلة المهمة ، وكان ابن هشام  
يحرص كل الحرص ان لا تعلق منه متيم ليظل متمتعا بحاسنها كاعبا . ولكن  
الاضطرار جعله يضحي بهذه الرغبة ليحتفظ بها على أية صورة فحملت منه  
وامضت شهور حملها فولدت واصبحت ام ولد وام الولد لاتباع ولا توهب  
فيهذا خاب أمل المأمون فيها فحقد على ابن هشام واضمر له الشر حتى  
قتله ، وكانت متيم شديدة الوفاء لسيدها ابن هشام فظلت على وفائها له  
بعد مماته . ومن ذلك انها مرت يوما في نسوة متخفية بقصر ابن هشام بعد  
ان قتل فلما رأت بابه مغلقا وقد علاه التراب وقفت عليه وقالت :

|                           |                       |
|---------------------------|-----------------------|
| يا منزلا لم تبل اطلاقه    | حاشا لأطلاقك ان تبلى  |
| لم ابك اطلاقك لكنني       | بكيته عيشي فيك اذ ولي |
| قد كان لي فيك هوى مرة     | غيبه الترب وما هلا    |
| فصرت ابكى جاهدا ففقدته    | عند ادكارى حيثما حلا  |
| فالعيش اولى ما بكاه الفتى | لا بد للمحزون ان يسلى |

وبكت حتى سقطت والنسوة يناديها ويقلن الله الله في نفسك فانك

تؤخذين الآن وحملت تنهادى بين امرأتين تجاوزت القصر •  
 وظلت متيّم بعد سيدها ترثيه وتندبه حتى ماتت •  
 وفي العام الذي مات به ابراهيم بن المهدي ماتت القينة ( بذل )  
 وكذلك ماتت متيّم •

وحدثوا ان جارية للمعتصم قالت له لما مات هولاء ان في الجنة عرسا  
 فطلبوا هولاء اليها فنهاها عن هذا القول وأنكره •  
 فلما كان بعد ايام وقع حريق في غرفة هذه الجارية واحترق كل ما  
 تملكه فشكت ذلك الى المعتصم وهي تبكى فقال لها لا تجزعي فأن هذا لم  
 يحترق وانما استعاره اصحاب ذلك العرس •

### عاتكة بنت شهدة

عرفت عاتكة بأسم امها واشتهرت به حتى غلب عليها فنالت به مقاما  
 رفيعا وكانت أمها مغنية مدنيّة حظيت عند الوليد بن يزيد الخليفة الأموي  
 حظوة ما نالتها قينة من قيانه •  
 وحدث بعض المغنين قال : كنا ليلة عند الرشيد وحضر معنا محمد بن  
 داود فتغنى المغنون واندفع ابن داود يغنى :

|                         |                       |
|-------------------------|-----------------------|
| ام الوليد سلبتني حلمي   | وقتلتنى فتخوفى ائسى   |
| بالله يا ام الوليد اما  | تخشسين في عواقب الظلم |
| وتركتني أبغي الطبيب وما | لطبيننا بالداء من علم |
| خافى آلهك في ابن عمك قد | زودته سقماً على سقم   |

قال فاستحسن الرشيد الغناء كما استحسنه جميع من حضره فقال  
 الرشيد لمن هذا الغناء يابن داود ؟

قال يا امير المؤمنين سل هؤلاء المغنين لعلهم يعرفون لمن هو ؟  
 فقالوا والله لاندرى وانه لغريب ،

قال ابن داود انا اخذته من شهدة جارية الوليد بن يزيد وهى ام

عاتكة الشهيرة بنت شهده ،

وعاتكة اخذت الغناء عن امها فاصبحت عنما من اعلامه ،

وذكر اسحاق الموصلي قال :

عاتكة بنت شهدة كانت اضرب من رأيت بالعود ولقد مكثت سبع سنين اختلف اليها في كل يوم فتعلمني ضربا او ضربين وكان ضربها يطبع في فكري لا يبرحه وكنت اشعر انه ياخذ بمجمع قلبي ويدب في جميع مفاصلي !وقد وصل اليها منى ومن ابى مینوف على ثلاثين الف درهم لتعليمي ماعدا الهدايا وكانت احذق الناس بالغناء صوتا واتزاناً . واجمل القيان ملاحه وظرفا ،

وكان ابن جامع يلوذ منها بكثرة الترجيع فكانت اذا اخذ يتزايد في غنائه تقول له الى اين يا ابا القاسم ؟ ما هذا الترجيع الذى لا معنى له عد بنا الى معظم الغناء ودعنا من جنونك .

وقد افرطت يوما فى الرد على ابن جامع بحضرة الرشيد مما اضجره فقال لها كلاما فاحشا مخجلا . فقالت له اسكت قطع الله لسانك ولم تعد بعد ذلك الى تحديه واذيته ،

وحدث على بن جعفر قال دخلت على جوارى المرواني المغنيات بمكة وعاتكة بنت شهده تطارحن لحنها :

يا صاحبي دعا الملامة واعلما ان الهوى يدع الكرام عبيدا

فانبرت واحدة منهن تقول :

يدع الرجال عبيدا . خير من يدع الكرام عبيدا .

فصاحت بها عاتكة ويلك بندار الزيات وهو من تعلمين قبجا ورقاعة وصفاقة وثانة وبخلا رجل افسن الكرام هو ؟

قال ابن جعفر ولم يزل هذا عالقا في ذهني فكنت اذا مر بي بندار ورأيت غلبي الضحك فاستحي منه وآخذ بيده واصافحه وأجعل ذلك بشاشة منى اليه حتى اورث هذا بيني وبينه مقارنة فكان يقول للناس بيني وبين على بن جعفر صداقة لاتنفك عراها ،

ومما ذكر ان مخارق المغنى في اول امره كان مملوكا لعاتكة بنت  
شعده • وهي اول من وضعت يده على العود وعلمته الضرب عليه كما  
علمته اصول الغناء فحذقها ثم باعته فانتقل منها الى ملك رجل آخر حتى  
صار الى الرشيد فبلغ عنده منزلة عالية ،

وحدث اسحاق الموصلي قال ،

ان عاتكة انتقلت من بغداد الى البصرة وبقيت فيها تطارح الشعراء  
وتنافس المغنين والمغنيات حتى ماتت ••

## خليدة المكية

امتألت بطون الكتب التاريخية والأدبية بأخبار قيان العصر العباسي  
وماهن عليه من غناء مرح يعج بالانغام الموسيقية والشعر المستملح ، وفي  
ذلك الوقت ظهر ثلاث قيان وهن : خليدة المكية الموضوععة البحث • وعقيلة  
وربيحة امتلكهن رجل نخاس يدعى ابن شماس ، فعرفن (بالشماسيات)  
نسبة اليه وكان نصيبهن من الاخبار الغنائية قليلا جدا • ولئن كان رواية  
الاخبار لم يتوسعوا بالحديث عنهن فذلك مما يدل على انهن غير جديرات  
بالذكر وانهن غير معدودات من القيان اللواتي لهن مكاتهن في قصور  
الخلفاء والامراء ، نستثني منهن خليدة المكية فقد كانت ابرزهن واعلاهن  
قدرا لما هي عليه من حسن الصنعة في الغناء الذي أخذته عن المغنية جميلة  
مولاة الانصار ،

وكانت تنخرط في جواربها وتقوم في خدمتها طمعا في الحصول  
على بعض اغانيها • ولقد اختارتها جميلة وضمتها الى موكب حجها ولها  
غناء في مجلسها هناك ومنه ،

|                            |                          |
|----------------------------|--------------------------|
| الا يا من يلوم على التصابي | افق شيئا لتسمع من جوابي  |
| بكرت تلومني في الحب جهلا   | وما في الحب مثلي من معاب |
| اليس من السعادة غير شك     | هوى متواصلين على اقتراب  |

كريم نال ودا في عفاف      وستر من منعمة كعاب  
وكانت خليدة سوداء اللون ذات عيون ساحرة وحواجب مقرونة  
وانف رقيق وقامة هيفاء وفم ارجواني وسوادها لم يحل بينها وبين  
الاعجاب بها ،  
وقالوا ان اكثر من واحد من أهل المدينة افتتن بها ومنهم من يشير  
اليه الشاعر بقوله ،

فتنت كاتب الأمير رباح      يالقومي خليدة المكية  
ولم ندر من هو الكاتب ؟ اما الأمير فهو رباح بن عثمان احد ولاة  
المدينة وخليدة صنعة غنائية نادرة اعجبت كل من سمعها ،  
وروى عن اسحاق الموصلى انه قال سمعت من الفضل بن الربيع  
يقول : ما رأيت ابن جامع يطرب لغناء كما يطرب لغناء خليدة المكية  
وغنت مرة امام هشام بن عروة فاعجبه غناؤها وطرب له فقال لها : اكتبى  
في صدرك ( قل هو الله احد ) • وفي كتفك المعوذتين لثلا تصيبك عين •  
وحدث عمر بن شبة قال :

بلغنى ان محمدا بن عبدالله بن عمرو بن عثمان بن عفان ارسل الى  
خليدة المكية اباعون مولاه ليخطبها له فذهب اليها فاستأذن فاذنت له  
وعليها ثياب رقاق لاستترها فوثبت وقالت ظننتك بعض سفهائنا ولكنى  
ألبس لك ثيابا تليق بك ففعلت وقالت قل حاجتك ؟  
قال ارسلنى اليك مولاي وهو من تعلمين منزلته من رسول الله  
صلى الله عليه وسلم ومن علي بن ابي طالب وعثمان بن عفان رضى الله عنهما  
وهو يخطبك له فقالت :

لقد نسبته فابلغت • فاسمع نسبي أنا بأبي انت ان ابي يع على غير  
عقد الاسلام ولا عهده وعاش عبدا ومات في رجليه قيد وفي عنقه سلسلة ،  
وولدتنى امى على غير رشدة وهى آبقه وها انا من تعلم وقالت : فان اراد  
صاحبك نكاحا مباحا • او زنا صراحا فهلم اليه فنحن له •  
فقال اباعون انه لا يدخل الحرام ،

فقلت : ولا ينبغي ان يستحي من الحلال ، واما نكاح السر فلا والله  
مافعلته ولا كنت عارا على القيان به ،  
قال فأتيت محمدا فاخبرته بذلك ،

فقال : وملك اتزوجها معلنا وعندى بنت طلحة بن عبدالله يعنى عائشة  
بنت طلحة ( المشتهرة بحسنها وجمالها ) هذا لا يكون ابدا . ولكن ارجع  
اليها فقل لها تخلف الى اردد بها بصرى لعلى اسلو . فرجعت اليها وابلغتها  
الخبر فضحكت وقالت :

اما هذا فنعم ولسنا نمنعه من ذلك ،  
وظلت خليدة بعد ان عتقها مولاها تعيش وحيدة فى دار خاصة بها  
تتحرف مهنة الغناء وتكسب منها مايرفه عنها فى حياتها المعاشية طليقة  
حرة يكتنفها مايكتنف حياة القيان اللواتي على شاكلتها من عدم الاباحية  
والعبث والمجون ..

## عبيدة الطنبورية

سميت بهذا الاسم واشتهرت به لانها اختصت بالضرب على الطنبور  
والطنبور آلة موسيقية قديمة غير العود . وقد عرف بالطنبور البغدادى لانه  
من صنع بغداد ، ومن الضاربين على هذه الآلة والذين اشتهروا بها غير  
عبيدة . ابو حشيشة والمسدود ومخارق . والزبيدي .  
وقيل ان عبيدة كتبت على طنبورها هذا البيت ،

كل شيء سوى الخيانة فى الحب يحتمل  
وكانت عبيدة من المحسنات البارعات فى صنعة الضرب عليه وقد شهد  
لهذا بذلك اسحاق الموصلي . وحسبها فخرا بشهادته . وكان ابو حشيشة  
استاذ الضرب على الطنبور يعظمها ويعترف لها بالراسة والاستاذية وقد  
وصف عبيدة احد المعجبين بها قال :

هي احسن القيان وجها واطيبهن صوتا ولم تعرف فى عصرها امأة

اعطر منها ولا اللف ولا اعظم صنعة منها فى الطنبور وكانت لاتخلو من عشق اما نسبها فهى على ما قيل بنت رجل يقال له صباح مولى ابي السمرء الغساني . وكان له صديق يعرف بالزبيدي وهو ممن اشتهر بالضرب على الطنبور . وكثيرا ما كان يزوره ويتناول الشراب معه ويغنى ويأنس واحيانا ينام عنده وكانت تسمع غناء الزبيدي فوقع فى نفسها واشتهته واخذت تحذو حذوه وتتبع اثره . والمرء اذا احب شيئا عكف عليه وجعلت الطنبور سميرها فى عزلتها وانيسها فى وحدتها وحين تضعه فى حضنها تحضو عليه حنو الام على رضيعها ولما سمع الزبيدي صوتها وما هو عليه من رقة ورخامة عكف على تعليمها بعد ان توسم بها خيرا ولم يزل يبذل غاية جهده فى تعليمها حتى مهتت به وذاع صيتها فى بغداد وعلم الناس انها فاقت الاولين فى هذه الصنعة وفى هذا الوقت الذى صارت فيه مطمح انظار الناس توفى والدها وبوفاته تردت حالتها الاقتصادية وعاكستها الايام فخرجت تتجول فى الطرق حاملة طنبورها وتلبى طلب كل من يدعوها الى العزف والغناء وتفتن بالشيء اليسير مما تكسبه حتى اصبحت هدف القيان اللواتي استفزتها بغنائها المحكم وجمالها الرائع واول من عشقها وهام بها فتى يقال له ابن الفرج وكان حسن الوجه كثير المال فركنت اليه وجعل لها دارا اقامها فيها وقد استحات اقامتها معه الى الزواج فتزوجها وحجبا عن اعين الناس وحرم عليها الخروج بعد ان ولدت منه بنتا . ولكن الغريزة الكامنة فى نفسها دعته ان لاتصبر على هذا السجن الذى يسمى زواجا فكانت تحتال فى بعض الاوقات بحجة الحمام وغيره فتجتمع بمن كانت تهواه وهو شاب جميل الطلعة يدعى على بن احمد وقد ورث عن ابيه مالا عظيما . وتعاكس الايام زوجها ابن الفرج فتسوء حالته بفقدان ثروته وتموت ابنتها فيطلقها وبعد خسارتها لابنتها وطلاقها تنفرد بعلى بن احمد وتظل معه غافلة عن ريب الدهر حتى فقد علي ثروته وفر هاربا الى حيث لا رجعة . ولم ترض ايام حتى هويت غلاما من ال حمزة يقال له شرايح وهذا لم يكن ثريا كغيره وانما كان شابا مليح الوجه يحسن الضرب على المعزفة وظلت معه تعيش هى بطنبورها وهو بمعزفه فيغنيان الناس فى مجالسهم لقاء دراهم قليلة . ولكن

الغلام لم يستطع معها صبرا فكان مصيره مصير الذين من قبله فنفر منها وظلت وحيدة تصارع وحدتها حتى تعلقت بشاب يعرف بأبي كرب شديد القبح افطن الانف مشوه الخلقة وقيل لها اي شيء رأيت من ابى كرب فتعلقت به؟ فقالت : قد تمتعت بكل جنس من الرجال فالسودان نفسي تبشعهم والبيض مللتهم وهذا بين الاسود والايض ويته فارغ وهو مطيع لى بكل ما اريد ، وكان عندها غلام مساعد لها بالضرب على الطنبور يقال له على ويلقب ( بذيل عبيدة ) وهو عندها بمنزلة ( بغل الطحان ) يصلح للحمل والطحن والركوب .

ومن ظواهر حياة عبيدة الطنبورية الفنية انها حضرت مجلسا عند ابى العباس بن الرشيد وقد اجتمع الطنبوريون جميعهم عنده وفيهم المسدود فقالوا له غن . فقال لا والله لا تقدمت على عبيدة وهي الاستاذ فما غنى حتى اخذت عبيدة الطنبور فضربت عليه ضربا ماسمعه الطنبوريون من قبل واندفعت تغنى :

كن لي شفيعا ليكا      ان خفت ذاك عليك  
واعفى عن سؤالي      سواك ما في يديكا  
يا من اعز واهوى      مالى اهون عليك

فطربوا طربا شديدا وامر لها ابو العباس بن الرشيد بجائزة ، ودعاها يوما فى داره محمد بن مزيد ودعى بعض اصدقائه للحضور للاستماع الى غنائها . وبينما هو ينتظرهم بالباب اذ مر اسحاق الموصلى فقال محمد بن مزيد بعد قليل تأتينا عبيدة الطنبورية وبعض الاصدقاء قال اسحاق فهلا عرضت علي المقام عندك ؟

قال . محمد له . ان علمت ان ذلك ماتتشط اليه لرغبت اليك فيه فان تفضلت بذلك كان اعظم لمنتك ، فقال اسحاق ، اقبل فاني اشتهى ان اسمع عبيدة لكن لي عليك شريطه ، قال محمد هاتها ولا بد من اتباعها . قال اسحاق . انها ان عرفتنى وسألتموني ان اغنى وهي جالسة لم يخف عليها امرى واقطعت فلم تصنع شيئا فدعوها على جبلتها . قال . اقبل ما امرت



به وبعد قليل حضرت عبيدة تحمل طنبورها وادير الشراب وابتدأت  
تضرب على الطنبور وتعنى •

قريب غير مقترب ومؤتلف كمجتنب  
له ودى ولى منه دواعي الهم والكرب  
اواصله على سبب ويهجرنى بلا سبب  
ويظلمنى على ثقة بأن اليه منقلبي

فطرب اسحاق طربا شديدا بان على اساريره علاماته وظلت عبيدة  
تعنى وتعيد الغناء نفسه حتى بلغ عشر مرات • وقم اسحق ليصلى  
فقال بعض الحاضرين لعبيدة اعرفت هذا الذى طرب لغنائك واخذ  
يستعيده ؟

قالت لا ! من هو ؟ فقيل لها هذا اسحاق الموصلى فبهتت فلما رجع  
اسحاق واخذ مكانه اخذتها هيبة واختلاط ونقصت تقصا فى الضرب  
والغناء • فاحس اسحاق ان عبيدة عرفته وانطلق من بينهم يجرى ويقول :  
نغصتهم على يومي ، لآخر في عشرتكم الليلة وانصرف مودعا •  
وكان عمرو بن بانه وهو من المغنين المعروفين باقتناء القيان فاذا حضر  
ضيوفه عنده يدعو عبيدة تعنى لهم لقاء دينارين يدفع بهما اليها ودعاها يوما  
وعنده بعض الاصدقاء فغنت ،

يا ذا الذي بعثني ظل مفتخرا هل انت الا ملك جار اذ قدرا  
لولا الهوى لتجارتنا على قدر وان افق منه يوما ما فسوف ترى

وغنت من شعر العباس بن الاحنف :

لم اتق ذا شجن يبوح بحبه الا حسبتك ذلك المحبوبا  
حذرا عليك واننى بك واثق ان لا ينال سواى منك نصيبا

وفي عبيدة يقول بعض الشعراء ،

امست عبيدة في الأحسان واحدة فالله جار لها من كل محذور  
من احسن الناس وجهاً حين تبصرها واحذق الناس اذ غنت بطنبور

وماتت عبيدة وقد مات فيها معها وهكذا شأن الفنانين •

## شـارية

كانت ليالي بغداد في العصر الذهبي ليالي عجابا ما اجتمع بها الغناء والشراب الا والشعر ثالثهما . وكان الشعراء اذا استولى عليهم الطرب يغنون ويرقصون . ومن ذلك ما حدث به محمد بن المؤمل قال :

كنا في ليلة مقمرة بحراقة تسير بنا ويبدأ في نهر دجلة والقمر ناصع  
البياض متألليء الانوار وقد تسابق الناس الى الشواطىء ليستمعوا بجمال  
نهر دجلة ومائه . وكان ابو العتاهية الشاعر معنا فسمعنا غناء بحراقة قريبة  
منا . وكان نسيم دجلة العليل ينقل الغناء الى آذاننا فيشتتها فنطرب له  
فقال احدنا . ان صدق ظنى هذا غناء شارية جارية ابراهيم بن المهدي :

فقلت لأبى العتاهية ، اتحسن الرقص ؟ قال . نعم قلت قم بنا لرقص  
قال . اخاف ان نغرق . قلت ان غرقنا نكون شهداء غناء شارية .

وشارية فتاة وديعة هادئة حلوة الحديث ظريفة الشكل من مولدات  
البصرة كانت لامرأة من الهاشميات بصرية جاءت بها لتبيعها ببغداد فعرضت  
على اسحاق الموصلي فاعطى بها ثلثمائة دينار ثم استغلاها بذلك وانصرف  
عنها فجيء بها الى ابراهيم بن المهدي فعرضت عليه فساوم بها فقالت مولاتها  
قد دفع بها اسحاق الموصلي ثلثمائة دينار والامير اعزه الله اولى بها  
فاشترها ابن المهدي وقد توسم فيها الذكاء والفصاحة والآداب الفاضلة ،  
وتعهد بتعليمها الغناء وحفظ الاشعار . فكانت اذا اخطأت في لحن بالزيادة  
والنقص فغاية ما عنده من عقوبتها انه يدعها واقفة على رجلها وتغنى فلا  
تجلس حتى تجيد اللحن المطلوب منها وان لم تبلغ الذى يريد اخذت  
القينة ( ريق ) العود منها وضربت هي به لتضبط اللحن . وظلت هكذا حتى  
اتقنت كل ما علمها !

فلما بلغت الرابعة عشرة اخذت انوثتها تنضح وجمالها يتزايد  
فاصبحت فتنة لمن يراها ، فارسل ابراهيم الى اسحاق يدعوه ليرأها ويسمع

غناءها فلما حضر وسمعها قال له هذه الجارية تباع فيكم تأخذها لنفسك ؟ قال • اسحاق آخذها بثلاثة الاف دينار وهي رخيصة بها قال ابراهيم اتعرفها ؟ قال لا قال ابراهيم هي الجارية التي عرضتها عليك الهاشمية بثلثمائة دينار فلم تقبلها فبقى اسحاق يتعجب من حالها وما صارت اليه وظل ابن المهدي يتمتع بغناء شارية ويعقد المجالس لها ومن كان يحضر بمجلسه ليسمع غناء شارية على بن هشام وعبد الوهاب بن علي وغنت في مجلسه من شعره :

يا طول علة قلبي المعتاد      الف الكرام وصحة الأمجاد  
ما زلت آلف كل قرم ماجد      متقدم الاباء والاجداد

فاعجبا بها وحقد عبدالوهاب على ابراهيم لحيازته اياها فراح يغري الخليفة المعتصم بشرائها ويبالغ في وصفها له وما زال به حتى طلبها المعتصم من ابراهيم واعطاه بها سبعين الف دينار فامتنع من بيعها فتأثر المعتصم كما تأثر عبد الوهاب وصار يتحين الفرص لاتزاعها منه باية صورة فاستغل خبث مولاتها الهاشمية التي اشتراها ابراهيم منها والتي ادعت انها امها فكانت كلما لم تنل من ابراهيم ماتشتهى هددت باسترداد ابنتها واخيرا ذهبت الى عبدالوهاب بن علي وقدمت اليه شكوى ليرفعها الى المعتصم تزعم فيها انها من قريش من بنى زهرة بن كلاب وتطلب اخذ ابنتها من ابراهيم اذ لايجوز ان تكون ابنتها امه • فلما علم ابراهيم بالمؤامرة التي دبرت له تصدق بشارية على ابنته ميمونة واشهد على ذلك صاحبه يوسف ابن ابراهيم المصري ثم اشهد ابنه هبة الله على مثل ذلك • وارسل الى دار القاضى ابن ابى دواد لاحضار شهود معدلين عنده فحضر اكثر من عشرين شاهدا • وامر القاضى باخراج شارية فخرجت • فقال لها اسفري فجزعت من ذلك فاعلمها انه امرها لخير يريد لها ففعلت فقال تسمى • قالت انا شارية امتك فقال لهم تأملوا وجهها ففعلوا ثم تقدم ابراهيم بن المهدي فقال فاني اشهدكم انها حرة لوجه الله تعالى واني قد تزوجتها واصدقتها عشرة الاف درهم • فقال القاضى ، ياشارية مولاة ابراهيم بن المهدي •

ارضيت ؟ قالت نعم يا سيدي قد رضيت والحمد لله على ما انعم به علي  
ثم اطعم الشهود وطيبهم وانصرفوا . وبعد قليل دخل عبد الوهاب بن  
علي منزل ابراهيم فسلم عليه وبلغه سلام المعتصم ثم قال له يقول لك امير  
المؤمنين من المفترض علي طاعتك وصياتك عن كل ما يضرك . اذ انت عمي  
وصنو ابي وقد رفعت الي امرأة من قريش قضية ذكرت فيها انها من بنى  
زهرة وانها ام شارية واحتجت بانه لا تكون بنت امرأة قريشى أمة . فأن  
كانت المرأة صادقة في ان شارية بنتها وانها من بنى زهرة فمن المحال ان  
تكون شارية أمة فالاجدر بك والاصح اخراج شارية من دارك وسترها  
عند من تثق به من اهلك حتى تكشف ما قالت هذه المرأة فان ثبت ذلك  
امرت من جعلتها عنده باطلاقها . وكان في ذلك الحظ لك في دينك  
ومرءوتك وان لم يصح ذلك اعيدت الجارية الى منزلك وقد زال عنك  
القول الذي لا يليق بك ولا يحسن ،

فقال له ابراهيم فديتك يا ابا ابراهيم ، هب ان شارية بنت امرأة من زهرة  
ابن كلاب اتكر ان علي بن العباس بن عبدالمطلب ان يكون بعلا لها ؟ فقال  
عبد الوهاب لا . فقال ابراهيم فابلغ امير المؤمنين اطال الله بقاءه السلام  
واخبره ان شارية حرة وانى قد تزوجتها بشهادة جماعة من الشهود العدول  
فلما سمع ذلك انصرف وقد رجع الشهود بعد خروجهم من دار ابراهيم وعادوا  
الى ابن ابى دود فاعلموه انهم حضروا عتق شارية وتزوج ابراهيم اياها .  
فركب الى المعتصم فحدثه بالحديث مثيرا تعجبه منه فقال المعتصم . ضل  
سعى عبد الوهاب ودخل عبد الوهاب على المعتصم فقال له ما وراءك ؟ اظن  
ان عمي لم يأخذ بما عرضته عليه ؟ فقال الامر كما ظن امير المؤمنين  
واقبح ثم اخبره بما جرى ،

ولما انصرف عبد الوهاب، من عند ابراهيم ابتاع شارية من بنته ميمونة  
بعشرة الاف درهم فحلت له يعاشرها معاشرة الازواج بملك اليمين وقد ستر  
ذلك عنها فهي تعتقد انها زوجة شرعية وليست أمة ولم تعرف هذا السر الا  
بعد وفاة ابراهيم بن المهدي . فقد طلبت مشاركة زوجته ام محمد بنت

خالد من الثمن فاطهرت خبرها وسألت ميمونة وهبة الله ابنا ابراهيم عن  
الخبر فاخبراه به المعتصم . فأمر المعتصم بأبتياها من ميمونة فابتيعت  
بخمسة الاف وخمسمائة دينار . وقيل بثلثمائة الف درهم ،

فحولت الى داره فكانت من ملكه حتى توفي . ولم يكن المعتصم  
مغرما بها وانما كان معجبا بجمالها وطيب غنائها . ولم يعرف عن المعتصم  
عشقه للجواري ولم يشتهر بحب جارية خاصة . وجلس يوما للغناء فغنت  
جواريه جميعا وغنت شارية من لحن اسحاق الموصلي .

كل شيء منك في عيني حسن      ونصيبى منك هم وحزن  
لا تظننى . انه غيرنى      قدم العهد ولا طول الزمن

وذكر عبيدالله بن عبدالله بن طاهر قال . امرنى الخليفة المعتز<sup>(١)</sup> ذات  
يوم بالمقام عنده فأمر فمدت الستارة وخرج من يغنى من ورائها وفيهن  
شارية ولم اكن سمعتها من قبل فاستحسننت ما سمعت منها فقال لي امير  
المؤمنين المعتز . كيف سمعت شارية ؟

قلت يا امير المؤمنين حظ العجب في هذا الغناء اكثر من حظ الطرب  
فاستحسن ذلك واخبرها به فاستحسنته ،

وقالت ريق جارية ابراهيم بن المهدي وكانت من المغنيات المعدودات  
كنت العب انا وشارية بالنرد بين يدي ابراهيم وهو متكئ على وسادة  
ينظر الينا فجرت بيني وبينها مشاجرة في اللعب فأغلظت لها بالكلام بعض  
الغلظة فاستوى جالسا فقال . اراك تستخفين بها فوالله ما اجد احدا  
يخلفك غيرها ،

ومما ذكر ان شارية كانت احسن القيان غناء منذ توفي المعتصم الى  
آخر خلافة الواثق .

حدثت طباع جارية الواثق ان الواثق كان يسمى شارية ستي وكانت

(١) هو الزبير المعتز بن المتوكل تولى الخلافة سنة ٢٥٢ هـ ٨٦٦ م -

سنة ٢٥٥ هـ ٨٦٩ م

تعلم فريدة الغناء وتبذل في تعليمها مجهودا فنيا ، حتى وقع شيء بينهما  
بحضرة الوراق فحلفت شارية انها لاتصحها ولا تنصح احدا بعدها فلم  
تكن تطرح غناء بعد ذلك الا ونقصت من نعمه !

وكان اهل سامراء متحازبين فقوم مع شارية وقوم مع عريب ولا يدخل  
اصحاب هذه مع هوءلاء ولا اصحاب هذه في هوءلاء فكان ابو الصقر  
اسماعيل بن بلبل عرييا فدعا على بن الحسين يوم جمعة ابا الصقر وكانت  
عنده عريب وجوارياها فاتصل الخبير بشارية فبعثت بجوارياها الى علي بن  
الحسين بعد يومين وامرت احداهن ولم نعلم من هي : مرجانة او مطرب او  
قمرية ان تغني لعلي بن الحسين .

لا تعودن بعدها فتري كيف اصنع

فلما سمع على الغناء ضحك وقال لست اعود .  
وحدثت مثلح العطاره وكانت مليحة الغناء وانما سميت العطاره لكثرة  
استعمالها العطر المطيب غنت شارية يوماً بين يدي المتوكل وانا واقفة مع  
الجواري :

|                            |                          |
|----------------------------|--------------------------|
| بالله قولي لي لمن ذا الرشا | المثقل الردف الهضم الحشا |
| اظرف ما كان اذا ما صحا     | واملح الناس اذا ما اتشى  |
| وقد بنا برج حمام له        | ارسل فيه طائرا مرعشا     |
| يا ليتنى كنت حماما له      | او باشقا يفعل بي ما يشا  |
| لو لبس القوهى من رقة       | اوجعه القوهى او خدشا     |

فطرب المتوكل وقال لشارية لمن هذا الغناء ؟ قالت لا ادري لمن هو ؟

ولقد اخذته من دار المأمون . فقلت له انا اعلم لمن هو ؟ فقال المتوكل  
لمن هو يا مثلح فقلت . ا قوله لك سرأ . قال انا في دار النساء وليس بحضرتي  
غير حرمى فقولي . فقلت الشعر والغناء لخديجة بنت المأمون . فاطرق المتوكل  
طويلا وقال لا يسمع هذا منك احد . هذه شارية وهذه قصتها المليئة  
بالعجائب !

فلقد عاشت ولم تعرف لها نزعة غرامية كما عرف عن غيرها من القيان اللواتي عاصرنها وماتت بعيدة عن كل ما يشين سمعتها الغنائية والادبية .

## فريدة

هما اثنتان محسنتان لهما صفة جيدة في الغناء عرفتا بهذا الاسم فاما احدهما وهي الكبرى فكانت مولدة نشأت بالحجاز ثم وقعت الى آل الربيع فتعلمت الغناء في دورهم وبعد ذلك صارت الى البرامكة فلما قتل جعفر بن يحيى ونكب البرامكة هربت وطلبها الرشيد فلم يعثر عليها ثم صارت الى الأمين فلما قتل خرجت من قصره فتزوجها الهيثم بن مسلم فولدت له ابنه عبدالله ومات عنها .

واما الأخرى فهي جارية عمرو بن بانة المعنى اهداها الى الخليفة الواثق<sup>(١)</sup> بن المعتصم . وكانت من الموصوفات المحسنات حسنة الوجه انفردت بجمالها . حادة الفطنة والفهم كاملة من حيث التربية والأدب والغناء فصارت اثيرة عنده وحظيت لكل الحظوة لديه وقد طلب الى شارية صاحبة ابيه المعتصم ان تعلمها .

ولحسن حظ فريدة ان الخليفة الواثق اغرم بها كما هي اغرمت به ، وذكرت ريق انها اجتمعت هي وخشف الواضحية فتذاكرتا احسن ما سمعتاه من المغنيات . فقالت ريق شارية ومتميم احسنهن غناءً . وقالت خشف : عريب وفريدة واتفقتا على تساويهن وتقديم متميم في الصنعة وعريب في الغزارة والكثرة وشارية وفريدة في الطيب واحكام الغناء وكان بين الواثق واخيه جعفر الذي لقب في خلافته بالمتوكل على الله . بغضاء وشحناء كما كان بين موسى الهادي واخيه هارون الرشيد فكان جعفر يتربص موت الواثق ليحل مكانه .

(١) هو هارون الواثق بن المعتصم تولى الخلافة سنة ٢٢٧ هـ ٨٤٢م الى سنة ٢٣٢ هـ ٨٤٧م .

ومن شغف الواصل بفريدة انه كان يعلمها الغناء • والواصل كما قيل عنه  
من اساطين المعنين وكان يعنى اذا انبسطت نفسه وانشرح صدره • وقد صنع  
في الغناء مائة لحن ما فيها لحن ساقط ولم يكن يحضر مجلسه اعلم منه بالغناء  
ولا كان في الخلفاء العباسيين اعرف منه بهذا الفن •

ومن اغاني فريدة التي حدقتها عنده ما غنته من شعر الأحوص :

من عاشقين تزايلًا وتواعدا      بلقى اذا نجم الثريا حلقًا  
فرسا امامهما مخافة رقبة      رصد فمزق عنهما ما مزقا  
باتا بانعم ليلة • والذها      حتى اذا برق الصباح تفرقا

ومن غنائها من شعر نصيب :

الا ان ليلة العامرية اصبحت      على النأي منى غير ذنب تنعم  
ومازلت استصفي لك الود ابغى      محاسنه حتى كأني مجرم  
خلا تصرميني حين لابي مرجع      ورائي ولالي عنكم متقدم

ومن غنائها من شعر ابي العتاهية :

اخلاء بي شجو وليس بكم شجو      وكل امرىء مما بصاحبه خلو  
اذاب الهوى لحمى وجسمى ومفصلى      ولم يبق الا الروح والجسد النضو  
وما من محب نال ممن • يجبه      هوى صادق الا سيدخله زهو  
بليت وكان المزح بدء بليتي      فاحببت جهلاء والبلايا لها بدو  
وعلقت من يزهو على تبخترًا      واني في كل الخصال له كفو

ومن غنائها في شعر جميل بن معمر :

الا ايها الركب النيام الا هبوا      نسائلكم هل يقتل الرجل الحب  
الا رب ركب قد وقت مطيهم      عليك ولولا انت لم تقف الركب  
وللواصل مع فريدة مجالس غرامية اكثر من غنائية • ومنها ما حدث عنها  
محمد بن الحارث قال :

كانت نوبتي في خدمة الواصل يوم الجمعة من كل اسبوع • وكذلك كان  
لكل من ندمائه يوم لا يتعداه الى يوم آخر • وبينما انا في منزلي يوم الأربعاء  
اذا برسل الخليفة قد هجموا علي وقالوا اسرع الى الخليفة • فداخلى خوفي



شديد • وقلت لهم ليس هذا يومى ولعلكم اخطأتم • فقالوا لا تطل الكلام  
 فيها وقد امرنا الا ندعك تستقر لحظة • فأزداد خوفى وفرعى وقلت في نفسى  
 سيكون ساع قد سمى بى او بلية قد حدثت في رأى الخليفة علي؟ هذا آخر  
 أيامى ، فركبت وسرت حتى وصلت الى قصره • وادخلت من باب غير ما عهدته  
 ولم اكن رأيت من قبل • وسلمت الى خدم لم ترهم عيناي وهؤلاء سلموني  
 الى آخرين حتى انتهت الى صحن كبير مفروش وقد غطيت جدرانها  
 بالوشي المنسوج بالذهب ، ثم وصلت الى رواق ارضه وجدرانها ملبسة بشل  
 ذلك الوشي • واذا الخليفة الواثق في صدر الرواق جالس على سرير مرصع  
 بالجوهر وعليه ثياب منسوجة بالذهب والى جانبه جاريتة فريدة وعليها مثل  
 ثيابه وفي حجرها عود مطعم بالذهب • فلما رآنى قال اسرعت والله يا محمد  
 الينا • فقبلت الارض بين يديه وقلت : يا امير المؤمنين خيراً؟ فقال اما ترانا  
 لقد طلبت والله ثالثاً يؤنسنا فلم اراحق بذلك منك • فذهب خوفى واشتد  
 عزمى فشرب وشربت واندفعت فريدة تغنى :

اهابك اجلالاً وما بك قدرة على ولكن ملء عيني حبيبها  
 وما هجرتك النفس يا ليل انها قلتك ولا ان قل منك نصيبها

فجاءت والله بالسحر الحلال وجعل الواثق يجاذبها وهي تغنى الغناء بعد  
 الغناء واغنى انا في خلال غنائها فمر لنا وقت احسن ما مر لأحد ، قانا كذلك  
 اذ رفع الواثق رجله وضرب بها صدر فريدة ضربة تدرجت منها من اعلى  
 السرير الى الأرض وتكسر عودها ومرت تعدو وتصيح وبقيت انا كمنزوع  
 الروح وخفت ان عيني التي جنت عليها اذ شاهدني وقد نظرت اليها ونظرت  
 الي ومن طبيعة المحب اذا رأى حبيبته ينظر الى احد مهما يكن شأنه او جليس  
 من جلسائه يتبادر الى ذهنه انه يغازله او يشير اليه بامر فاطرق الواثق الى  
 الارض متحيراً واطرقت مستوقعا ضرب العنق ثم رفع رأسه وقال لى : يا  
 محمد ارأيت اغرب ما تهيئنا علينا قلت يا سيدى الساعة والله تخرج روحى  
 فعلى من اصابنا بالعين لعنة الله • فقال لا • ولكنى تخيلت انسى ساموت  
 وان جعفرأ اخي سيقعد فوق هذا السرير وتقع فريدة بجانبه وتغنيه فلم اطق  
 صبراً وخامرني ما اخرجنى الى ما رأيت •

قال ابن الحارث فسرى عنى ما الم بى من الخوف والفرع وقلت بل  
يقتل الله جعفرًا ويحيى امير المؤمنين ثم قبلت الارض وقلت يا سيدى الله الله  
في فريدة ارحمها ومر بردها . فقال لبعض الخدم الوقوف من يجىء بها ؟  
فلم يكن اسرع من ان خرجت وفي يدها غود وعليها غير الثياب التى كانت  
عليها . فلما رآها الواثق جذبها اليه وعانقها فبكت وجعل هو يبكى واندفعت  
انا في البكاء ، فقالت فريدة ما ذنبى ؟ وبأى شىء استوجبت هذا ؟ فاعاد  
الواثق عليها ما قاله لى وهو يبكى وهي تبكى فقالت سألتك بالله يا امير  
المؤمنين الا ضربت عنقى الساعة وارحتنى وارحت نفسك من التفكير وقلبك  
من الهم بى وجعلت تبكى ويبكى معها ثم مسح اعينهما من الدموع . فعانقها  
مرة اخرى ورفعها الى جانبه واوماً الى الخدم بشىء لا اعرفه فاحضرت اكياس  
من الفضة والذهب فشرها بين يديها واخرج من درج جاء به خادم عقداً ثميناً  
ما رأيت انفس منه فى حياتى ووضعها فى عنقها ومنحني من العطايا ما لا تقدر  
فعاد مجلسنا كما كنا يعلوه البشر والهناء ويحيط به الحبور والأنشراح .

وضرب الدهر ضربته . ومات الواثق واستخلف المتوكل فوالله انى لنى  
منزلى اذ هجم على رسل الخليفة المتوكل فما امهلونى حتى ركبت وسرت اليه  
فادخلت والله الى الحجره بعينها واذا المتوكل فى الموضع الذى كان يجلس  
فيه الواثق على السرير المعد له والى جانبه فريدة . فلما رآنى قال : ويحك  
يا محمد اما ترى ما انا فيه من هذه ؟ واشار الى فريدة انا منذ غدوة اطلبها  
بأن تغنى فتأبى ذلك ؟ فقلت لها يا سبحان الله اتخالفين سيدك وسيدنا بحياته  
عليك غنى فاندفعت تغنى :

مقيم بالمجازة من قنونا      واهلك بالأجفر فالشماد  
فلا تبعد فكل فتى سياتى      عليه الموت يطرق أو يصادى

وضربت بالعود الارض ورمت نفسها عن السرير ومرت تعدو وهي تصيح  
واسيداه ! فنظر لى المتوكل وقال ويحك يا محمد ما هذا ؟ فقلت لا ادري  
يا سيدى . قال فما ترى ؟ قلت ارى ان انصرف انا وتحضر فريدة ومعها بعض  
الجواري فيلاطفنها فانها لا بد ان ترضى . قال فانصرف فى حفظ الله فانصرفت

ولم ادر ما كانت القصة • والحقيقة ان فريدة كانت تعاشر المتوكل على كره  
منها رغم انه تزوجها • ولعل المتوكل لم يكن فيه من الرقة والملاحة التي تجلب  
الانظار وتدفع الجوارى الى حبه ومعاشرته •

## قلم الصالحية

لو كانت قلم من القيان اللواتى رضخن للحب واستفزهن الغرام لما  
كان مولاها صالح بن عبد الوهاب اخو احمد بن عبد الوهاب كاتب صالح  
ابن الرشيد يعتر بها ويرعاها ويذل كل مجهوده في تثقيفها وتهذيبها ويعهد  
بتعليمها الى اساطين المغنين امثال ابراهيم الموصلي وابنه اسحاق وغيرهما  
حتى بلغت المقام الاسمى من فنها • وبذلك ذاع صيتها واشتهرت في الاوساط  
الغنائية فلقيت بقلم الصالحية نسبة الى مولاها صالح بن عبد الوهاب • وقد  
عرفت قلم بالجمال الفتان والمنطق الحسن وصفرة لونها الذهبي كما عرفت  
لها الحان كثيرة اخذها عنها المغنون وفي طليعتهم زرزور الكبير • ومن  
غنائها وهي عند مولاها صالح في شعر لعلى بن الجهم يهنيء به الواصل حينما  
افضت الخلافة اليه وهو :

قد فاز ذو الدنيا وذو الدين بدولة الواصل هارون  
وعم بالأحسان من فعله فالناس في حفظ وفي لين  
ما اكثر الداعي له بالبقا واكثر التالى بآمين

ومما غنته بشعر على بن الجهم ايضا فى الخليفة الواصل :

وثقت بالملك الواثق بالله النفوس  
ملك يشقى به الملال ولا يشقى الجليس  
اسد تضحك عن سدا ته الحرب العبوس  
أنس السيف به واستوحش العلق النفيس

يا بنى العباس يا بنى الله الا ان تسوسوا

فلما سمع المغنون هذا الغناء تلقته الالسن وذاع في المجالس فسمع  
الوائق خبره الذي شاع في بغداد وسامراء وسأل عن صاحبه ؟  
ف قيل له قلم الصالحية ، قال ومن هذه قلم ؟ ومن هو مولاه ، وظل  
يفكر في الغناء ونفسه تتوق الى رؤية صاحبه ،  
وفي بعض الايام دخل عليه ندماءؤه ومعهم بعض المغنين واندفع احدهم  
يعني من شعر بن كناسة ،

في انقباض وحشمة فاذا صادفت اهل الوفاء والكرم  
ارسلت نفسي في سجيتهما وقلت ما قلت غير محتشم  
فطرب الواثق لحسن اللحن وتركيزه الفنى . وكيف لا والواثق صاحب  
صنعة في الغناء . وهو من الخلفاء العباسيين الذين تولعوا بالغناء وله فيه  
الحان كثيرة . وقد سأل لمن هذا الغناء ؟ قالوا يا امير المؤمنين هو لقلم  
الصالحية ، فلم يكن منه الا أن طلب ابن الزيات وزيره ومستشاره فلما حضر  
قال من هو صالح بن عبد الوهاب واين هو الان ؟ قال فى بغداد قال الواثق  
ابعث اليه ان يحضر ومعه قينته قلم . وامثالاً لامره احضرهما ودخلا على  
الواثق فلما بين يديه امرهما بالجلوس وامر قلم ان تغنى فغنت فلما  
سمع غناها طرب وقال يا صالح بكم تبغني هذه الجارية؟ قال صالح ابيعها  
بمائة الف دينار وولاية مصر !

فغضب الواثق واستشاط غيضا وامرهما بالخروج من عنده فخرجا .  
خرجت قلم الصالحية من عند الواثق ونفسه عالقة بها وكلما حدثته  
نفسه تذكر وقاحة مولاه فى طلبه ولاية مصر فيحول ذكراها عنه . وبينما  
الواثق فى مجلس من مجالسه وخيال قلم يتراءى له اخذ زر زور المغنى يعنى .  
ابت دار الأحبة ان تبيننا اجدك ما رأيت لها معينا  
تقطع نفسه من حب ليلسى نفوسنا ما وثبن لها جزينا  
فطرب الواثق وقال لمن هذا الغناء ؟ فقال له امير المؤمنين لقلم  
الصالحية . فقال الواثق ياسبحان الله . فأمر ابن الزيات باحضارها هى  
ومولاه فلما حضرا بين يديه امرها ان تغنى ( ابت دار الاحبة ) وهو الغناء  
الذي غناه زر زور . فغنته حتى استوفيت به كل شروطه ومعانيه فقال لها

الصنعة فيه لك ؟ قالت نعم يا امير المؤمنين . قال بارك الله عليك . وبعث الى صالح فاحضر فقال له . انى قد رغبت فى هذه الجارية فاستم فى ثمنها سوّما يجوز ان تعطاه . فقال اما اذا وقعت الرغبة فيها من امير المؤمنين فما يجوز ان املك شيئاً لك فيه رغبة فقد اهديتها الى امير المؤمنين فبارك الله له فيها ،

فلما سمع الواثق منه هذا الكلام استبشر وابتهج وقال قد قبلت هديتك ، وامر ابن الزيات ان يدفع اليه خمسة الاف دينار ، ولكن ابن الزيات تماهل ولم يعطه شيئاً لامر هو يعرفه ؟ وصبر مولى قلم على . بدر من ابن الزيات فلم يجد له منفذاً لقبض الدراهم الا ان يخبر قلما فوجه من اعلمها بذلك . وظل الواثق يطرب لغناء قلم ، ومولاها صالح يحرق الأرم ولم يجراً على مطالبة ابن الزيات وما علم الواثق بما حصل له الى ان غنته يوماً فطرب وضمها اليه وقال له بارك الله فيك وفيمن ربك ، فقالت يا امير المؤمنين وما نفع من رباني منى الا التعب والغرم علي والخروج منى صفراء . فأخذ الواثق العجب وقال او لم آمر له بخمسة الاف دينار ! قالت بلي يا امير المؤمنين بأبي انت وامى ولكن ابن الزيات لم يدفع له شيئاً . فدعى بخادم من خاصة خدمه وكتب الى ابن الزيات بحمل الخمسة الاف دينار الى مولى قلم وخمسة الاف اخرى معها ،

قال صالح فذهبت مع الخادم اليه بالكتاب فدفع الخمسة الآلاف الاولى وقال الخمسة الاف الاخرى انا ادفعها اليك بعد جمعة فاخذت الخمسة الاف الاولى وذهبت . ثم تناساني كأنه لم يعرفنى ! وذهبت اطلبها منه فقال لى اكتب قبضا بها وخذها بعد جمعة . فكرهت ذلك وامتنعت وامتنع هو عن الدفع . وكنت اعلم انه يتردد على منزل صديق لى للشرب والعبث والمجون وكان يتستر من ذلك خوفاً من الخليفة الواثق . وبينما هو عند صديقى ليلة من الليالى زرت صديقى فى تلك الليلة ولما علم وجودى اسقط فى يده وفضن إلى حرج موقفه ، وقال : يا صالح غداً تقبض الخمسة آلاف دينار ، وفي الصباح الباكر قبضتها منه فاشتريت بها ضيعة وجعلتها مصدر معاشى واستغنيت عن كل عمل ،

وعلى ما يظهر من اخبار قلم انها لم تقع في نفس الواثق كما وقعت ،  
فريدة فقد كان مفتونا بغناء قلم وفنها بينما كانت فريدة حبيبة له لايفك عن  
منادمتها ، وقد عاشت قلم بعد الواثق عيشة غير مرضية الى ان ماتت

## فضل اليمامية

انطلق الشعر في العصر العباسي من حدوده القديمة الضيقة الى نطاق  
واسع وارتندى حلا من التطور وحسن التعبير في كثير من ابوابه ومناحيه  
واصبح موسيقى الالفاظ متجدد المعاني ولم ينحصر بالشعراء المتجددين  
كابى نواس وابى العتاهية وبشار بن برد والعباس بن الاحنف وعلى بن الجهم  
وغيرهم بل تعدهم الى القيان والجواري كعنان جارية الناطفي ومحبوبة  
جارية الخليفة المتوكل ونبت جارية الخليفة المعتمد وفضل اليمامية التي تتكلم  
عنها الآن ،

كانت فضل اليمامية شاعرة أدبية فصيحة اللسان سريعة البديهة مطبوعة  
على قرص الشعر . ولم يكن في القيان اللواتي عاصرها اشعر منها وكانت  
حسنة الوجه والجسم معتدلة القوام مضمومة الخصر ثقيلة اليرداد وكانت  
امها من مولدات اليمامة فولدت ونشأت فيها عند رجل من عبد القيس لذلك  
غلب عليها اسم مسقط رأسها اليمامة ، وبعد ان ادبها وخرجها باعها الى رجل  
من النخاسين بالكرخ يقال له حسوية . فاشتراها منه محمد بن الفرج  
واهداها الى الخليفة المتوكل (١) ولما دخلت عليه يوم اهديت له . قال  
لها : انت شاعرة ؟ قالت هكذا يزعم من باعني واشتراني . فضحك وقال  
انشدنا من شعرك فأنشدت ،

خليفة افضت الى جعفر وهو ابن سبع بعد عشرينا  
انا لرجويا امام الهدي ان تملك الناس ثمانينا

(١) هو جعفر المتوكل بن المعتصم تولى الخلافة سنة ٢٢٢ هـ ٨٤٧ م الى  
سنة ٢٤٧ هـ ٨٦١ م .

لا قدس الله امرءاً لم يقل عند دعائى لك آميناً  
 فاستحسن المتوكل الايات وامر لها بخمسة آلاف درهم وامر عريب  
 فغنتها وفضل مع علو قدرها عند المتوكل تجلس للرجل ويأتيها الشعراء ،  
 ويطارحونها الشعر فالقى عليها يوما ابو دلف القاسم بن عيسى وقال لها  
 اجيزي :

قالوا عشقت صغيرة فأجبتهم  
 كم بين حبة لؤلؤ مثقوبة  
 اشهى المطي السبي ما لم تركب  
 نظمت حبة لؤلؤ لم تثقب

فقال فضل مجيبة له :

ان المطية لا يلذ ركوبها  
 والدر ليس بنافع اصحابه  
 ما لم تذلل بالزمام وتركب  
 حتى يؤلف للنظام بمثقب  
 وحدث احمد بن ابي طاهر قال القيت انا على فضل الشاعرة  
 علم الجمال تركتني  
 فقالت على البديهة :

وابحتنى يا سيدي  
 وتركتنى غرضاً فد  
 سقماً يجلب عن السقم  
 يتك للعواذل والتهم  
 الله يعلمه كسرم  
 صلة الحبيب حبيبه

وحدث على بن الجهم قال: كنت يوما عند فضل الشاعرة فلحظتها لحظة  
 استراحت بها فقالت :

يا رب حسن تعرضه  
 يشعر اني غرضه  
 فقلت ،

اي فتى لحظتك ليس غرضه  
 واي عقد محكم لا ينقضه  
 فضحكت وقالت خذ في غير هذا الحديث ،

وكتبت فضل الى سعيد بن حميد ايام كان بينهما حب وتواصل :  
 وعيشك لو صرحت باسمك في الهوى  
 ولكننى ابدى • لهذا • مودتى  
 لا قصرت عن اشيء في الهزل والجد  
 وذلك لاخلو فيك بالث والوجد  
 مخافة ان يفرى بنا قول كاشح  
 عدوا فيسمى بالوصول الى الضد

وكتب لها سعيد يقول ،

تتأمين عن ليلي واسهره وحدي      وأنهي جفوني ان ابثك ما عندي  
وان كنت لا تدرين ما قد فعلته      بنا فانظري ماذا علي قاتل العمدة

وحدث ابن الدقاق الضرير قال :

ذهبت انا وابو منصور البخارزي الى منزل فضل فحجينا عنها فكتبت  
الينا تعتذر :

ما كنت اخشى ان ترو الى زلة      ولكن امر الله ما عنه مذهب  
اعوذ بحسن الصفح منكم وقبلنا      بصفح وعفو ما تعوذ مذنب

وكتبت فضل الى سعيد بن حميد تقول :

بشت هواك في بدني وروحي      فالف فيهما طمعا يياس  
فاجابها :

كفانا الله شر اليأس انسى      لبغض اليأس أبغض كل يأس  
ولما عشقت بنان عمر المغني وعدلت عن سعيد بن حميد اسف عليها  
واظهر تجلدا ثم قال فيها :

قالوا تعز وقد بانوا فقلت لهم      بان العزاء على آثار من بانا  
وكيف يملك سلوانا لجهنم      من لم يطق للهوى سراً وكتمانا  
كانت عزائم صبري استعين بها      صارت علي بحمد الله اعوانا  
لا خير في الحب لا تبدو شواكله      ولا ترى منه في العينين عنوانا

وزارت فضل سعيد في آخر النهار وجلسا يشربان وبينما هما في  
هنا وسرور استأذن غلامه لبنان المغني فأذن له ودخل وهو يومئذ شاب  
في مقتبل العمر حسن الوجه والغناء نظيف الثياب ، فذهب بفضل كل مذهب  
واقبلت عليه بوجه يفتح سرورا وأخذت تحدثه بحديثها الشيق ونظرها  
الحاد . فغضب سعيد واستشاط غيضا فأحس بنان بما آل اليه حال سعيد  
فأنصرف فأقبل سعيد على فضل يعذلها ويؤنبها فانصرفت وهو غير راض  
عنها وبعد ان ذهبت كتبت اليه ،

يا من اطلت تفرسي في وجهه وتنفسى



افديك من متدلل  
 هبنى اسأت وما اسأت  
 احلفتني الا اسارق  
 فنظرت نظرة مخطيء  
 ونسيت اني قد حلفت  
 يزهي بقتل الأنفس  
 باى اقر انا المسي  
 نظيرة في مجلس  
 اتبعتهما بتفرس  
 فما عقوبة من نسي

فجءها فقبل رأسها وقال لا عقوبة عليه بل نحمل هفواته ونتجافى  
 عن اساءته ،

وبقى اثر بنان في قلبها وعلقت به ولم تزل حتى واصلته وقاطعت سعيدا  
 فكتب اليها :

يا ايها الغالام مالى ولك  
 لا تصرف الرحمة عن اهلها  
 ظلمت نفساً فيك علقتها  
 تبارك الله فما اعلم الل  
 أهكذا تهجر من واصلك  
 قد يعطف المولى على من ملك  
 فدار بالظلم علي الفلك  
 ه بما ألقى وما اغفلك

وغضب بنان على فضل مرة في امر انكره عليها فاعتذرت اليه فلم  
 يقبل معذرتها وانشدت لنفسها في ذلك :

يا فضل صبراً انها ميتة  
 ظن بنان انى ختته  
 يجرعها الكاذب والصادق  
 روى اذن من بدنى طالق

وقال الخليفة المتوكل لعلى بن الجهم قل بيتا من الشعر واطلب من  
 فضل ان تجيزه ،

فقال على اجيزي يا فضل :

لاذ بها يشتكى اليها  
 فطرقت هنيهه وقالت :

ولم يزل ضارعا اليها  
 فعاتبوه فزاد عشقا

فطرب المتوكل وقال احسنت يا فضل وأمر لها بمائتي دينار •  
 وقال سعيد بن حميد يوما لفضل اجيزي :

من لمحِب احب من صغره  
فقالَت غير متوقفة

صارا حدوثة على كبره  
فقلت ،

من نظر شفه فارقه  
فقالَت

فكان مبدا هواء من نظره  
ثم شغلت هنية فقلت ،

لولا الأمانى لمات من كمد  
مر الليالى يزيد في فكسه  
ليس له مسعد يساعده  
بالليل في طوله وفي قصره

وقال ابراهيم بن المهدي قلت يوما لسعيد بن حميد اظنك يا ابا عثمان  
تكتب لفضل رقاعها ؟ فقال لى : ما احسن ظنك ليتها تسلم منى لاخذ كلامها  
ورسائلها . ولو اخذ افاضل الكتاب وكبرائهم وامائلهم عنها لما استغنوا  
عن ذلك ،

وذكر محمد بن داود الجراح في كتابه (الورقة) في اخبار الشعراء  
المحدثين فقال ،

فضل الشاعرة مولاة المتوكل اشعر امرأة كانت في هذا العصر ومن  
شعرها :

قد بدا يشبهك يا مو لاي يحدو في الظلام  
فاتببه تقضى لبانا ت اعتناق والتسام  
قبيل ان تفضحنا عو دة ارواح النيسام

وحدث محمد بن السرى احد اصحاب سعيد بن حميد قال :  
عرضت لى حاجة عند سعيد بن حميد فذهبت اليه . وبينما اذ عنده  
جاءته رقعة فضل وفيها تقول ،

الصبر يقضى والغرام يزيد والدار دانية وانت بعيد  
اشكوك ام اشكو اليك فانه لا يستطيع سواهما المجهود

وحبت البيتين تقول :

يا ابا عثمان انا فى حال التلف • ولم تعدنى ولا تسأل عن خبرى  
قال محمد فاخذ سعيد يدي ومضينا اليها فسأل عن خبرها فقالت

هوذا اموت وتستريح مني ،

فقال لها لا يا فضل وانشأ يقول :

لامت قبلي بل احيا وانت معاً      ولا اعيش الى يوم تموتينا  
لكن نعيش بما نهوى ونأمله      ويرغم الله فينا انف واشينا  
حتى اذا قدر الرحمن ميتتنا      وحال من امرنا ما ليس يعدونا  
متنا جميعا كغصنى بانه ذبلا      من بعد ما نظرا واستوسقا حيننا  
ثم السلام علينا في مضاجعنا      حتى نعود الى ميزان منشيننا

وظلت فضل تتصارع مع حبيبين استوليا عليها حب بنان المغنى وحب  
سعيد بن حميد ولم تدر ايها الغالب • ولكنها كثيرا ما حاولت ان تدرك سر  
هذا الشغف فعلمت انه هو الجمال الذى وهبه الله لعباده ولولاه ماتعلقت  
بأمل ولا ركبت الى رجاء •

## محبوبة

الشهرة التى نالتها بعض القيان فى العصر العباسى لا ترجع الى غنائهن  
بقدر ما ترجع الى حسنهن وجمالهن • فلكل قينة جمالها الظاهر عليها وهذا  
هو السبب الوحيد الذى تقوم عليه شهرتهن ، اذن فمن هى ذات الجمال  
الفتان ؟ ومن صاحبة المعانى الحلوة ؟ ومن هى ذات القوام المعتدل والبشرة  
البضة التى تفيض فتنة واغراء وتكتنز في مقلتها وقدة الحب وجاذبية  
الانوثة • ليست هى محبوبة الخليفة المتوكل على حد قول الرواة ،

فقد اطنبوا في وصف جمالها كما انهم ذكروا قليلا من اخبارها الغنائية  
وان هذا القليل كان للتعريف عن حياتها الفردية • ولم ندر هل كانت خاملة  
ام كانت ناقصة التدريب الغنائي ؟ واكبر الظن انه لا هذا ولا ذلك بل انها لم

تشتهر بشيء من غنائها وهي عند مولاها الاول عبدالله بن طاهر ، ولعل هذا هو السبب الذي حجبها عن الناس واختفى امرها مما جعل كتاب الأغاني يهمل ذكر غنائها بين القيان ويذكر شاعريتها فقط !

والمشهور عن محبوبه انها مولدة من مولدات البصرة . وهي شاعرة مطبوعة لا تكاد فضل اليمامة تتقدمها وكانت اجمل من فضل واعف منها ملكها المتوكل وهي فتاة بكر اهداها اليه عبدالله بن طاهر اما غناؤها فليس بالفخر كما نوه به صاحب كتاب الأغاني .

وكانت للمتوكل جارية تدعى قبيحة تسمية بالضد لانها جميلة بارعة في الحسن . ومن شغف المتوكل بها يتحدث عنها دائما . فقال لعلى بن الجهم الشاعر دخلت على قبيحة يوما فوجدتها قد كتبت اسمى على خدها بغالية فلا والله ما رأيت شيئا احسن من سواد تلك الغالية على بياض ذلك الخد فقل في هذا شيئا من الشعر . وكانت محبوبه تسمع الحديث من وراء الستار فما ان طلب ابن الجهم ورقة وقلما ليكتب ما أمر به المتوكل حتى نطقت محبوبه من وراء الستار مرتجلة هذا الشعر :

|                              |                               |
|------------------------------|-------------------------------|
| وكاتبه في الخد بالمسك جعفرأ  | بنفسى مخط المسك من حيث اثرا   |
| لئن كتبت في الخد سطرأ بكفها  | فقد اودعت قلبي من الحب اسطرا  |
| فيا من لملوك لملك يمينه      | مطيع له فيما اسر واطهرا       |
| ويا من هواها في السريرة جعفر | سقى الله من سقيا ثناياك جعفرا |

فلما سمع على بن الجهم هذا الشعر المرتجل اسقط في يده وتحير ، اما المتوكل فقد طرب واستأنس وبعث بالايات الى عريب وامرها ان تغنى فيها هي وجواربها ،

وحدث على بن الجهم قال . كنت يوما عند المتوكل وهو يشرب ونحن بين يديه فدفع الى محبوبه تفاحة فقبلتها وانصرفت من حضرته الى الموضع الذي كانت تجلس فيه اذا شرب . ثم خرجت جارية لها ومعها رقعة دفعتها الى المتوكل فقرأها وضحك ضحكا شديدا فرمى بها الينا فقرأنا واذا فيها :  
يا طيب تفاحة خلوت بها  
تشعل نار الهوى في كبدي

ابكى اليها اشتكى دنفي      وما الاقى من شدة الكمد  
لو ان تفاحة بكت لبكت      من رحمتى هذى التى بيدي  
ان كنت لا ترحمين ما لقيت      نفسى من الجهد فارحمى جسدى  
فوالله ما بقى احد منا الا واستظرفها • وامر المتوكل فغنى فى الشعر  
وشرب عليه يومه ،

وقال علي ابن الجهم حظيت محبوبة عند المتوكل حظوة عظيمة فكان  
يجلسها خلف الستارة وراء ظهره اذا جلس للشرب فيدخل رأسه اليها يحدثها  
ويراها كل ساعة ، فغاضبها يوما فهجرها ومنع جواريه جميعا من كلامها  
ونازعته نفسه اليها واراد رضاءها ولكن عزة الخلافة حالت دون ذلك ومنعته  
من الرضوخ اليها وكذلك هى فقد ابت الانصياع • لوثوقها من حبه لها  
ومنزلتها من نفسه !

وقال ابن الجهم فبكرت اليه يوما فقال لي : يا علي انى رأيت البارحة  
محبوبة فى نومى كأنى قد صالحتها • فقلت اقر الله عينك يا امير المؤمنين  
وانامك على خير وايقظك على سرور وارجو ان يكون هذا الصلح فى  
اليقظة ، ولازال يحدثني واجيبه فاذا بوصيفة قد جاءت واسرت اليه شيئا •  
فقال لي : اتدرى ما اسرت الي به الوصيفة ؟ قلت لا فدتك نفسى ، قال :  
حدثتني أنها اجتازت بمحبة الساعة وهى بحجرتها تغني ، افلا تعجب من  
هذا ؟ انى مغاضبها وهى متهاونة فقم بنا اليها حتى نسمع ماتغني ، فقام  
فتبعته حتى انتهى الى حجرتها فاذا هى تغنى وتقول :

ادور فى القصر لا ارى احداً      اشكو اليه ولا يكلمنى  
حتى كأنى اتيت معصية      ليست لها توبة تخلصنى  
فهل لنا شافع الى ملك      قد زارنى فى الكرى فصالحنى  
حتى اذا ما الصباح لاح لنا      عاد الى هجره فصار منى  
فتعجب المتوكل ودهش من حسن الاتفاق فخرجت اليه وقالت هكذا  
جئت الي فى المنام فصالحتنى وهذا ما سمعته من شعرى وغنائى ، فضمها  
بين ذراعيه واصطلحها ،

ودارت الدوائر وقتل المتوكل • وظلت محبوبة بعده لا يهنأ لها شراب  
ولا تلتذ بطعام وتقول ،

لقد سلمت نفسك للموت ولا اكاد اصدق لانى رأيتك تتغلب على  
كل شيء وانه ليدهشنى كيف لا تتغلب على الموت !

ايها المسجى لقد سخرت من الحياة وشدائدتها وعودتنى الابتسام •  
اما اليوم فقد طواك الموت وارتشفت كأسه فكأنك اردت ان تلهب  
قلبى نار الفراق ،

مولاي وسيدي ، لقد عودتنى الابتسام فى الحياة ثم رغبت في خلود  
هذه الابتسامة الى الابد • فابتسمت للباكين حولك وانت في نومك الاخير،

وبعد قتل المتوكل امر وصيف التركى الذى له يد في قتل المتوكل •  
باحضار جواري المتوكل فاحضرن وعليهن الثياب الملونة والمذهبة والحلى وقد  
تزين وتعطرن الا محبوبة فأنها جاءت بشباب ييىض وهي لباس الحزن عند  
العباسيين ، وكانوا يلبسون البياض ايام الحزن وبعد انقضاء مدة الحزن  
يعودون الى لبس السواد المتبع عندهم فأمر وصيف ان تغني الجواري فغنين  
وطرب لغنائهن وشرب فقال لمحبوبة غن فأخذت العود وهي تبكي وغنت :

|                  |                    |
|------------------|--------------------|
| اي عيش يطيب لى   | لا ارى فيه جعفرا   |
| ملك قد رأته عي   | يني قتيلاً معفرا   |
| كل من كان ذا هيا | م وحزن فقد برا     |
| غير محبوبة التى  | لو ترى الموت يشتري |
| لاشترته بملكها   | كل هذا لتقبيرا     |
| ان موت الكئيب اص | لح من ان يعمررا    |

فاشدد ذلك على وصيف وهم بقتلها لولا ان بغا القائد التركى  
استوهبها منه فوهبها له فاعتقها وامر باخراجها من سامراء وان تختار حيث  
تختار من البلاد فخرجت الى بغداد وحلت بها ولم يسمع لها بعد ذلك خبر •

## منووسة

للأمراء العباسيين مجالس ادب وهو لا تقل روعة عن مجالس الخلفاء . وقد عرفت هذه المجالس بانتهاز اللذائذ واشباع الميول النفسية الى سماع القيان . وعلى كل ما كان في هذه المجالس من لهو ومتع كان الشعر فيها مادة خصبة لا يستغنى عنه وكان محمد بن عبدالله بن طاهر من اولئك الذين فتحت ابواب مجالسهم للوجهاء والمؤسرين والشعراء والادباء . وقد جلس يوما في مجلسه ومعه صديقه ونديمه محمد بن طالوت . فقال له يوما يا ابن طالوت قد خطر ببالي رجل ليس علينا من منادمته ثقل . وقد خلا من ابرام المجالس وبريء من ثقل المؤانسة . خفيف الوطأة اذا ادنيتك سريع الوثبة اذا امرته ، قال . ومن هو ؟ قال . مان الموسوس ، قال . ابن طالوت ما أسأت الاختيار . قال ، محمد هذا من جهة المنادمة . واما من جهة المؤانسة فمن يكون ؟ قال : ابن طالوت وهل لنا غير منووسة ومنووسة كما تعلم انها مستازة بالحسن والجمال والظرف والدلال مع أدب كامل وشعر جيد رقيق ،

فقال محمد : نعم ما اشرت اليه . فلا يطيب عيشنا بدونها . فبعث في إحضارها . فما لاحت على محمد حتى تهلل وقام واستقبلها باجمل التحيات والمجاملات الكلامية ، والتحيات تجدها دائما عند كل عربي . وقد تكون معظم تلك المجاملات تظاهرا دليلا على جمال الطبع ودماثة الاخلاق ،

وفي تلك الساعة حضر مان الموسوس بعد ان نضف من قذارته واصلح شعر رأسه ولحيته والبس افخر الثياب ولما دخل سلم فرد عليه السلام . وقال له ابن عبدالله ، اما حان لك ان تزورنا مع شوقنا اليك . فقال مان : اعز الله الامير . الشوق شديد . والرد عتيد والحجاب صعب . والبواب فظ . ولو سهل لنا الاذن لسهلت علينا الزيارة ،

فقال له محمد لقد لظفت الاستئذان وامره بالجلوس • ثم نظر محمد الى منوسة وقال لها هذا مان وقد اخترتك من بين القيان لتكوني مؤنستا اليوم فغنينا غناء يوقظ النفس ويزيل الهم فاخذت العود وبدأت تغني ،  
ولست بناس اذا غدوا وتحملوا دموعي على الخدين من شدة الوجد  
وقولي اذا زالت بليل حملهم بواكر تحدى لا يكن آخر العهد  
فقال مان اياذن لي امير المؤمنين باستحسان ماسمعت فقال نعم لك  
ذلك فقال مان احسنت يامنوسة فان رأيت ان تریدی على الشعر هذين  
البيتين وهما ،

وقمت اناجى الفكر والفكر حائر بمقلة موقوف على الصد والجهد  
ولم يعدنى هذا الأمير بعدله على ظالم قد لجج في الهجر والصد  
فقال له محمد ومن اي شيء استعديت يا مان فاستحيا وقال لا من ظلم  
ايها الامير • ولكن الطرب حرك شوقا كامنا فظهر والشوق ايها الامير هو  
الينبوع العذب الذى اروى به عواطفى وهو نور حياتى ومصدر احلامى •  
هو دوحة ظليلة انام تحت فيئها اذا التهبت هاجرة الشقاء • هو قلبى الخافق  
بين جوانحي وروحى التى يضمها صدرى • هو من اعمانى حبه فما ابصرت  
سواه • واصم حديثه سمعى فما لبيت دعواه فقال محمد لك الله يامان ، ثم  
غنت منوسة ،

حجبوها عن الرياح لأنسى قلت يا ربيع بلغها السلاما  
لو رضوا بالحجاب هان ولكن منعوها من الرياح الكلاما  
فطرب محمد • فقال مان ماعلى قائل هذين البيتين لو اضاف اليهما  
هذين البيتين ،

فتنفتت ثم قلت لطيفى ويك ان زرت طيفها الماما  
حيها بالسلام سرا • والا منعوها لشقوتي ان تناما  
قال محمد احسنت يامان ثم غنت منوسة  
يا خليلي ساعة لا تريما وعلى ذى صباة فاقيمما  
ما مررنا بقصر زينب الا فضح الدمع سرك المكتوما



قال مان لولا رهبة الامير لاضفت الى هذين البيتين بيتين قال محمد  
هات ما عندك يمان فقال ،

ظبية كالهلال لو تلحظ الصخر      بطرف لغادرته هشيميا  
واذا ما تبسمت قلت يبدو      من الشعر لؤلؤاً منظوما

فقال الامير احسنت يامان والله لقد سحرتنا منوسة بهذا الغناء  
فقال ابن طالوت يامان كيف منوسة عندك في حسنها وادبها وغنائها ؟  
قال غاية ما ينتهي اليها الوصف ثم يقف !

قال . قل ذلك شعرا . فقال ،

وكيف صبر النفس عن غادة      تظلمها ان قلت طاووسه  
اذا جرت شبهتها بانه      في جنة الفردوس مغروسه  
وغير عدل ان قرنا بها      جوهرة في التاج محروسة  
جلت عن الوصف فما فكرة      تلحقها بالنعث محسوسه

فقال له منوسة . قد وجب شكرك يامان . فساعدك دهرك . وعطف  
عليك بالفك ونلت سرورك . وفارقك محذورك ، وفطن مان الى انها  
تستفزه بقولها وعطف عليك بالفك فرد عليها قائلا :

ليس لي الف فيعظفني      فارقت نفسي الابطايل

ثم قال استودعكم الله وانصرف بعد ان امر له الامير بجائزة وكان  
الامير محمد كثيرا ما يبعث اليه ويناديه .

## ن ب ت

نجمة متألفة في سماء الغناء العربي في العصر العباسي . وشاعرة مجيدة  
اعتلت منبر الشعر في مجالس الادب والمنادمة واشتهرت بقرض الشعر سريعة  
الاجابه فيه ، كما عرفت بملاحة وجهها ونبرات صوتها وحسن منطقتها حتى  
اصبحت حديث الناس بالمجالس الخاصة والعامة ،

وتحدث عنها في مجلس الخليفة المعتمد (١) بعض المغنين واطنب في وصفها وراح ينعثها بكل مالد وطاب ، حتى اشتاق الخليفة لسماع غنائها فأمر بأحزارها . فلما حضرت ومثلت بين يديه امرها بالجلوس وقال لها غن . فغنت فطرب لغنائها ، وقال لابن حمدون الشاعر وكان حافزا في المجلس اختبرها لترى ما يبدو منها . فقال ابن حمدون اجيزي يابنت هذا المصراع فقال

وهبت نفسى للهوى

فجار لما ان ملك

فقلت

فصرت عبداً خاضعا

فقال

يسلك من غير سلك

فقلت

فلما سمع المعتمد . قال لها احسنت وامر بشرائها فاشترت من مولاها بثلاثين الف درهم ،

وقال . علي بن الجهم استدعاني الخليفة المعتمد في يوم صائف فلما مثلت بين يديه . اقبلت قينة كأنها البدر ليلة تمامه . فقال . الخليفة هذه الجارية نبت ماتقول فيها يا علي ؟ فقلت . وانا انظر اليها يا امير المؤمنين ، ( هذه الجنة التي كنتم بها تواعدون ) فقلت . نبت ،

وما الوعد ياسؤلى وغاية منيتى ،

فان فؤادي من مقالك طائر

فقلت

اما وآله العرش ما قلت سيئا

وما كان الا انتى لك شاكر

ثم اندفعت تغنى بصوت ما سمعت احسن منه :

اروح بهم في هواك مبرح اناجى به قلباً كثير التفكير

عليكم سلام لا زيادة بيننا فلا وصل الا ان يشاء ابن معمر

فطرب المعتمد وشرب وشربت ولا زلنا في غبطة وسرور فانصرفت واذا

(١) هو احمد المعتضد بن الموفق تولى الخلافة سنة ٢٧٩ هـ

٨٩٢ م الى سنة ٢٨٩ هـ ٩٠٢ م .

بجائزة الخليفة تحمل الي وانا في داري •

وذكر ان ابراهيم بن المدبر الشاعر كان يهوى نبت وهي عند مولاهما  
الاول وقد شبب بها في شعره حتى غدا حديث المجالس وشاع بين الطبقة  
الغنائية ومنه ،

نبت اذا سكتت كان السكوت لها      زينا وان نطقت كالدر ينتشر  
وانما اقصدت قلبي بمقلتها      ما كان سهم ولا قوس ولا وتر  
ومنه :

يا نبت يا نبت قد هام الفؤاد بكم      وانت والله أحلى الخلق إنسانا  
ألا صليني فاني قد شفقت بكم      ان شئت سرّاً وان احببت اعلانا  
وحدث أحمد بن أبي طاهر قال : دخلت يوماً على نبت فقلت لها  
خطر بيالي مصراع من الشعر فأجيزي • فقالت قل فقلت :

يا نبت حسنك يعشو بهجة القمر      قد كاد والله ان يبتزني بصري  
فتوقفت أفكر فسبقتني وقالت :

وطيب نسرک مثل المسك قد نسمت      ربي الرياض عليه في دجى السحر  
فزادت فكرتي وبادرتني فقالت :

فهل لنا فيك حظ من مواصلة      اولا فأني راض منك بالنظر  
واجتمع علي بن يحي المنجم و ابراهيم بن المدبر في منزل بعض الوجوه  
بسامراء في ليلة أنس وكانت تغنيهم نبت فأقبل عليها ابن المدبر بنظرة ومزحه  
وهي مقبلة على فتى هناك أمرد من أولاد الموالي يقال له المظفر وكانت تهواه  
وتتفاني في حبه • وكان جميل الصورة أحسن خلق الله حسناً وجمالاً • وكلما  
حاول ابن المدبر أن يفضيها ويحول بينهما فلم يفلح • وبعد أن انفرط عقد  
المجلس وافترقوا كتب ابن المنجم الى ابن المدير يقول له :

لقد فتنت نبت فتى الطرف والندا      بمقلة ريم فاطر الطرف احور  
وشدو يروق السامعين ويملا      القلوب سروراً موقفاً متخير  
فاصبح في فح الهوى متقنصاً      عزيزاً على اخوانه ابن المدبر  
فلم تدر ما يلقي بها ولو انها      درت روحت من حره المتسعر  
وذلك به حب ونبت خلية      ومشغولة عنه بوجه مظفر

ولو انصفت نبت لما عدلت به لفازت وحازت حسن مرأى ومخبر  
وظل ابن المدبر يقول الشعر ويتغزل بها وهي لاهية عنه لا تلتفت الى  
شعره وما قاله فيها. ولو أنها اطلقت العنان لشعرها لما عسر عليها دحضه وهي  
شاعرة مجيدة .

وظلت نبت تعاني حب المظفر الى أن صارت عند الخليفة المعتمد وهناك  
خمل ذكرها ولم يسمع عنها شيئاً .

## بدعة

للقيان اللواتي بلغ بهن الحظ الى أعلى درجة واسمى مقام في العهد  
العباسي ذوق خاص في تزيين جواريهن بصورة محببة الى النفوس مقربة لمن  
يراهن . ومن تلكم القيان عريب فقد كانت تهيء جواريهن تهيئة جذابة  
لزوارها وضيوفها وتجعل على رؤوسهن شعوراً مسدلة حتى أعجازهن  
وتلبسهن أفخر الثياب الموشاة . وتضع فوق رؤوسهن أكاليلاً مزينة بأنواع  
الحلي تمشياً على طريقة الجوارى والقيان القديمات . وقد امتازت من بين  
جواريهن الجارية بدعة . وبدعة قد أبدع الخالق في تكوينها وأحسن  
تصويرها فكانت تبهر من شاهدها وتفتن من يقع في هواها . وكانت في  
غاية الظرف والأدب شاعرة محكمة السبك سريعة الأجابة مغنية مطربة غزبتها  
عريب من معين فنها . وعريب كما أسلفنا أنها زعيمة الغناء في العصر العباسي  
فهي التي تولت أمر بدعة وأدبها وثقفتها وعلمتها الغناء تعليماً فنياً متقناً  
لا شائبة فيه .

وذكر ان اسحاق بن أيوب الغالبي شغف ببدعة فبذل لعريب مولاتها مائة  
ألف دينار على يد أبي الحسن علي بن يحيى المنجم والواسطة في ذلك عشرين  
ألف دينار على أن تعتق ويتزوجها اسحاق زواجاً شرعياً . فلما خاب علي  
عريباً في ذلك ، قالت له : لا بأس سوف ادعوها وأعرض عليها هذا ، ودعت  
عريب بدعة اليها وعرفتها بما جاء اليه ابن المنجم ، وسألتها هل تحب الزواج  
على أن يكون ذلك زواجاً شرعياً . والزواج جنة الحياة يستظل الانسان

بظلها الوارف • ويرتشف من مائها السلسل • ويتنعم برحيقها الحلو ،  
وينشق عيرها الفياح • وأزيدك علماً أن الزواج وقاية وحسن من حصون  
الله الملائمة التي تقي الإنسان وتبعده عن الشرور والاثام • وهو رباط من  
أربطة دين الإسلام ورسول الرفهية والاطمئنان ، فقالت بدعة أنا لست ممن  
ينكرون فضل الزواج • ولكن • وغصت بريقها وبكت ثم قالت هذا  
لا يجعلني أن أرتاح وعرب بعيدة عني فكيف أرغب في مفارقتك ومن  
يضمن الحياة وعيني لن تراك • معاذ الله أن يكون ذلك • فلم يكن من  
عريب الا أن عانقتها ومسحت دموعها من على خديها • وردت المال واعتقتها  
على أن تبقى معها مدى الحياة حرة طليقة •

وحدث ابن عرفة قال : لما قدم الخليفة المعتمد ومعه وصيف الخادم  
دخلت عليه بدعه في أول يوم جلس فيه وبعد أن هنأته بالنصر على عدوه  
والعودة الى مقر خلافته •

قال : يا بدعه أما ترين كيف اشتعل الشيب في لجيتي ورأسي ؟ فقالت :  
يا سيدي عمرك الله وأطال بقاءك لواد ولدك وقد شابوا فأنت في الشيب  
أحسن من القمر وفكرت قليلاً وقالت :

|                  |                    |
|------------------|--------------------|
| بل زدت فيه جمالا | ما ضرك الشيب شيئاً |
| وزدت فيها كمالا  | قد هذبتك الليالي   |
| وانعم بعيشك بالا | فعرش لنا في سرور   |
| وليلة اقبالا     | تزيد في كل يوم     |
| ودولة تتعالى     | في نعمة وهناء      |

قال : فوصلها ذلك اليوم صلة سنية وحمل معها ثياباً فاخرة • وفي  
رواية أخرى : لما قدم الخليفة المعتمد من حرب وصيف وجاء به الى بغداد.  
دخلت عليه بدعة وقالت : يا سيدي شيبتك هذه السفرة ، فقال : دون  
ما كنت فيه يشيب ، فلما انصرفت منه قالت هذا الشعر وغتته :

|                            |                           |
|----------------------------|---------------------------|
| لأمور عايتها وخطوب         | ان تكن شبت يا ملك البرايا |
| والمشيب البادي كمال الأديب | فلقد زادك المشيب جمالا    |
| عز وحسن عيش رطيب           | فابق اضعاف ما مضى لك في   |

وحدث ابن عرفة أيضا قال : انه دخل الى بدعه وعينها رمدة وهي  
تأكل باذنجانا بورانيا نسبة الى بوران زوجة الخليفة المأمون . فقال لها  
أتأكلين هذا وعينك موجعة ؟

فقلت : اذا أحب الانسان من يؤذيه يتركه ؟  
وذكر ثابت بن سنان بن قره في تاريخه ان بدعه توفت في خلافة المعتضد .

## خداع

لم يعرف عن خداع كما عرف عن بعض قيان بغداد في العصر العباسي  
من الخلاعة والتبذل والأسراف في المهور واللذائذ لهذا اختارها بعض أولاد  
الخليفة المهدي فاشتراها واحتفظ بها وجعلها نديمة له يطارحها الأشعار  
ويقضي معها الليالي بالأحاديث الطيبة والفكاهات المستلحة .

وحدث علي بن أمية قال :

كان عمى محمد بن أمية الشاعر يهوى جارية من جواري النخاسين  
ببغداد يقال لها خداع وكان يتردد عليها ويكثر بشعره التغزل بمحاسنها  
وغنائها . وقد أهديت له يوماً تفاحة مطيبة منقوشة نقشا بديعا فكتب اليها :

|                         |                        |
|-------------------------|------------------------|
| خداع أهديت لنا خدعة     | تفاحة طيبة النشر       |
| مازلت ارجوك واخشى الهوى | معتصماً بالله والصبر   |
| حتى اتسنى منك في ساعة   | زحزحت الأحزان عن صدرى  |
| حشوتها مسكا ونقشتها     | ونقش كفيك من السحر     |
| سقيا لها تفاحة اهديت    | او لم تكن من خدع الدهر |

وبكّر محمد بن أمية الى منزل خداع ليقدم لها هدية نفيسة على  
هديتها له فاذا هي قد بيعت لبعض أولاد الخليفة المهدي . وحملت الى منزله  
في شارع الميدان فوجهم طويلا حتى اذا خلا له الطريق اندفع باكياً بحرقة وقال :  
تخطى الي الدهر من بين من ارى      وسوء مقادير لهن شؤون  
فشتت شملى دون كل اخى الهوى      واقصدني بل كلهم سييين

ومهما تكن من ضحكة بعد فقدها وانى وان اظهرتها لحزين  
سلام على ايامنا قبل هذه اذا الداردار والسرور فنون  
ومضت على ذلك مدة وقد حجبت عنه وانقطعت أخبارها فتمسك  
بالصبر ، والصبر بلسم شاف ينزل على القلوب المحزونة فيذهب عنها  
الحزن . وعلى النفوس الملتاعة فيمحو لوعتها ويزيل أساها ، واشتاق اليها  
يوما واجتاز بطريق دارها وهي تنظر من وراء شبك مطل على الطريق فسلم  
عليها فأومأت بالسلام اليه فدخلت فقال :

تظالغنى على دجل خداع من الشبك التي عملت حديدا  
مطالغتي قفي بالله حتى ازود مقلتي نظراً جديدا  
فقالت ان سها الواشون عنا رجونا ان نعود وان تعودا  
ولما انقطعت بينهما المراسلة قال :

خطرات الهوى بذكر خداع هجن شوقى لا دارسات الطلول  
فاذا جاءها الرسول رآها ليت عيني مكان عين الرسول  
قد اتاك الرسول ينعت ما بي فاسمعي منه ما يقول وقولي  
وحدث حذيفة بن محمد قال :

كنت أنا وابن قنبر عند محمد بن أمية يعقب بيع القينة خداع وقد كان  
يجبها حباً أشغله عن كل عمل فلحقه منه عليها وله كالجنون فجعلت أنا وابن  
قنبر نلومه على ما يظهر منه فأقبل علينا وقال :

ولو كنت جربت الهوى يا بن قنبر كوصفك اياه لالهاك عن عدلي  
انا واخي الأذنى وانت لها الفدا وان لم تكونا من مودتها مثلي  
أأن حجبت عني اجود لغيرها بودي وهل يغرى المحب سوى البخل  
اسر بأن قالوا تضن بودها عليك ومن ذا سر بالبخل من قبلي

قال : فضحك ابن قنبر وقال : اذا كان الأمر هكذا فكن أنت الفداء  
لها وان ساعدك أخوك فلا بأس . أما أنا فلست مساعدك على هذا . . .

وحدث عبدالله بن جعفر قال ، كنت أسير أنا ومحمد بن أمية في شارع  
الميدان فاستقبلتنا خداع وهي راكبة فكلما محمد فأجابته بجواب أخفته

فلم يفهمه • فالتفت الي وقد تغير لونه فقال :

هذا الذي لم تزل نفسى تخوننى  
خاطرت إذ أقبلت نحوى وقلت لها  
فخاطبتني بما اخفته وانصرفت  
منها فاين التي كانت تمنيني  
تفديك نفسي فداء غير ممنون  
نفسى لظنين مخشي ومأمون

وقال فيها :

بناحية الميدان درب لو اتى  
اخاف على سكانه قول حاسد  
وصائف ابكار وعين نواطق  
يقاربن اهل الود بالقول والهوى  
يزدن اخا الدنيا مجوناً وفتنة  
اسميه لم ارشد وان كان مفسدى  
يشير اليهم بالجفون وباليد  
بالسنة تشفى جوى الهائم الصدى  
وما النجم من معروفهن بابعد  
ويشفقن قلب الناسك المتعبد

وقال فيها وقد غنته ميم الهشامية :

عجبا عجبت لمذنب متغضب  
اخداع طال على الفراش قلبي  
لهفى عليك وما يرد تلهفي  
وقال فيها وقد غناه مخارق :

انجك حبا لو يفيض يسيره  
واعلم اني بعد ذاك مقصر  
وبقيت خداع مع مولاها في هذاء  
لا تشوبه شائبة ، وابن أمية يحرق  
الأرم • ويعاني أشد العذاب من جها •

## شاجي

• المدينة من قيان العصر الذهبي • عرفت بالجمال الجذاب والصوت الساحر  
في عينيها ماء لامع ينم على الذكاء المفرط وسرعة خاطر • وعلى شدة عاطفة  
الحنين البصري • •  
• مكاتبة معتدلة للقامة • مسئلة الجسم • كحيلة العينين تبدو على انصافها



قوة الارادة حلوة الحديث ترسل غناءها استرسالاً محكماً دون مشقة أو  
 عسر . فتثير الإعجاب وتستفز النفوس وقد زادهما العلم رونقا وجمالا .  
 امتلكها عبيدالله بن عبدالله بن طاهر . وعبيدالله له محل مرموق في الأدب  
 والتصرف في فنونه . ورواية الشعر وقوله . مع العلم باللغة وأيام الناس  
 وعلوم الاوائل من الفلاسفة في الموسيقى والهندسة مما يجعل عن الوصف ،  
 وله صنعة في الغناء متقنة عجيبة . تدل على توصله الى ما يعجز عنه الاوائل  
 في جمع الأنغام كلها في صوت واحد تتبعه هو ! وكان الخليفة المعتضد (١)  
 اذا اراد أن ينظم بعض الاشعار وأراد صنع الالحن لها وبحضرتها أكابر  
 الملحنين والمغنين مثل القاسم بن زرور وأحمد المكي وأحمد بن أبي العلاء  
 فيعدل الى عبيدالله فيصنع فيها أحسن الألحن ويرفع عن اظهار نفسه بذلك  
 وينسبها الى جاريته شاجي ، وشاجي كما أسلفنا انها من المحسنات المبرزات  
 المقدمات . وذلك بتخريجه اياها وتأديبه لها . وكان معجبا بها ومولها بغنائها  
 وكثيرا ما كان الخليفة المعتضد يطلبها منه ليسمع غناءها فكان يتظاهر بالقبول  
 ولا يفي بذلك .

ومن ألحانه التي نسبها الى جاريته شاجي بيتين لابن هرمة وهي :  
 وانك اذ اطمعتني منك بالرضا وأيستني من بعد ذلك بالغضب  
 كسكنة من ضرعها كف حالب ودافقة من بعد ذلك ما حلب  
 وقد غنى هذا امام المعتضد فطرب وسأل لمن الغناء ؟  
 قالوا لعبيدالله ولكنه ينسبه لجاريته شاجي !

وازدادت رغبة المعتضد في رواية شاجي وسماعها ومن نوادر صنعة  
 عبيدالله وجيد شعره قوله :

فأثفق اذا يسرت غير مقتر وانفق على ما خيلت حين تعسر  
 فلا الجود يفني المال والمال مقبل ولا البخل يبقى المال والجد مدبر  
 وانفق ان المعتضد أصطبغ يوما فغنى له غناء من صنعة شاجي فطرب له

(١) هو احمد المعتضد بن الموفق ، تولى الخلافة سنة

٢٧٩ هـ ٨٩٢ م الى سنة ٢٨٩ هـ ٩٠٢ م .

وكتب الى مولاها وطلب اليه ارسال شاجي للزيارة فقط فلم يكن من مولاها  
الا الامثال لأمر الخليفة فأرسلها اليه .

وحدثت احدى القيان ممن حضرن مجلس المعتضد ، قالت دخلت علينا  
شاجي وكل واحدة منا ترفل في الثياب الفاخرة والحلي الثمينة وهي في أثواب  
وضيعة فاحتقرناها فلما غنت أسقط في أيدينا واحتقرنا أنفسنا ولم تزل تلك  
حالتها حتى صارت في أعيننا كالجبل الأشم وصرنا كلا شيء ، وقد طرب  
الخليفة لغنائها وأمر لها بجائزة فأخذتها وانصرفت ، ولما دخلت على مولاها  
سألها عن خبرها وما رأت مما استظرفت وسمعت واستغربت في قصر  
الخليفة ؟ فقالت : ما استحسننت هناك شيئا الا عوداً من عود محفورا فاني  
استظرفته . فما قولك فيمن تدخل قصر الخليفة المعتضد فلا تمد عينها الا  
على عود تستظرفه وتستحسنه دون سواه ؟

وبمرور الأيام وتصرفات الزمان اختلت حال عبيدالله وساءت وقد  
أسر واتباه مرض أقعده عن العمل ، وأصبحت شاجي مورد رزق لمعيشته .  
وهي محافظة على حشمتها ووقارها وكانت تحضر في بعض المجالس وتغني  
لمن فيها لقاء أجور زهيدة فرحة بها فتأتي الى مولاها قانعة . والقناعة هي  
مسألة القدر والأستسلام لمشيئة الله تعالى في حكمه بتوزيع الارزاق على  
المخلوقات وأن يرضى الانسان بما تهبه الحياة فلا يطلب المزيد ، فالقنوع  
ليس حاسداً يتألم عندما يرى النعم التي يسبغها الله على عباده . فنعم الله  
لا تنفذ ولا تقنى . القنوع سعيد بنفسه ، راضٍ بعيشه غير متذمر ولا متمرد ،  
ولما سمع الخليفة المعتضد بما آل اليه أمر عبيدالله من عسر الحال أرسل  
اليه ما يقضي به حاجاته وظل يتفقده ببعض الصلوات . وأحياناً يرسل  
الإشعار الى شاجي فتصنع لها ألحانا وتغنيها له فينعم عليها بالجوائز . ولكن  
شاجي لم يرق لها التردد الى مجلس الخليفة وهي على غير حال القيان اللواتي  
ألفن مجلسه . فقبعت في دارها وجعلت الصبر رائدها والصبر بلسم شاف  
ينزل على القلوب المحزونة فيذهب عنها الحزن ويمحو عن النفس الملتاعة  
لوعتها واساها .

الصبر بدر منير يشرق في سماء الحياة فتتجاب عند اشراقه دياجي  
اليأس وظلمات الخذلان .

وهكذا ظلت شاجي تعاني ألم الفاقة وشظف العيش جالسة قرب مولها  
تنظر إليه خاشعة وهو لم يبد حراكا وتخاطبه هاشة باشة بوجه يفيض بشراً  
وغير لا تفارقه الابتسامة . ولسان ينطق بعبارات الامل وأجل الفاظ  
التسلية والتعلل ، ولم تنفك من مشاركته فيما يقاسيه من الآلام . وتضيق  
على نفسها لأجل راحته وتنشر في المنزل جوا يسوده الحب والاطمئنان حتى  
ساعت حالتها وداهما المرض المميت فنشبت أظفاره فيها فلم يمهلهما أكثر من  
أيام قلائل حتى ماتت . وفي موتها نكبة فادحة حلت بمولها وهو يصارع  
المرض الذي لا يشفق عليه ولا يرحمه . فرثاها بكثير من الشعر المحزن  
وجاهر بالغناء مصحوباً بالمراثي ومن رثائه لها قوله :

يميناً يقيناً لو بليت بفقدتها      ولي بعض عرق للحياة او النكس  
لاوشكت قتل النفسى قبل فراقها      ولكنها ماتت وقد ذهبت نفس

ودام على هذه الحالة المؤلمة في حزن وبكاء وغناء في رثاء حتى لحق بها .



صورة رمزية لاحدى قيان العصر العباسي الاخير

## ماردة

قينة من قيان الخليفة هارون الرشيد • كان يهواها ويفضلها على سائر  
جواريه فذهب يوماً الى الرقة وهي معه ولما عاد الى بغداد خلفها في قصره  
على أمل ان يعود اليها • وبقيت أياماً هناك تعاني ألم الفراق • وبعد أيام  
أشتاقها الرشيد فكتب اليها :

سلام على النازح المقترب      تحية صب به مكتئب  
غزال مرابعه • بالبليج      الى دير ذكيّ فقصر الخشب  
ايا من اعان على نفسه      بتحليفه طائعاً من احب  
ساستر والستر من شيمتي      هوى من احب بمن لا يجب  
فلما ورد كتاب الرشيد اليها أمرت ابا حفص الشطرنجي فأجاب الرشيد  
عنها بهذه الايات :

اتانى كتابك يا سيدي      وفيه العجائب كل العجب  
اتزعم انك لي عاشق      وانك بي مستهام وصب  
فلو كان هذا كذا لم تكن      لتتركنى نهزة للكرب  
وانت ببغداد ترعى بها      بنات اللذائذ مع من تحب  
فيا من جفاني ولم اجفه      ويا من عناني بما في الكتب  
كتابك قد زادني صبوة      فأسعر قلبي بحر اللهب  
فلما قرأ الرشيد كتابها أرسل اليها وأمر أن يغتنى بشعره ، وأخذ يسمعه  
بين الآونة والاخرى ويطرب له •

## سعدة

روى اسماعيل بن عمار قال : كنت اختلف الى منزل النخاس ابن  
رامين ببغداد وكنت أسمع غناء جارته سعدة وكانت ظريفة فاتنة وشاعرة  
مجيدة وكنت معجباً بها وقد علمت ذلك مني فكتبت اليها يوماً :

يا سعدة القينة البيضاء انت لنا  
انت الطبيب لداء قد تلبس بسى  
فان تجودي بوصل منك ينعشنى  
انس لانك في دار ابن رامين  
من الجوى فانقشي في في وارقيني  
وان بخلت به عني ( فحيني )

فكتبت اليّ تقول :

حاشاك أن أوم عليك ولكن أسير اليك والهيك وأغنيك فحققت  
كلامها وأوفت بوعدھا فجاءت الي فغنتني والهتي كما قالت •  
ولا زالت توافيني حتى فرّق الدهر بيننا •

## مؤنسة

هي احدى قيان الخليفة المأمون عتب عليها وخرج الى الشامسية منتزها  
وخلفها في بغداد عند أحمد بن يوسف الكاتب • فرجت منه أن يذكرها اذا  
صار في منتزها فيرسل في حملها اليه فلم يفعل فسألته أن يقول شعراً عن  
لسانها وترفعه الى المأمون فقال :

يا سيداً بعده اغرى بي الحزنا  
لا زلت بعدك مطويّاً على حرق  
ولا التذذت بكأس في منادمة  
ولا ارى حسناً تبدو محاسنه  
لا ذقت بعدك لا نوماً ولا وسنا  
انسى المقام وانسى الأهل والوطنا  
مذقيل لي ابن عبدالله قد ظعنا  
الا تذكرت شوقاً وجهك الحسنه

وبعث به الى اسحاق الموصللي ، وصنع به لحناً فغناه واستحسنه  
المأمون فقال ، لمن هذا الشعر ؟ فقال أحمد بن يوسف يا سيدي مؤنسه  
تترضاك وتشكو البعد منك • فاعطف عليها يا أمير المؤمنين فركب المأمون  
من ساعته فترضاها وعقد مجلساً فغنت مؤنسة به الشعر •

وذكر أن مؤنسة أهدت الى مقيم الهشامية في يوم احتجمت فيه مخنقة  
في وسطها لؤاؤة ثينة • وعن يمين اللؤاؤة ويسارها أربع يواقيت • وأربع  
زمردات وما بينهما من شذور الذهب • وقد طببت المخنقة بغالية من المسك •

## غصة

حدث ابراهيم بن أبي دلف العجلي قال :

كان ابراهيم بن المهدي في حراقة له بالجانب الغربي ببغداد وابي اسحاق الموصلبي في حراقة بالجانب الشرقي فدعاهما ابن المهدي فعبرا اليه وأنا معهما . فلما دنونا من حراقته نهض ونهضت معه جارية قد كملت صفاتها . وظهرت معانيها يقال لها غصة . وكان في يديه كأسان وفي يد الجارية كأس واحدة فناول ابي اسحاق كلاهما كأساً وأخذ هو الكأس التي في يد الجارية ، ثم أخذوا العيدان والجارية معهم وضربوا جميعاً فكادت الحراقة تهتز طرباً وسروراً وغنت الجارية غناء ما سمعت مثله من قينة . فتعجب اسحاق لبراعتها في الغناء . وحسن ضربها بالعود فقال أبي أحسنت يا غصة وأجدت بارك الله فيمن علمك وكرر ذلك مرارا . فقال ابن المهدي إن كانت قد أحسنت وأجادت فخذها اليك فما أخرجتها إلا اليك ، فاخذها ابي ومضيينا الى منزلنا وصارت أعجوبة بين قيان ابي وجواريه !

## نهار

كان مخارق المغني يهوى جارية لأم جعفر ( الزبيدة ) يقال لها نهار ويستتر ذلك عن أم جعفر حتى بلغها ذلك فأقصته ومنعته وتجاهاها إجلالا لأم جعفر وطمعا في السلو عنها وعدم ذكرها في مجالس الغناء .

فماذا يعمل وقد ضاق ذرعه ؟ فبينما هو ذات ليلة . وقد انصرف من مجلس المأمون . وأم جعفر جالسة في قصرها على دجلة إذ حاذى قصرها فرأى الشمع يزهر فيه ، فلما صار بسمع ومرأى منها اندفع يعني بصوته الشجي :

ان يمنعوني مري قرب دارهم      فسوف انظر من بعد الى الدار  
 سيما الهوى شهرت حتى عرفت به      اني محب وما في الحب من عار  
 ما ضر جيرانكم والله يصلحهم      لولا شقائي واقبالى وادبار  
 لا يقدرون على منى وقد جهدوا      اذا مرت بتسليمي باضماري

فقلت أم جعفر يا مخارق بالله رددته فصاحوا بسلاحه قدّم قدّم وأمره  
 الخدم بالصعود الى القصر فصعد وأمرت له أم جعفر بكرسي وصينية فيها  
 نبيذ فشرب وأمرت باحضار الجوّاري فحضرن وبينهن الجارية نهار  
 فغنيّين وغنيّ مخارق :

اغيب عنك بود لا يغيره      نأى المحل ولا صرف من الزمن  
 قد يحسن الله في عيني ما صنعت      حتى ارى حسناً ما ليس بالحسن  
 فلما سمعت نهار اندفعت تغني :

تعتل بالشغل عنا لا تلم بنا      والشغل للقلب ليس الشغل للبدن  
 ففطنت أم جعفر انها تخاطبه بما في نفسها وضحكت وقالت :  
 ما سمعنا بأملح مما صنعتما ووهبتها له فقبلها شاكرًا .

## خـلـوب

حدثت الجارية ريق قالت : كنت يوما بين يدي الرشيد وعنده أخوه  
 منصور وهما يشربان فدخلت خلوب جارية علية بنت المهدي ومعها كأسان  
 مملوءتان وخادم يحمل عوداً فغنتهما وهي قائمة والكأسان في يديها :

حياكما الله خلييا      ان ميتا كنت وان حيا  
 ان قلتما خيرا فخير لكم      او قلتما غيا فلا غيا

فشربا ثم رفعت لهما رقعة فاذا فيها ، صنعت اختكما هذا اللحن واليوم  
 القيته على الجوّاري واصطبحت فبعثت لكما به . وبعثت من شرابي  
 اليكما وأحذق الجوّاري لتغنيكما به هناكما الله وسركما وطاب  
 عيشكما وعيشي بكما والسلام .

## نيران

حدث عمرو بن بانه فقال : ركبت يوماً الى دار صالح بن الرشيد فاجتزت بدار محمد بن جعفر بن موسى الهادي . وكان معاقراً للصباح فألفيت ذلك خالياً منه . فسألته عن السبب في تعطيله إياه ؟ فقال نيران علي غضبي ! ونيران جارياً لبعض النخاسين ببغداد عرفت بحسنا الفتان وظرف اللسان . وحلت بقلب كل عاشق بها ولهان . ومنهم محمد بن جعفر . فقد افرط في حبها حتى اشتهر به ، فقلت له فما تحب الآن ؟ قال : تجعل طريقك على منزل مولانا فإنه سيعرضها عليك فاذا فعل ذلك تدفع رقعتي هذه اليها ودفع إلي الرقعة وقد كتب فيها :

ضيعت عهد فتى لعمدك حافظ في حفظه عجب وفي تضييعك

ان سمته ان تذهبي بفؤاده فبحسن وجهك لا بحسن صنيعك

فقال نعم احمل هذه الرسالة وكرامه علي ما فيها ، فاخذتها وجعلت طريقتي على منزل النخاس . فقابلني ورحب بي تبعاً لما عرف به ارباب هذه المصلحة . فلما عرضت علي الجارية نيران دفعت اليها الرقعة فاخذتها ورجعت الى الموضع الذي اقبلت منه فجلست بجلسة خفيفة فجاءت ومعها رقعة مكشوفة كتبت فيها .

فلا زلت تعصيني وتعري بي الردى وتهجرني حتى مرضت من الهجر

وتقطع اسبابي وتنسى مودتي فكيف ترى يا مالكي في الهوى صبرى

فاصبحت لا ادري اياساً تصبرى على الهجر ام حد البصيرة لا ادري

فلما اخذت الرقعة منها واوصلتها اليه . وصرت الى منزلي وصنعت من بيتي ابن جعفر لحناً وذهبت به الى الأمير صالح بن الرشيد فعرفته الخبر وغنيته الغناء فركب وركبت معه الى منزل النخاس مولى نيران فما برح حتى اشتراها بثلاثة آلاف دينار وحملت الى دار ابن جعفر فوهبها له واقمنا يوماً عنده في انس وطرب ونيران تغني ابيات محمد واياتها .



## ممنعة

حدث يزيد حوراء قال : كنت اجلس بالمدينة المنورة على ابواب  
تريش . وكانت تمر جارية كأنها ظبية افلتت من الصياد . وكانت تختلف  
الى سلامة الزرقاء تتعلم منها الغناء . وكنت اترقبها كل يوم واتمتع بحسنها  
وجمالها . وفي ذات يوم اقبلت ونظرت الي فدنوت منها والقيت السلام  
فردته علي باحسن منه وقلت لها . افهمي قولني وردى جوابي . وكوني  
عند حسن ظني . فقالت هات ما عندك ولا تكتم شيئاً . فقلت . بالله ما  
اسمك ؟ فقالت ممنعة فتشاءمت من اسمها وقلت بل باذلة انشاء الله .  
فضحكت . فقلت اسمعي فقالت كلي آذان صاغية اليك . فقلت :

ليهنك مني اني لك مفشياً      هواك الي غيري وان مت من كربى  
ولا مانحاً خلقاً سوى مودتي      ولا قائلاً ما عشت في جبكم حسبى

فنظرت الي طويلاً وقالت . انشدك الله عن فرط محبة ام احتياج  
غلمة ؟ فقلت لا والله انه عن فرط واهتياج شوق . فقالت :

فوالله رب الناس ما خنتك الهوى      ولا زلت مخصوص المحبة في قلبي  
وثق بي فاني قد وثقت ولا تكن      على غير ما اظهرت لي يا اخا الحب

فلما سمعت ما قالت اخذني العجب ووقعت في حالة غريبة واضطربت  
لها جميع مفاصلي ثم فارقتني ، وظلت تلقاني في الطريق الذي تسلكه  
فتحدثني فافرح بحدِيثها ، وفجأة انقطعت عني ولم ارها بعد .

فسألت عنها فقيل لي ان مولاهما باعها لبعض اولاد الخلفاء وذهب بها  
الى بغداد . فلم يكن مني الا ان تبعتها . ولما وصلت بغداد عرفت مكانها  
فكانت تراسلني وتلاطفني في رسائلها . ولم نزل على ما نحن عليه الى ان  
ذهب بها مولاهما الى البصرة وانقطعت عني ولم ادر ماذا فعل الدهر بها .

## رباب

حدث يزيد بن محمد المهلبى قال : دخلت على الخليفة الواثق .  
والقينة رباب في حجره جالسة يلقي عليها لحن يمتى محمد بن جعفر (ضيعت  
عهد فتى لعمدك حافظ) وهي تغنيه وهو يردده عليها ووجهه يظفح طرباً  
وسروراً ووجهها يشرق بهجة ونورا . وما زال يردد عليها اللحن حتى  
حفظته . فقال لي الواثق كيف رأيت رباب ؟ قلت يا امير المؤمنين تبارك الله  
احسن الخالقين جمال بديع . وصوت رفيع . والله ما رأيت وسمعت مثلها  
منذ ان خلقنى الله تعالى ، فلك الهناء بها ولها الحظ والسعادة بك .

## مكتومة

حدث أبو سهل قال : كان أبو النظر من المغنين المحسنين ولكنه  
سبىء الخلق وقد حضر في مجلس غناء لصديق له . وكانت القينة مكتومة  
من قيان بغداد الشهيرات حاضرة فيه . فعنى ابو النظر فاعجبت مكتومة به  
وودت لو انها تحصل عليه . فقالت . له يا ابا النظر بعنى هذا الغناء .  
فابتسم ضاحكاً وقال . لها تطيب نفسى به محايياً ولكن ابيعك اياه برأس  
ماله ؟ فقالت : وما رأس ماله الذي تعنيه ، فقال لها لا اقوله الا بيني وبينك  
واخذها جانباً وقال لها كلام تأبى كرامة الرجال منه . قال . فغطت وجهها  
حياءً وخجلاً . وقالت عليك وعلى هذا الغناء الدمار . ولا بورك لك فيه  
وانصرفت من المجلس .

## صلفة

حدث جعظه قال : كانت القينة صلفة من ابدع القيان فتنة وروعة .  
واحسنهن غناءً وانشادا . وكانت في اول امرها جارية للمغنى زرياب اعتنى  
بتدريتها حتى اخرجها آية من آيات الفن الغنائى وبعد ان اكملها ذهب الى  
الاندلس .

وغنت صلفة يوماً في مجلس الخليفة المقتدر<sup>(١)</sup> غناء من صنعة ابراهيم

الموصلي •

تغير مني كل حسن وجدة وعاد على ثغري فاصبح اثر ما  
فوالله ما سمعت قبل ذلك ولا بعد احداً غنى مثل هذا الغناء وكان  
المقتدر قد ابتاعها من زرياب قبل ان يغادر بغداد ، وحظيت صلفة عند  
المقتدر حظوة حتى اصبحت اعز جواريه اليه ولا ينفك من الاستماع اليها •

## سعاد

حضر حماد عجرد ومطيع بن اياس وهما شاعران كان لهما القدح المعلق  
في عصرهما ، في مجلس انس فيه قينة يقال لها سعاد وكان مولاهما رجلاً  
ظريفاً يحب الشعراء ويستلذ بشعرهم فقال ابن اياس و اشار الى سعاد :  
قبليني سعاد بالله قبله واسأليني لها فديتك نحلته  
فورب السماء لو قلت صل لوجهي جعلته الدهر قبله  
وقال حماد عجرد :

ان يكن صاحباً سواك وفيا لا ملولاً ليا كما انت ملته  
لا يباع التقييل ولا يشرى ولا تجعلى التعشق عله  
فقال مطيع يا حماد لقد تعديت ولم تأمرك بهذا ، فقالت سعاد وكانت  
مؤدبة كاملة • اجل ما اردنا هذا كله • فقال حماد :

اذا والله اشتهى منك ببخل والبخل في ذاك خله  
فاجيبي وانعمي وخذي البذل وطقى بقبلة منك غله  
فرضي مطيع وخجلت سعاد، وقالت : اكفياني شركما اليوم، وخذا فيما  
جئتم له •

## سرة

كان الخليفة المعتمد يهوى القينة سرّة جارية المغنية شارية وكانت

(١) هو ابن المعتضد تولى الخلافة سنة ٢٩٥ هـ ٩٠٨ م

الى سنة ٣٢٠ هـ ٩٣٢ م

أكمل الجوارى خفة وملاحة وادباً وقد عجز عن شرائها فسأل ام المعتز ان تشتريها له فاشترتها من شارية بعشرة آلاف دينار وحملت الى قصر المعتمد هدية له منها . وظلت عنده لا يستطيع فراقها من شدة حبه لها . وبعد وفاته اعتقت وتزوجت ابن البقال المغنى . وكانت تعشقه قبل ان يشتريها المعتمد فقال فيها عبدالله بن المعتز وكان يهواها :

اقول وقد ضاقت باحزانها نفسى      الا رب تطليق قريب من العرس  
لئن صرت للبقال يا سر زوجة      فلا عجب قد يربض الكلب في الشمس  
فلما سمعت ذلك غادرت سامراء وحلت ببغداد . وعاشت مع ابن البقال غير مكترثة بما قاله ابن المعتز :

## صريم

حدث ابي بشر بن عثمان بن المغيرة قال : سمعت جلبة من اناس مقبلين من قصر الخليفة فاسرعت اليهم . واذا امرأة قد فرعتهم طولاً وفاقتهم حسناً وجمالاً . واذا اشعب بكفيه دف وهو يغنى ويرقص ويرقصون معه ويقول :

الا حبي التي خرجت      قبيل الصبح واختمرت  
يقال بعينها رمد      ولا والله ما رمدت

وكان اذا تماهل احد منهم عن الرقص رجع اليه وحثه على ذلك فسألت عن المرأة ؟ فقالوا هذى صريم المغنية استخلفها المغنى صريم واعترف بها قبل موته . واسماها بأسمه وهي بنته التي تلقت عنه الغناء . وكان يضرب بها المثل فيقال : احسن من غناء الصريمة .

## بربر

كان عند محمد بن سلمان جماعة من اصدقائه في ليلة اعدت للأنس وكانت تغنيهم قينة من قيان بغداد المعدات للطرب والمناذمة يقال لها بربر فنظر اليها احدهم وهو سلمة بن عياش وكان مولها بها من قبل فقال :

الى الله اشكو ما الاقي من القلى  
 على حين ودعت الصباية والصبي  
 لاهلى وما لاقيت من حب بربر  
 وفارقت اخداني وشمرت مئزرى  
 نأى جعفر عنا وكان لمثلها  
 وانت لى فى النائبات كجعفر  
 فقال : محمد بن سلمان خذها ففى لك فاستحيا وار تدع وقال لا ارىدها  
 فالح عليه فى اخذها • فقال اعتق ما املك ان اخذتها فقال له احد الحاضرين  
 ياسخين خذها ففى خير من كل ما تملك فقال واشار الى القينة بربر •  
 تعالى نقضى الليل والليل جامع ونقضى لبات الهوى بتحذر  
 ولم يكن منه الا ان اخذها وانصرف •

## سلسل

قينة من قيان البصرة مليحة الصوت ظريفة الشكل عرفت بقرض الشعر  
 وحسن المنادمة • وكانت لبعض المعنين فى البصرة اتخذها مساعدة له عندما  
 يدعى للمجالس لاحياء الحفلات بها، وفى ليلة من الليالي جاء ابان بن عبد الحميد  
 الشاعر الى صديق له وعنده القينة سلسل • وصادف حضر عنده فى تلك  
 الليلة محمد بن قطين الهالى وثمان بن الحكم بن صخر الثقفى فقال ابان  
 بمعرض المنادمة •

فتنت سلسل قلب ابن قطين  
 فاتيت اليوم كى • انقذهم  
 ثم ثنت بابن صخر فافتن  
 فاذا نحن جميعا فى قرن

فقال سلسل مجيبة له :

لا تخافوا اتم فى ما من  
 فاستحسنوا قولها وقضوا ليلتهم فى هناء لم يسبق له مثيل وهى تغنيهم  
 مرة وتطارح ابان الشعر مرة اخرى • وانفرط عقد الاجتماع بعد ان منحوا  
 الجوائز الى سلسل •

## سامر

كان ابراهيم بن العباس من وجهاء سامراء يهوى قينة يقال لها سامر •

وكان مجلسه لا يخلو منها • فدعيت ليلة عرس عند بعض اهلها فغابت عنه  
اياما ثم جاءته ومعها جاريتان احداها يقال لها يُمْن والآخرى يُسر وقالت  
له قد اهديت لك جاريتين عوض مغيبي عنك فنظر الى الجاريتين وقال :

اقبلن يحففن مثل الشمس طالعة      قد حسن الله اولها واخراها  
ما كنت فيهن الا كنت واسطة      وكن دونك يمناها ويسراها

وانشد ابن العباس في سامر وقد غضب عليها يوما :

وعلمتني كيف الهوى وجهلته      وعلمكم صبري على ظلمكم ظلمي  
واعلم مالي عندكم • فيردني      هواي الى جهل فاقصر عن علمي  
فلم يكن من سامر الا ان اقبلت اليه وصالحته •

## بنان

حدث ميمون بن هارون فقال : كنت عند الحسن بن وهب وكانت القينة  
بنان عنده فقال لها غيننا يا بنان فاندفعت تغني فطربنا وغنى الحسن :  
اتأذنون لصب في زيارتكم      فعندكم شهوات النفس والبصر  
ويضمر السوء ان طال الزمان به      عف الضمير ولكن فاسق النظر  
فضحكت بنان وقالت :

فאי خير به ان كان فيه كذا      وهل يقاس الذي يجتاز بالحجر  
فخجل الحسن من بادرتها عليه • وعجبت انا من حدة جوابها وفطنتها !  
وجاء عبدالله بن العباس بن الفضل الى الحسن بن وهب يوما فوجد عنده بنان  
وهي نائمة سكرى وهو يبكي عندها • وقد كساها الشراب فتنة واغراء •  
فقلت له مالك تبكي وهي بين يديك ؟

فقال : كنت نائما فجاءتني فانبهتني وقالت : اجلس حتى نشرب فجلست  
وأخذت تشرب وتغني • ولم تزل تشرب وتغني وانا اطرب اليها حتى غلب عليها  
الشراب فنامت فتذكرت قول العباس بن الأحنف :

بكي الذين اذقوني مودتهم      حتى اذا ايقظوني للهوى رقدوا  
فانا ابكي وانشد هذا البيت •

## درة

حدث ميمون بن هارون قال : كان بكر بن النطاح يهوى جارية من جوارى القيان لبعض الهاشميين يقال لها درة وقد كلف بها كلفاً شديداً وراح يتغزل بها في شعره وشاع عنه ذلك . وكان يجتمع بها في منزل رجل من الجند من اصحاب ابي دلف يقال له الفرز . فسعى به الى مولاها واعلمه ان بكرا قد افسدها واتفق معها على ان تهرب معه . فمنعه من لقائها وحجبها عنه فقال بكر فيها :

وتظهر الأبرام والنقضا  
ولا رحمت الجسد المنضى  
يعشق منها بعضها البعض  
لا اشرب البارد او ترضى  
جعلت خدي لها ارضا  
العين تبدو الحب والبغضا  
درة ما انصفتني في الهوى  
مرت بنا في قرطق أخضر  
غضبي ولا والله يا اهلها  
كيف اطاعتكم بهجرى وقد  
وقال فيها :

ام ليس لي في العالمين ضريب  
شيئاً يلذ لاهله ويطيب  
وانا المعنى الهائم المكروب  
حسناً فوجهك في الوجوه غريب  
عنا ويشرق وجهك المحجوب  
هل يتلى احد بمثل بليتى  
قد كنت اسمع في الهوى فاظنه  
حتى ابتليت بطلوه وبمّـره  
كل الوجوه تشابهت وبهرتها  
والشمس يغرب في الحجاب ضياؤها

وظل هكذا يقول فيها الشعر وهي لا تعلم عنه شيئاً حتى مات مولاها  
والتقت ببكر بعد غياب طويل \*

## مليحة

ان ابا الفياض سوار كان يهوى قينة بالبصرة يقال لها مليحة وهي اسم  
على مسمى . فدعيت ذات يوم الى مجلس لم يكن حاضره سوار وقد حضره

ابو علي البصير . فتخمشها بعض من حضر مشيراً بذلك الى سوار ، فلم تعباً  
به وعرف ابو علي ذلك فكتب الى ابي الفيض يخبره بما جرى فقال :

لك عندي بشارة فاستمعها  
كنت في مجلس مليحة فيه  
وقديماً عهدتني لست في حقاك  
فتفعلتها تفعل خصم  
ورمتها العيون من كل افق  
من كهول وسادة سمحاء  
وصفات القيان او لها الغدر  
فتشوفت ذلك منها واعدت  
فحمت جانب المزاح وعمتهم  
فكفاني وفاؤها لك حتى

فاجابه ابو الفيض :

ذكرتني بشراك داءاً قديماً  
ان تكن احسنت مليحة وصلی  
واقامت على الوفاء ولم تر  
فعلی صحة الوفاء تعاقد  
وعلينا من العفاف ثياب  
ليت حظي منها سوى النظر  
لحظات يقعن في ساحة القلب  
وابتسام كالبرق بل هي اخفى  
لا اخاف انتقامها آخر الدهر  
فابق لي الست تحمد الود

من سقام علي لا شك قاضي  
وعاصت رياضة الرواض  
ع لوجي منهم ولا ايماض  
نا وصورن النفوس والاعراض  
فهي ابهى من حالات الرياض  
الختل واني به لجذلان راضي  
ب وقوع السهام في الأغراض  
بين سترى تحرز واقباض  
بغدر ولا تخاف انتقاضي  
وقاك الردي أبا الفيض

## برهان

اجتازت جارية بالمتوكل معها كوز ماء وهي كالقمر المنير وقال لها منا



اسمك؟ قالت برهان قال : لمن هذا الماء قالت لستى قبيحة قال صبيه في حلقي  
فشربه على آخره ثم قال للبحترى قل في هذا شعراً فقال البحترى :

ما شربة من رحيق كأسها ذهب      جاءت بها الحور من جنات رضوان  
يوماً باطيب من ماء بلا عطش      شربته عبثاً من كف برهــان  
فقال له المتوكل احسنت وامر له بجائزة •

## حســناء

كانت لرجل من البرامكة جارية شاعرة ظريفة يقال لها حسناء يدخل  
اليها الشعراء ويسألونها عن المعاني فتأتي بكل مستحسن من الجواب فدخل  
عليها سعيد بن وهب يوماً وجلس اليها فحدثها طويلاً ثم قال لها بعد ذلك :

|                    |                    |
|--------------------|--------------------|
| حاجيتك يا حسناء    | في جنس من الشعر    |
| وفيما طوله شبر     | وقد يوفي على الشبر |
| له في رأسه شق      | تطوف بالندى يجرى   |
| إذا ما جف لم يجر   | لدى بر ولا بحر     |
| وان بل اتى بالعجب  | العاجب والسحر      |
| اجيبى لم ارد فحشاً | ورب الشفع والوتر   |
| ولكن صغت ابياتنا   | لها حظ من الزجر    |

فغضب مولاها وتغير لونه وقال اتفحش على جاريتي وتخاطبها بالفحش •  
فقال له خفض عليك فما ذهبت الى ما ظننت وانما اردت بذلك ( القلم )  
فسرى عنه وضحك سعيد وقال هل اعلم منك بما سمعت •

## الفصل الثالث

### افول شمس القيان

بعد ان دالت دولة العباسيين وانمحت من بغداد واصبحت كأنها لم تكن وانفطأت شعلة سعادتها بعد كان العالم الاسلامي ينظر اليها باعتبارها نبراس المدينة والحضارة والعمران ومهد الفنون الجميلة .

وفي اوائل سنة ست وخمسين وستمائة للهجرة دخلت جيوش التتار في بغداد وعمل هؤلاء الغزاة السيف في اهلها وعمدوا الى التخریب والتدمير والحرق والسلب والسبي . فالساحات والدروب والبيوت ملأى من جثث القتلى . والنيران مشتعلة في القصور والدور . واتفوا خزانات الكتب بعد ان اخذوا ما فيها من نفائس الكتب في شتى العلوم وما تبقى منها جعلوا نهر دجلة مستقراً لها .

وذكر المؤرخون مبالغات في كثرة الكتب التي القيت في دجلة انها لو كانت ماء دجلة من ذوبان المداد الأسود الذي كتبت به تلك المؤلفات القيية وقيل انها صارت جسراً عبر عليه اولئك الغزاة العتاة . وبهذا العمل المنكر اصبحت بغداد خراباً بعد عزها وحضارتها الاجتماعية ومجدها العلمي وكان مما خلفوه اولئك الغزاة من آثار التخریب والتدمير افول شمس القيان المشرقة . واضمحلال هيمنتها على الحياة كما كان مألوفاً من قبل . لذلك يعسر علينا التبسط في البحث والسرد مما اضطرنا على طي هذه الحقبة وطرحها على عاتق المؤرخين .

## السلطان عبد الحميد

### وعودة القيان الى بغداد

بعد ان توطد الحكم للعثمانيين في بغداد واصبح مركز الخلافة الاسلامية في استانبول . وانتقلت ابهة بغداد وزخارفها وقياؤها وجواربها اليها استانبول هي القسطنطينية مدينة قسطنطين الكبير . وكانت قبله بيزنطة فسمها بأسمه وجعلها سنة ٣٠ للميلاد كرسي المملكة الرومانية الشرقية أو مملكة الروم في اصطلاح العرب . وقد خص الله استانبول بموقع طبيعي لا مثيل له على سطح الكرة الأرضية . لانها موصلة بين قارتين ووسط بين بحرين تمنعها المضائق اي الثغور .

وفي استانبول قصر ( يلدز ) مأوى قيان السلطان عبدالحميد الذي حكم ٣٣ سنة المنعوت بسلطان البرين و خاقان البحرين .

ويلدز وان سموه بالقصر او السراى فانه ليس قصرأ واحدا كما يتبادر الى الذهن . وانما هي عدة قصور قد لا يرى في احداها فخامة ما يراه المرء في قصر ( طولمه بقچه ) او الجمال الذي يراه في قصر ( چراغان ) . واهم القصور الداخلية في يلدز قصر ( جهان نما ) وهو صغير لكنه في غاية الاتقان يشرف على البسفور اشراقاً رحباً ، وقصر ( چيت ) سمي بذلك لانه مبطن بالانسجة . بابه خارج باب الحديدية الداخلية لكنه يعد منها لانه من جملة ابنتها . وقد يدخل له من باب سرى فيه .

وقصر ( مالطة ) وقصر ( مراسيم ) وقصر ( المابين ) الصغير او مسكن السلطان عبدالحميد ، وهناك جامع لتلك القصور يطلق عليه الجامع الحميدي وللسلطان عبدالحميد في هذه القصور نحو ثلثمائة قينة منهن اثنتا عشرة قينة خاصة له . والقينة تسمى بعرفهم ( قادين ) منهن اربعة هن زوجات شرعيات ولكل من هؤلاء القوادين قصر خاص فيه دائرة تظم الباشكاتبه اي رئيسة الكاتبات والخازنة والمهردارة وعدد من الجوارى والخدم . ولا تخرج ( القادين ) من القصر لآى سبب من الأسباب وللقيان قواعد خاصة في تربيتهن

وتدريبنه واكثرهن من الشركاسة وفيهن الروميات • وغيرهن من الاجناس  
العثمانية كالمصريات والشاميات والبغداديات وغيرهن • والغالب فيهن يجلبن  
صغاراً على سبيل الهدايا • فاذا دخلن قصر يلدز • ينسبن كل ما هو في  
الخارج حتى اهلن واصدقائهن • ويتولى تربيتن نساء تعرف الواحدة منهن  
في اصطلاحهن ( بباش قلفة ) وترجع كلهن الى ( والدة سلطنة ) سيدة  
دار الحرم • وهذا اللقب لقب منصب لا لقب نسب • وتبقى الفتاة في المدة  
الاولى سنتين تتدرب فيها على ما يسر السلطان من حسن الهندام والأحاديث  
الشيقة باللغة التركية حتى في مشيتها ووقوفها وجلوسها • ويعلمونها بعض  
الاشعار الغزلية ويدربونها على الغناء اذا كانت الفتاة ذات صوت رائع  
فتصبح قينة يشار اليها • واذا تم لها ذلك وظهرت فيها المواهب التي تؤهلها  
لرضى السلطان سموها ( كوزدة ) فاذا تجاوزت هذه الرتبة سموها ( اقبال )  
واذا ظهر عليها علامات الحب من السلطان صارت ( قادين ) فيفرد لها قصر  
خاص • ولكنها لا تعد زوجة شرعية للسلطان الا بموت احدي الزوجات  
الاربع فتحل محلها وذلك باختيار السلطان وبهذا تبقى جميع القيان على  
اختلاف طبقاتهن ونهلن يتوقعن لفتة السلطان لتحظى بهذه الرتبة السامية ،  
وهؤلاء القيان وكل ما في قصورهن تحت رعاية ( والدة سلطنة ) المارة الذكر  
واذا هي توفيت صارت احدي الخوازن او كبيرتهن في مكانها وتسمى باسمها  
وتلقب بلقبها •

واما دار الحرم في يلدز فهو بمثابة ملهى للسلطان لا يأتيه الا اذا اراد  
ان يلهو فتنجه الا نظار اليه • فيأتي والقيان يرفلن في الملابس الفاخرة بلا حجاب  
ولا نقاب • وفيهن من يعجز اللسان عن وصفهن • وماذا يوصف وهن  
مختارات من جميع الاقطار العربية والفارسية والتركية • وقد خصصن لرضى  
سلطان آل عثمان !

وحينما يقع نظره عليهن يطاطئن هيبة واحتراما له فيشير اليهن ان تبقى  
كل واحدة على حالتها الطبيعية • ومنهن من كانت تتلهى باكل النمل كالفستق  
واللوز وغيرهما • وقد أرخين شعورهن على غير كلفة • وبعضهن اختص  
بحمل ما تلهو به لقتل الوقت فاحداهن وكلت بتربية ببغاء جميل اللون يتقن

التقليد جيداً واخرى تداعب قطة جميلة من قطط انقره وهو ضرب من  
السنابير جميل الشعر رائع اللون . واخرى تحمل بلبلًا صغيراً عودته أن  
تطلقه فيطير ثم تناديه فيأتي يرفرف بجناحيه فرحاً بها .

ويأمر السلطان ان يغنين ويرقصن . فتبرز من بينهن قينة ترتدي ملابس  
خاصة بالرقص . خصها الله تعالى بالجمال الفتان والقوام المعتدل . بيضاء  
اللون مكتنزة اللحم . في يديها اساور مرصعة بالماس . وفي زنديها دمالج  
مزينة بالمؤلؤ والمرجان تحمل دفاً ومعها قينة لا تقل روعة منها تحمل عودا  
واخرى تحمل الكمان وقد جلسن على بساط مزركش ، وبدأ العزف فأخذت  
القينة الأولى ترقص رقصا فنيا عجيبا اعجب السلطان . وبذلت كل واحدة  
جهدا في اتقان ما عهد اليها من ضروب الموسيقى والسلطان جالس ينظر  
اليهن . وقبل ان يغادر السلطان يقف الجميع وينادون بصوت واحد  
( پادشاهم چوق يشا ) ثلاث مرات ثم ينصرف السلطان الى محله . هكذا  
كان السلطان عبدالحميد ! وان العقل ليذهل مما يرى في يلدز من اغراق في  
اللذائذ بما فيها من ترف يفوق الحد وبذل لا يدخل في حدود المعقول مما  
ادى الى تدهور الدولة وانحلالها .

## فوضى الفناء

ظلت بغداد ترزح تحت حكم العثماني عدة قرون وقد اثقل كاهلها جور  
الاستعباد ، فلا عدل ولا مساواة ، ولا امن ولا استقرار ولا انس ولا طرب  
ولا جوار ولا قيان . ولم يبق بها سوى ذكريات مؤلمة واعمال مزعجة .  
كان لم يكن بين الحجون الى الصفا سмир ولم يسمر بمكة سامر

استبدلت ليال افراح القيان بليالي رقص المرد والغلمان<sup>(١)</sup> وتشبهوا بهن  
وارتدوا ارديتهن بوضع تسمئز منه النفوس وتمججه الاذواق فضلا عن  
الحوادث التي لا يحمد عقبائها ، ومنها الحادثة المؤلمة التي وقعت في الملهى

(١) راجع كتابي بغداد ( القديمة ) ص ١٢٤

الكائن في الميدان في منتصف شهر شعبان سنة ١٣٢٥ للهجرة وفجواها ان رجلاً يهودياً يدعى سليم من مدينة حلب قد خدع غلاماً مسيحياً اسمه نعيم قد انعم الله عليه الحسن والجمال يفتن كل من رآه ، واتى به الى بغداد التي حرمت من مشاهدة القيان في معارض الرقص والغناء فراح ذلك الغلام يرقص في الملهى وفي كل ليلة يتهافت الناس على الملهى للتمتع بذلك الجمال الباهر فاجبه بعض اهل بغداد وهام هياماً مفرطاً وقد اراد به المنكر فابت نفس الغلام الزكية ان تدعن لما اراد ذلك الرجل ، وقد كان يغريه بالمال ويسترضيه بالكلام المعسول فلم يفلح . وقد ضاق ذرعاً فجاءه ليلاً وهو سكران والملهى يضم المآت من الناس واطلق عليه عياراً نارياً فسقط ذلك الغلام المخدوع على الارض مخضياً بدمائه فحمل الى مستشفى الغرباء وهناك ظل ملقى على فراش الألم الممض يعانى البؤس الذي احاط به وبين عشية وضحاها قضى نجه . وقد استنقرت هذه الحادثة المؤلمة شعور الشاعر معروف الرصافي فارخ عام وفاته بقصيدة عنوانها ( اليتيم المخدوع ) وهي :

|                            |                           |
|----------------------------|---------------------------|
| قضى والليل معتكر بهيم      | ولا اهل لديه ولا حميم     |
| قضى في غير موطنه قتيلاً    | تمج دم الحياة به الكلوم   |
| قضى من غير باكية وبك       | ومن يبكى اذا قتل اليتيم   |
| قضى غض الشبية وهو عف       | مظهرة ما زره كريم         |
| سقاها من الردى كأساً دهاقا | عفاف النفس والعرض السليم  |
| تجرعها على طرب ولكن        | بكف اليتيم ليس له نديم    |
| على حين الربابة في نواح    | يساجلها بها العود الرخيم  |
| بحيث رقائق الالحن كانت     | بها الأجنان طافية تعوم    |
| كأن ترنم الأوتار نعى       | وصوت السامعين بها وجوم    |
| فجاء الموت ملتفعا بخزى     | وملء اهابه سفه ولوم       |
| واطلق من مسدسه رصاصاً      | به في الرمى تخترق الجسموم |
| فخر الى الجبين به ( نعيم ) | كما انقضت من الشهب الرجوم |
| فبات مودعا بعد إرتاب       | حياة لا تناط بها الرسوم   |
| لئن لم تبك من اسف عليه     | سفاهتنا فقد بكت الحلوم    |

ولو درت النجوم به مصاباً  
 عسى اشهباء تثاره فتبدي  
 فلم يقتله « ابراهيم » فيما  
 اليس سليم الملعون اغوى  
 واخرجه من الشهباء غراً  
 وجاء به الى بغداد حتى  
 سأكبيه ولم اعبأ ، بلأح  
 ولما ان ثوى ناديت ارح

وتولت الشهور والاعوام وبغداد تعاني شدة السيطرة على النفوس  
 واخذت الصحف ( الجرائد ) تنتقد على هذا الوضع المزرى وتشن الغارة بعد  
 الغارة على رجال الحكم فلم يكن من سامع او مجيب مما دعى الشاعر معروف  
 الرصافي ان يندد هذه الأعمال بقواه :

ارى بغداد تسبح في الملامى  
 رمت حملاتها الارياف حتى  
 فيا بغداد ان الأمر جد  
 جميع الناس قد نفضت كراها  
 وفيك معاهد الدستور تشقى

ولتأزم الوضع في بغداد وجدت قصيدة طويلة كتبت في خط جلى  
 منتشرة في شوارع بغداد وذلك في اوائل سنة ١٣٢٧ هـ او اخر حكم السلطان  
 عبدالحميد . يوم كان الاستبداد على اشده فاحدثت ضجة عظيمة في نوادي  
 بغداد ولم يعرف ناظمها وهي :

اين الخلافة والامامه  
 درست رسوم الشرع لا  
 اين المدارس والعلو  
 اين الرجال المقتدى  
 ذهبوا بعز دائهم

قامت على الدين القيامه  
 اثر يلوح ولا علامه  
 م واين ارباب الكرامه  
 بفعالهم اهل الشهامه  
 نالوا به اعلى الفخامه

يا ايها الملك الذي  
يا لاهيباً في قصره  
يا شارباً خمر الغرور  
يا واهب الملك العظيم  
يا مشرياً في ماله  
يا معجباً • برجاله  
يا جارياً في موكب  
يا فانياً في شيخه  
يا من تزايد ظلمه  
مل العراقي العراق  
وغشى الحجاز شقاوة  
قل لي متى يمن تسود  
والى م جيشك اينما  
هذا يباعد سيفه  
جيش عثا فيه العدا  
اجزيرة العرب اذكري  
ايام كان بك الرشيد  
زمن به الدين القو  
من كل شهم لابس  
اسد اذا البحر المحيط  
ما بال ربعك قد غدا  
عبست ديارك بعدما  
اضحت بلادك اكلة  
مالي ارى الاسلام من  
وارى بجبات القلوب  
هل نهضة تنفى الأذى  
قوموا لنصرة دينكم

ابدى من الدين اثلامه  
بالله قصرك من اقامه  
وما له رأس السلامه  
متى تحل بك الندامه  
احللت من طمع حرامه  
والأمر قد حلوا نظامه  
والذل كم يجرى امامه  
والشيخ من اهل الكرامه  
قل لي متى تدع الظلامه  
كذلك والشامي شامه  
وكذلك اطراف اليمامه  
بلادها ومتى تهامه  
وليته ابدى انهزامه  
خوفاً وذا يلقي حزامه  
من حيث سقت له حمامه  
عصراً به قد كنت شامه  
وكان فيك أبو دلامه  
يم بنوك قد رفعوا مقامه  
يوم الوغى درعاً ولامه  
يعوقه يهوى اقتحامه  
بعد العمارة كالقمامه  
كانت تلوح بها الوسامه  
ازعيم ابناء النامه  
سفه لقد سمعوا كلامه  
من الورى امضى سهامه  
يوماً وتنقشع الغمامه  
ان كنتم ترجو دوامه



يا ملة ناحت على  
يا امة اضحت تؤم  
اجهلتكم نص الامم  
والله اكمل دينه  
بالله يا ربيح انقلبي  
الدين بعد شفائه  
قد كان محترم الجنا  
والملك بعد قوامه  
قد احدثوا البدع التي  
فمن الغريم وخصمه  
هذي المحاكم است  
وبحكمها ركن الهدى  
يا من يلوم سفاهة  
اين السياسة والعدا  
اين الذين بآسهم  
ذهبوا وعاث بملكهم  
ضعف القوى ببطشه  
ملك اعاديه البلاد

اشرافها بالذل هامه  
خلاف نهج الأستقامه  
وقد تعديتهم مرامه  
وبأحمد انهى ختامه  
خيراً لساكن ارض رامه  
قد عاد مشتكياً سقامه  
ب واهله تركوا احترامه  
من جهلهم تركوا قوامه  
ظهرت لنا منها الوخامه  
ظلماً لقد اخذوا الغرامه  
للعدل حاولت انعدامه  
تالله شاهدنا انهدامه  
هلا كفت عن الملامه  
له اين من ترجو ذمامه  
منعوا من الدين انظامه  
من لا تليق له الزعامه  
ومن الذي تخشى انتقامه  
وقوضوا منها خيامه

ودامت الفوضى في بغداد وخاصة في الملاهي ضاربة اطنابها حتى اعلان  
الدستور العثماني سنة ١٩٠٨م وطلعت شمس الحرية وانطلقت الحريات  
العامة وفتح باب الهجرة للقيان وغدت بغداد ترحب في عهد جديد معيـدة  
ايامها الماضية ايام العصر العباسي وفيما يلي اسماء القيان اللواتي حللن في  
بغداد اولا واخيرا تثبتها حسب حروف المعجم .

## أسماء القيان الاجنبيات

ترددت اصداء عن بغداد إلى خارج العراق ، أن الشعب العراقي أخذ يهوى سماع مختلف اصوات القيان العرييات والأجنبيات ومشاهدتهن ، وبعد أن عرفن ذلك أخذن يتوافدن على بغداد فالبصرة فالموصل ويتعاقدن مع أرباب الملاهي العقد القصير والطويل ومنهن من يقين سنين متواصلة يمارسن الرقص والغناء فيها ، واكثر ما كان مقبولاً عند العراقيين : المصريات وفي مقدمتهن ( طيره ) فالشاميات والحلييات واظرفهن ( فريدة ستيتيه ) حتى هزج شعراء العامية ببغداد باسميهما في بستان غنائية ، رباطها ( طيره او فريده بالبلسم ) واليك اسماء من وفدن في هذه الحقبة مرتبة على حروف المعجم .

- ١- آتتي نيقولا ٢- احسان المصرية ٣- افيليا ٤- السكندر انقاش
- ٥- ألن الرومية ٦- الن الكبيرة ٧- ألن الصغيرة ٨- اولكه حداد ٩- آمال
- حسين ١٠- آميليا ١١- أميرة جمال ١٢- أنصاف منير ١٣- المدام التركية
- ١٤- بلانش ١٥- بياعزالدين ١٦- بدرية حمدي ١٧- بدرية سعدة ١٨-
- بدرية سوّاس ١٩- بدية عطش ٢٠- بدية الذهبية ٢١- بدية منصور
- ٢٢- بدية لاطي ٢٣- بلورا السقا ٢٤- بهية الانطاكية ٢٥- بهية بحري
- ٢٦- بهية سمكة ٢٧- بهية شحود ٢٨- بهية طحان ٢٩- بهية كشكش
- ٣٠- بهية فيليب ٣١- بهية المصرية ٣٢- تحية كرويكة ٣٣- ثريا الجمل
- ٣٤- ثريا بنت الحارة ٣٥- ثريا حلبي ٣٦- ثريا كامل ٣٧- ثريا المصرية
- ٣٨- جميلة چاكوج ٣٩- جميلة خاتونة ٤٠- جميلة روضة ٤١- جميلة
- شحاده ٤٢- جميلة هووه ٤٣- حسني دنكور ٤٤- حسني الشامية ٤٥-
- حسيبة مكنو ٤٦- حكمت كامل ٤٧- خانم لاطي ٤٨- خيرية السقا ٤٩-
- راوية ٥٠- رجاء توفيق ٥١- رجاء عبده ٥٢- رحلو جراهه ٥٣- رحلو بنت
- الحارة ٥٤- رحلو حيم ٥٥- رحلو العراطه ٥٦- رشيد غزت ٥٧- روزه
- سواس ٥٨- روزه الرومية ٥٩- رويكه سمكة ٦٠- زريفة رشدي ٦١-
- زكية جورج ٦٢- زكية زلط ٦٣- زكية السدية ٦٤- زكية علي كيفك ٦٥-
- زكية بحري ٦٦- زكية المغربية ٦٧- زوزو المصرية ٦٨- زهية برو ٦٩-

سارينة ٧٠ - سامية مطيع ٧١ - سعاد محمد ٧٢ - سلطنة ملك ٧٣ - سمحة  
 العوادة ٧٤ - سلوى الجزائرية ٧٥ - سليمة حلبي ٧٦ - سليمة يوسف ٧٧ -  
 سميرة توفيق ٧٨ - سميرة عبده ٧٩ - سهام رفقي ٨٠ - شفيقة أزرق ٨١ -  
 شفيقة حلبي ٨٢ - شفيقة سلامة ٨٣ - شفيقة لاطي ٨٤ - شكران التركية ٨٥ -  
 شهرزاد ٨٦ - صالحه المصرية ٨٧ - صبرية الحلبي ٨٨ - صبيحة الديرية ٨٩ -  
 طيرة بنت ابي شحطة ٩٠ - طيرة بنت الخانم ٩١ - طيرة الحلبي ٩٢ - طيرة  
 الكردية ٩٣ - طيرة المصرية الكبيرة ٩٤ - طيرة المصرية الصغيرة ٩٥ - عزيزة  
 أمين ٩٦ - عزيزة حلبي ٩٧ - عطيات المصرية ٩٨ - عفيفة فرج ٩٩ - عفيفة  
 محمد ١٠٠ - عفيفة حواس ١٠١ - عليا باشا ١٠٢ - عليا جورج ١٠٣ - عيشة  
 ابراهيم ١٠٤ - فاطمة شبكي ١٠٥ - فايدة كامل ١٠٦ - فائزة أحمد ١٠٧ -  
 فتاة دمشق ( فبرونا ) ١٠٨ - فتحية محمود ١٠٩ - فريدة استيتية ١١٠ -  
 فريدة العراطة ١١١ - فكتوريا محو ١١٢ - فكتوريا ازابيل ١١٣ - فيروز  
 أرمني ١١٤ - فيروز اللبنانية ١١٥ - كوكب ابراهيم ١١٦ - كلمونة مور  
 ١١٧ - كميلة توفيق ١١٨ - كميلة سمان ١١٩ - لطيفة حبيب ١٢٠ - لورا  
 طرابلسي ١٢١ - لواو سليم ١٢٢ - ليلي خبز ١٢٣ - ليلي حلبي ١٢٤ -  
 ليلي سوئيل ١٢٥ - لوز نوبار ١٢٦ - لينده الحلبي ١٢٧ - ماري بنت  
 الحارة ١٢٨ - ماري جبران ١٢٩ - ماري الرومية ١٣٠ - ماري شهاب ١٣١ -  
 ماريكة دميري ١٣٢ - مديحة ناطق ١٣٣ - ملك ١٣٤ - ملكة المصرية ١٣٥ -  
 ميرة محمد ١٣٦ - نجاح الحلبي ١٣٧ - نجاح سلام ١٣٨ - نادرة الطرابلسية  
 ١٣٩ - نادرة المصرية ١٤٠ - نطية شحادة ١٤١ - نطية فوزي ١٤٢ - نطية  
 نعجاي ١٤٣ - نطية مليجي ١٤٤ - نرجس شوقي ١٤٥ - نزهت يونس ١٤٦ -  
 نعيمة اسكندرانية ١٤٧ - نعيمة جوجو ١٤٨ - نعيمة كمال ١٤٩ - نورهان  
 ١٥٠ - نورية مطيع ١٥١ - نهاوند ١٥٢ - هاجر حمدي ١٥٣ - هيبث عزيز

١٥٤ - هيام يونس ١٥٥ - وجدان النادي .

وبهذه الفوضى القيانة ازداد الوضع وخامة في بغداد ولم يرفع كابوس  
 اغواء القيان عن السذج من أبناء بغداد ، وقد فرغت الجيوب وتفسخت  
 الاخلاق من جراء الرقص الخليل الذي ما تعود البغدادي مشاهدة نساء

عاريات يصرن ويعلن في المسرح منهكات في الاهتزاز والترجرج ، وقد فاته  
ان هذا الفن الجديد ابتدعه حرية حزب الاتحاد والترقي العثماني •  
وعلى ضوء هذه القيان شاهدت وسمعت كثيراً من اغانيهن • ومنها  
اغنية ( شمس الشموسة ) للشيخ سيد درويش (١) •

وقد غنتها المغنية ( طيرة ) في مجلس الشيخ خزعل امير المحمرة يومذاك  
والمرحوم الشيخ خزعل امير المحمرة كان اديباً كاملاً وعربياً كريماً محباً  
للشعراء وكثيراً ما كان يخلع عليهم الخلع الثمينة ويسدهم بالاموال الطائلة •  
وناهيك عن مجالسه الاديبة والغنائية فقد ضاهت مجالس الخلفاء العباسيين في  
العصر الذهبي •

وفي مستهل عام ١٩١٩م جاءت من القاهرة  
الى بغداد مع جوق موسيقي منظم المطربة  
اشهيرة ( منيرة المهديّة ) فقامت عدة حفلات في  
سينما ( سنترال ) الذي سمي اخيراً بالرافدين  
بعد ان احترق ، وقد فاجأت أهالي بغداد  
بصوتها الرخيم الجهوري وغنائها الرقيق فأخذت  
بالباب ذوي الالباب ، وبعقول ذوي العقول  
وقد تهافت جميع الهواة على مشاهدتها ، وبقيت



محل اعجاب الجميع مدة خمسة عشر يوماً ، حتى ان الاستاذ معروف الرصافي  
الشاعر الكبير حضر بعض حفلاتها ففاضت قريحته بمقطوعة جميلة معرباً بها  
عن شعوره واعجابه ولقبها بـ ( ملكة غناء العرب ) واليك نصها :

|                         |                            |
|-------------------------|----------------------------|
| هلم الى ذوق طعم الأدب   | هلم الى نيل أقصى الارب     |
| هلم الى ذالغناء الذي    | منيرة منه اتت بالعجب       |
| ليست منيرة في عصرنا     | مليكة فن غناء العرب        |
| فلا غروان ملكت في الغنا | ء وان احزرت فيه اعلى الرتب |
| فقد ادركته على رسلها    | ونالت أقاصيه من كسب        |

(١) مجموعة فجر الاندلس ج ٦ ص ١٣

وايدها الله من صوتها  
 ارى فيها صيغ من حكمة  
 تلوح فتبتز بدر الدجى  
 بلحن اذا امتد هز القلو  
 ترفرف ارواحنا تحته  
 وتخفق احشاؤنا دونه  
 تكاد اذا هي غنت نظير  
 وان هي قامت لانشادنا  
 فلو سمع القوم الحانها  
 ارى الهم يتعب قلب الفتى  
 فيادر اليها ولا تكثرث

باكبر عون واقوى سبب  
 وأنجسه ان اقل من ذهب  
 وتشدو فيعتز فن الأدب  
 ب وخذّر آذاننا والعصب  
 كما رفرफ الطير لما انقلب  
 كما اخفقت في الرياح العذب  
 اليها باجنحة من طرب  
 جثونا لها وثنينا الركب  
 لشقوا عمائمهم والجيب  
 وعنه الاغانى تزيل التعب  
 لما جاء في ذمها في الكتب



كوكب الشرق

السيدة

ام كلثوم



اخذت صورتها

في بغداد

- المصور جعفر الحسيني -

ولم ينس الشاعر معروف الرصافي مطربة الشرق ام كلثوم يوم جاءت إلى بغداد وذلك في منتصف شهر تشرين الثاني سنة ١٩٣٢م مع تختها الموسيقي المؤلف من ثمانية اعضاء من أبرز الموسيقيين يرأسهم الاستاذ محمد القصبجي الضارب على ( العود ) و ابراهيم العريان على ( القانون ) و كريم حلمي على ( الكمان ) و يوسف متولى على ( الفيونسيل ) و جرجيس سعد على ( الناي ) و ابراهيم عفيفي على ( الدف و النقرزان ) و صالح محمد مساعد و عبدالعزيز عبدالوهاب مساعد .

وقد قابلها و ابدى لها اعشق تحياته ورحب بها ترحيباً يليق بها ، ثم قدم لها درة من درره الوهاجة و كانت بعنوان :

## ام كلثوم

امة وحدها بهذا الزمان  
فما ان للفن رب ثاني  
عم كل الامصار والبلدان  
بأفتتان لها واى افتتان  
صريحاً بصوتها الفتان  
ولون الوصال والهجران  
وتريك الحبيب عند اقتران  
من خلال الانعام والالخان  
ظاهرات في صوتها للعيان  
بلحون مطابقات المعاني  
فيه لحن السرور والجدلان  
بلحون تدعو الى الأحزان  
وبلحن كأساً من الاشجان  
تتغنى به بلا ترجمان  
ناطقات لنا بغير لسان  
كيف فعل الغناء في الانسان  
فيه للسامعين حسن بيان  
ترك السامعين في هيجان  
نعبد الحسن منه بالآذان  
دب فينا ديب بنت الحان  
وطوراً في خفة النشوان  
ونرى لذة لنا في التفانسي  
فكانا في حالة الطيران  
طرباً جردت من الأبدان  
حين تشدو ونحن في خطران

ام كلثوم في فنون الأغاني  
هي في الشرق وحدها ربة الفن  
ذاع من صوتها لها اليوم صيت  
ما تغنت الا وقد سحرتنا  
في الاغاني تمثل الحب تمثيلاً  
يتجلى بلحنها مشهد الحب  
فتريك المحب عند افتراق  
كل هذا في صوتها يتجلى  
صفحات من الغرام تراها  
تنشد الشعر في الغناء فتأتي  
فاذا انشدت من الوصل ابدت  
واذا انشدت عن الهجر جاءت  
كم سقتنا كأس السرور بلحن  
تفهم الروح منق الحب مما  
فكان الانعام في الصوت منها  
قد سمعنا غناءها فعرفنا  
حسن صوت يزينه حسن لحن  
نبرات في صوتها مشجيات  
تسترق القلوب منا بصوت  
كل لحن اذا سمعناه منها  
في وقار الحليم تجعلنا طوراً  
تفانسي في الاستماع اليها  
وترانا نهتز حين تغنى  
وكأن الارواح اذ تتعالى  
هي في مرتقى الاغاريد تعلق

يشعر المرء حين يصفى إليها  
بنت فن غنت لنا فسقتنا  
بغرام من صوتها روحانى  
من فنون الغناء بنت دنان  
هكذا فلتكن يد الفن علينا  
هكذا فلتكن على الفنان

•••

وقد حيّتها العلامة الجليل الشيخ جواد الشيبى على اثر الاحتفال الذي اقيم لها ببغداد للمرة الاولى تحت عنوان - قرية الدوح - وفيها الوان وصور من سياسة ذلك العصر ، قوله:

قرية الدوح يا ذات الترايم  
سيري مع الجحفل الجرار خافقة  
مع النسور على ورد الردى حومي  
وسابقي فوقه سرب القشاعيم  
بلادها بالمطاعين المطاعيم  
فان عهد المواضي غير مذموم  
ملء البسيطة من فرس ومن روم  
خلت بلادك من قوم فرائسهم

•••

قرية الدوح ما في الدوح من ثمر  
طيري إلى الأفق الأعلى فليس على  
وباعدي الأرض ان الجور ارهقتها  
ما في العواصم من ضيق ومن نوب  
فناشدي العرب كم دانت لهم دول  
وأبني أسر التيجان قد نزلوا  
مخدّمين بأمثال الدمى صوراً  
اهل الاكليل لا تأسوا فما عقدت  
في ذمة المجد مطرودون عن سد  
كم عاهل يستميج الدهر رحمته  
رام الأمان (أمان الله) ملتحقاً  
وان شعب (وحيد الدين) انكره  
أصاب (أحمد) رب التاج سالبه  
مضى الزمان بأهليه كمضطرب



فأبصر الخلف قدماً لهشته  
هذي الحوادث جلت أن تكافح في  
لولا المقادير سالت دون ( دجلتنا )  
سلي ( الفرات ) ففي أريافه عرب  
الراصدون على الأعداء مهر بهم  
واسائلات بغدر من دموعهم  
كم من ( عكاظ ) أقامته سيوفهم  
سوق من الحمد قامت في معارضه  
أبوا يسومونها إلا بمركزها  
لو صادوا هضبة الفولاذ لا تقلقت

وصار يخلط تأخيراً بتقديم  
سيف بمطرفه الأقدار مثلوم  
على الردى انفس الصيد المقادير  
بيض الظبا والمساغي الغر والخيم  
والمالكون عليهم مورد الهيم  
نفوسهم لقرارات اللهايم  
وموسم برذاذ الهام موسوم  
رماحهم وهي لم تعرض لتقديم  
من مصرع القرن مطعون الغلاصيم  
أركانها بالمناجيد المصاديم

تمرية الدوح أضحت أرضه يساً  
قد كان يمتص ضرع الغيث مندققاً  
تبصرى الارض هل قامت مناكبها  
جاء الجديد فقلنا سوف يخلفه  
فأسفر العصر عصر النور عن زمن  
سكان ( جلق ) ذات المرج جادكم  
ومبته الزهر زهر الفضل في حلب  
وياحواضر لبنان تجاور في  
ويانزولاً على الخرطوم زاحمكم  
مدت من الغرب وامتصت موارده  
ظماً لها ماكفها البحر ملتطماً  
حتى أتت لمجاري الشرق دامعة  
ألقت مبادئها درساً يعرفنا  
تظاهر الشرق بالحسنى مداجية  
وتوضح الشك بالأبهام تعمية  
كيف السبيل إلى التطبيق قد برأت

ومزهر الغصن اضحى غير مرهوم  
فماذ يعطب في برحاء مفظوم  
على أساس قديم غير مهذوم  
حلاً بجل وتحريراً بتحريم  
بالعسف متقد بالظلم مضروم  
بعارض من فتوق السحب مسجوم  
لازلت تنفح في شبح وقيصوم  
بحر بمثل هموم الشعب منفعوم  
في مورد النيل عذباً ألف خرطوم  
فليت لاكرعت إلا يحموم  
كأن امواجه موقورة الكوم  
عيونه بين سلسال وتسنيم  
سوء المبادئ منها والخواتيم  
وحقدتها كامن ملء الحيازيم  
واحيرتا بين مشكوك وموهوم  
هذي المصاديق من تلك المفاهيم

يامصر قولي لوفد العز قد لبسوا  
ليس الصعيد صعيدي يافراعتي  
كونوا من الذهب المسبوك سلسلة  
نواصع الحجج اللآتي اذا اطردت  
نام الخليون حيث الليل يرفع في  
واتم لاحشايكم مهدة  
لو فاض بحر الدجى وامتد زاخره  
آراؤكم من حديد الحق ضربتها  
صرختم ولهيب العزم يلفحكم  
قام الموحد منها وهو مرتعد

تلك العواري من لوم ومن لوم  
أما اختلقتم ولا الفيوم فيومي  
ابريزها غير مفصوم وموصوم  
داست جناجن موضوع ومكلوم  
سقف بأعمدة الظلماء مدعوم  
ولا جفونكم مالت لتهويم  
فلتم لأفكاركم في قعره : عومي  
تأتي على كل مكذوب ومزعوم  
كالفحل يهدر من تحت المياسيم  
واهتز من حولها أهل الأقسام

قمرية الدوح قومي فانظري أمماً  
مافي العراق اذا استقرت بقعته  
يد علينا لذات الطوق نشكرها  
إن عاد للعرب الأمحاض ملكهم  
حقاً تناديك والتلقيب أوسمة  
إن ترجعهم الى أدوار ملكهم  
اجيزك اللؤلؤ المنسوق من كلمى  
تغردين وذو الاقطار ما برحت  
كم هياً الظافر المنهوم دعوته  
تذوقوها ولم تبرد لها مزع  
واضية المال والاحلام من نعر  
كأنهم ودواعي اللهو تجذبهم  
خالوا مزامير داود لهم خبات  
فصيروا قاعة الألحان جنتهم  
فابن الثلاثين حي لاعصام له  
سيان للمهاجس المحزون في وطني

مخنوقة الصوت في أوطانها قومي  
إذن تصيخ لأبكار الاناغيم  
بذكريات احتفالات وتكريم  
وحصنوا الأرض بالبيض المخاذيم  
يانغمة الورق بل يابغمة الريم  
فأنت أنت اصدحى لا أم كلثوم  
واحسن الدرّ مثوري ومنظومي  
تبكي لتذكار توزيع وتقسيم  
منها لكل عميق الشدق مقرر  
وباغتوها بتحصيل وتسهم  
تقاطروا بين مجهول ومعلوم  
ركب يخف بزموم ومخطوم  
أنغامها بين اشداق وحلقوم  
فأينها وهي في لغو وتائم  
وابن الثمانين ميت غير معصوم  
ترنمة الورق اوتنعا به البوم

هذي البلاد فمعدوم بلا جـدة  
وساقل يتعالى فوق موقفه  
قالوا الغناء غذاء الروح ان حـييت  
متى يكون علاج للضنى بضنى  
ان طفت فيها وموجود كمعدوم  
وظالم يتردى جلد مظلوم  
وارشدونا لروح غير مألوم  
وشارب السم هل يشفى بمسوم

...

وللمشاعر الكبير المرحوم جميل صدقى الزهاوى من قصيدة بهذه  
المناسبة :

الفنّ روض أنيق غير مسؤوم  
لأنت اقدر من غنى بقافية  
اني أخاف افتتاحاً فيه مفتضحي  
سلي بي القوم قبل اللوم باحثه  
لا تفزع الكاعب الحسنا من كلمى  
وانت بلبله يا ام كلثوم  
لحناً يرجعه من بعد ترنيم  
فإنما أنا شيخ غير معصوم  
وبعد ذلك يالوامتى لومي  
فان نصل سهامي غير مسوم

...

يا امّ كلثوم غني فالهوى نغم  
من أجل صوت رخيم منك يسمعه  
قد هزه صوتك الموار يطربه  
تلذه الشيب والشبان كلهم  
يام كلثوم جاء الجمع يزدهم  
فهاج كالبحر ذي الأمواج يلتطم

■ ■ ■

يا ام كلثوم إنا امة رزحت  
حملت ما يعجز القتيان محمله  
إني دخلت جحيمي قبل آخرتي  
يا امّ كلثوم حيننا مغرّدة  
بلى جننا بلحن قد شدوت به  
تحت المصائب اجيالاّ فسلينا  
وما ابن عشرين صنو لابن سبعينا  
وذقت في العيش زقوماً وغسلينا  
حيّ الملائك منّا والشياطينا  
وقبل ذلك ماكنّا مجانيّنا

...

وللمشاعر الكبير الشيخ محمد باقر الشيبى في هذه المناسبة وهي  
من موشحاته الجميله قوله :

فهيّا أيها العادة  
تظلمت الى الجو  
وغنّي لى على العاده  
وقلبي دائم الخفق

فأبصرتك فى الدرب  
بمن سواك كالطير  
أمن عائلة الببل  
وشاهدتك فى الافق  
فهل أنت من الخلق  
أم من مجمع الورق

إذا غنيت فى الحب  
وان لح بك الشوق  
فما شكواك ليل  
لأنت سلوة النفس  
فغني باسم من أهوى  
فبيته مع النجوى  
أيصغى الليل للشكوى  
وما أحلى من السلوى

على الشاطيء صداح  
سأرعى النجم للصبح  
فأهلاً ظبية النيل  
وبوركت على السير  
هنيئاً لك يا دجله  
واحبي الليل فى الحفله  
ومرحى جارة الرمله  
وهنت على الرحله

إذا أمرك السدل  
وان كان لك الكوخ  
وان قلت بك الشعر  
لك الأمر على القلب  
فقد توجك الظهر  
فقد عاد لك القصر  
فمن الهامك الشعر  
وعينيك لك الأمر

تمتاك ببغداد  
وحياك على الجسر  
ففتيان أعفاء  
فمن قلبي أشواق  
جماعات ، جماعات  
زرافات ، زرافات  
وفتيات عفيفات  
ومن روحي تحيات

سلام أم كلثوم  
لقد هيجت أحزاني  
فيا اغرودة الروح  
أمن يسكر بالحب  
سلام أنت مصباحي  
كما هيجت أفراسي  
تعالى لست بالصاحي  
كمن يسكر بالراح

هنيئاً لك بغداد  
من الغيد الأعراب  
لقد أحييت لياليك  
فعدوا فرحة النفس  
فهذي أمّ كلثوم  
أتنا لامن الروم  
بتغريد وترنيم  
إذا قصر تكريمي

أعيدي السجع والصدح  
فهذي الانجم الزهر  
فغنتي أروع الشعر  
فمن نحرّك للشعر  
وغنينا إلى الفجر  
مطلات مع البدر  
وصوغيه من النحر  
ومن نحرّك للنحر

عجبتنا أمّ كلثوم  
لماذا قسم الوفد  
ألا من يجمع الشمل  
خذي حذرّك يا مصر  
من الحادثة الكبرى  
ومن ذا يبت الأمر  
ألا من يطرد الشرّ  
وردّي الكيد والمكر

رأيت الخصم جذلان  
أحقاً فصل الوفد  
فهذا الحادث البكر  
السى الوحدة يا مصر  
بما جد من الحلف  
(نجيباً) وهو في الصفّ  
أرانا موضع الضعف  
السى الاشفاق والعطف

أطلسى بنت فرعون  
ورفقاً ربّة الصون  
فأنت الكاعب الرود  
خذي روحى السى مصر  
على المسرح والملعب  
بأحشائي أن تنهب  
فما الطبى وما الربوب  
فمصر وطنى الاقرب

سلى قلبي عن الحب  
فكم لاب على الروض  
سلينى شاحب اللون  
خذي قلبي للوفد  
فقد ذاب من الوجد  
وكم حام على الورد  
فمن سهد السى سهد  
فإني فى الهوى وفندي

وللشاعر المعروف إبراهيم أدهم الزهاوي بهذه المناسبة قوله :

أمّ كلثوم دولة تتباهى  
حكمت في القلوب أعلى الحكوما  
عرشها ثابت العلى لم يزله  
وعليها تاج من العز والأج  
وادارت من فنّها صولجاناً  
هي انسانية ولكن في في  
أو ما تسمع الاغريد تأتي  
خشعت عندها الجوارح إلا  
كتمائل بابل أظهر الفن  
كلّما غرّدت بحفل ارتنا  
تتجلى لنا بها يقظات  
لو تخلّت عنا الهموم حلمنا  
بأمور لم تبدئها ولكن  
نحن من ارفع العوالم ماتت  
قد جنينا جنابة جسّتنا  
جدا ساعة تمر بنا مف



يا هزار النيل التي تمنى  
أنت ضاعفت ألسن الطير حسناً  
فاذا ما غنيت خيلت للأسد  
واعادت على سليمان ما قا  
فظلام الدجى عتيد ولكن  
والمعاني تساب إثر المعاني  
والتقوافي تختال تيهاً وعجباً  
ضاعفت حسنها بما قلدهتها  
شفتا أعذب الخلائق لحناً

نعمات الهزار رجع صداها  
وتفنتت في اختراع لغاها  
ماع ورقاء كبرت نغماتها  
لته ليلاً لنفسها في ضحاها  
عاد أدراجه بنور غناها  
في نفوس تيقظت من أساها  
أنها صادفت هوى في نهاها  
من حلي تصوغها شفتاها  
هكذا حدثت لنا اذناها

لم تجد عند غيرها احداها  
 هب في منخر الفریق شذاها  
 عاد من منزل البلى ولداهها  
 مذقتة الاحلام في حلواها  
 يتحدى الأيام في بلواها  
 وهي تهوى اذا علوت اتبائها  
 عان تصغي لها بكل قواها  
 ها ويحيي فيها موات هواها  
 حسن أقبالها على نجواها  
 م لطفٍ وفاهم مغزاها



لع في افق فنّتها بعلاها  
 أنفساً قووض الزمان بناها  
 قد غزا الخاقين حتى كفاها  
 جهلت اكثر الورى معناها  
 وهي عنوان مرتقى دنياها  
 لم تبلج قضى الحجى برداها  
 دار ما بيننا فأندى الجباها  
 قتل اذواقنا وصانت طلاها  
 دون حسن اختيارها لغناها  
 تر لساناً منها على فصحاها  
 ما غنتنا هوجاء إلا قضاها  
 سحر طفلاً بثوبه يتباهى  
 زرم آيات نطقه الأقسواها  
 تتمنى على النفوس مناها  
 لم تخلف لنا العصور سواها  
 ها ولا ذاقت النفوس نواها

جمعت في غنائها حسانات  
 نبرات كأنها نسيمات  
 ترقص الجو رقصة الأم ثكلى  
 فأواناً تلقى عليه سبباً  
 وأواناً تلقى عليه حماساً  
 وهي تعلو اذا انخفضت اتبائها  
 أبداً ترغم النفوس على الأذ  
 مثلها يأمر النفوس وينها  
 وكفاها مهذباً في البرايا  
 وبيد ما بين سامع انعام

ام كلثوم غرّة القمر الطا  
 ما تغني وانما تتبني  
 فهي تغذي بدرها يالدر  
 ذلك معنى الانسان في الكون لكن  
 فترى في الفنون لهواً ولعباً  
 وهي فيها غرائز فاذا ما  
 وبذيء من الكلام سخيف  
 قد تحاشت أمثاله فتحاشت  
 ليس حسن اختيارها للقوافي  
 صعدت للغات خدأ فلم تخ  
 مضر أكرم الشعوب بياناً  
 هو ترب للسحر شبّ وظل ال  
 سل به محفل الزمان الذي آل  
 يوم كنا نجتاب ثوب حياة  
 ام كلثوم شعلة من علاها  
 صانها الله للفنون وابقا

وللشاعر كمال نصرت بهذه المناسبة قوله :

أشجى الفؤاد وأبكى كل معمود  
في القلب يفعل فعل النار بالعود  
يا أمّ كلثوم رفقا بالمعالميد  
ما بين وجد وتعذيب وتسويد  
صوت رخيم لدى خفض وتصعيد  
هجر يطول ومن سقم وتنكيد  
صوت يؤثر في صم الجلاميد  
مثل البلابل أشدو فوق املود  
بين العصون وموسيقاي تغريدي  
وان سكرت فخمري ماء عنقود  
وللطبيعة تسيحي وتحبيدي  
هم ولست على عيشي بمحسود  
فانما أنا طير في الأغارييد  
اما نادرة فقد جاءت من القاهرة

الى بغداد عام ١٩٣٤م وهي تحمل معها  
لقب ( اميرة الطرب ) ومعها جوق  
موسيقى ضخمة وحلت باوتيل الهلال  
بناء على اتفاقيتها مع صاحب الملهى  
المرحوم عبدالجبار سبع ، وقد غني  
بها أشد الاعتناء حيث أقام لها عدة  
حفلات كانت غاية في الاناقة والفن  
ومنتهى الذوق ، وقد ادهش الناس  
بصوتها العذب ، وأغانيتها الشجية ،  
وقد توافد العراقيون على مشاهدتها

والاهتمام بها ، ولم اسمع ان شاعرا تأثر بها عدا الاستاذ خضر الطائي فقد  
هزته بفننا فنظم هذه المقطوعة واليك نصها :

أصوتك العذب ام مزمار داود  
يا أمّ كلثوم رفقا إن صوتك ذا  
رفقا بنا لا تزيدنا جوى وهوى  
ورحمة بالذي يقضي ليليه  
ففي أغانيك معنى الحب يظهره  
فمن جفاء به يشقى المحب ومن  
وكيف لا يدع الارواح هائمة  
يا أمّ كلثوم إني بلبل غرد  
أعيش في الروضة الغناء منتقلا  
أطير من فنن لدن إلى فنن  
والروض يضحك لي والورد يسلم لي  
لي الهناء فصفوي لا يكدره  
إن كنت في الناس ادعى مثلهم بشراً





أخذ الفن عبقرى الأغاني  
إن تكن هذه الطبيعة خرسا  
طاف منها على الشعور خيال  
وهداه إلى الجمال فألقى  
هبة من مواهب الله جاءت  
تتبارى بها عواطف شتى  
وألذ الغناء ما بعثته  
هذه هذه (حمامة مصر)  
اطربتنا بصوتها العذب حتى  
سمعتة القلوب واستعدبته  
غادة النيل زودينا بلحن  
واسحري هذه العقول بصوت  
رنجي قدك الرشيق دلالة  
ليت شعري بأي سحريك هنا  
أنت في هذه الاغاني هزار

### خط الملاهى في بغداد

ليس المقصود بكلمة الملاهى هي الالعاب المسلية ( كالتاولى والسومينو  
والشطرنج ) وغيرها ، وانما هي صالات الغناء والرقص التى يكثُر اقبال  
الناس عليها في بغداد ، وبغداد حديثة العهد بها .  
وقبل اعلان الدستور العثماني وبزوغ شمس الحرية ماكانت مسارح  
للملاهى تشيد خاصة بها ، بل كانت تشيد فى المقاهى مثل (مقهى سبع )  
فى الميدان وقد شيد المسرح بها فوق سطح المقهى صيفا ، وبهذا المكان قتل  
الفتى الراقص المسمى (نعيم) وذلك عام ١٣٢٥هـ ١٩٠٧م وقد أحدث قتل  
هذا الفتى ضجة عظيمة فى بغداد حتى ان الشاعر المرحوم معروف الرصافي  
رثاه بقصيدة غراء مؤرخا فيها تأريخ وفاته بعنوان ( اليتيم المخدوع ) ورثاه  
أهل بغداد بقصائد شعبية .

وفي عام ١٩١٣ م ارتأت بلدية بغداد أن تشيد مسرحا للرقص والغناء ترفيها لسكان بغداد ، فقامته في الموضع الذي يقع في موضع محطة كركوك أي غربي بغداد ، وقد باشرت العمل به وشاركت فيه المغنيتان ( بديعة لاطي ) واختها ( خانم لاطي ) واستمر العمل بضعة أشهر حتى اعلنت الحرب العالمية الاولى عام ١٩١٤م فانقرض هذا الملهى .

وفي بدء احتلال بغداد انشيء ملهى باسم (ماجستيك) واخيرا سمي (الهلال) في الميدان واشتغلت فيه الراقصة الشهيرة التركية (ألن) وغيرها، واذكر منهن (ماريكه دمترى) والاشتغال فيه يكون عصر كل يوم في ساحة الملهى الواقع فى الميدان .

وانشىء ملهى آخر بنفس الزمن فى نصف سوق الشورجة برآسة المغنية (روزه نومه) والراقصة يقال لها (هيلة) .

وبعد اعلان الدستور العثمانى اندفق سيل المغنيات والراقصات كما نوهنا آنفا ( فى قيان بغداد ) وقليل منهن المصريات ، ومعظمهن من الشام وحلب وببيروت ، ولا شك ان بعض اهالي بغداد يذكر عهدهن اجمل ذكرى .

وفي السنة نفسها والناس فى تلهف وشوق الى تلکم القيان ، وضع القهواتى (سبع) الواح خشبية فوق الحوض الذى يتوسط الحديقة الكائنة فى الميدان ، والتي هي جزء من مقهاه ، وجعله شبه مسرح ، اشتغلت عليه الراقصه (رحلو جراده) واخذت تخرج عليه عصر كل يوم والناس مقبلون عليها اقبالا شديدا .

وفي ذلك الوقت شيده القهواتى (حسن صفو) فى مقهاه (قهوة الشط) الكائنة فى محلة المصبغة (صوب الرصافة) مسرحا وجعل المغنية والراقصه (طيره المصرية) تشتغل فيه .

وفي عام ١٩١٦ أسس ملهى فى (مقهى الشط) بجانب الكرخ بالقرب من السفارة الايرانية الشهيرة بيت الايلجى ، وقد مارست الغناء فيها المطربة (روزه نومه) وشاركتها بعض المغنيات واتسع عام ١٩١٧م حيث انضمت لها اختها (ليلونومه) .

ولما كثرت رغبة أصحاب المقاهي في الملاهي شيد صاحب (مقهى طويق) متقابل لمقهى الشط في الرصافة مسرحاً في مقهاه وأشتغلت فيه الراقصة الشهيرة (الن التركية) ومعها الراقصة (ماريكه دميري) والدة المطربة (عفيفة اسكندر) .

ولما راجت سوق هذه الملاهي وكثر الاقبال عليها وجاء عام ١٩١٧م حيث احتلت بغداد من قبل الانكليز انطلقت قيان بغداد من مكنها بعد أن عرفن ماتدر هذه الملاهي على المغنيات والراقصات من الريح الوفير فتعاقدن مع أصحاب الملاهي وظهرن فيها باعجاب ملاً تقوسهن بهجة ، وقلوبهن أملاً ، فتزاحمن وازداد عددهن وقدمن الى الجمهور ما يحبه من أغانيه العراقية التي مافتىء يسمعها من افواه الناس . والعراقي يطرب لجمال الصوت ويفضله على جمال الحركة ، حتى انه يأتي من أقصى شمال العراق وجنوبه ليسمع هذه الاصوات الشجية ، ويتمتع نظره بذلك الجمال الفتان .

وأشهر المغنيات آنذاك في بغداد : صديقة الملايه ، وجلييلة ام سامي ، وبدرية أنور ، وقد لعبت كل واحدة منهن دوراً لا ينسى . وبعد ان خمدت الثورة العراقية عام ١٩٢١م وجاءت الحكومة الملكية انتشرت الملاهي وانحصرت في محلة (الميدان) وظهرت مغنيات وراقصات كل واحدة اخذت مكانها في ملهى . واليك اسماءها آنذاك :

- ١ - ملهى الهلال : برئاسة المطربة سليمة مراد
- ٢ - ملهى الجواهرى : برئاسة المغنية خزنة ابراهيم
- ٣ - ملهى المنير : برئاسة منيرة عبد الرحمن الهوزوز
- ٤ - ملهى نزهة البدور : برئاسة سلطنة يوسف ، وقد سمي باسم

الراقصة ( بدرية سواس )

- ٥ - ملهى الاوبرا العراقية : برئاسة المغنية زكية جورج .
  - ٦ - ملهى الفارابي : برئاسة المطربة صبرية حسين .
- وظلت هذه الملاهي تشتغل في الميدان الى عام ١٩٤٠م ، ولما رأت امانة العاصمة ان الميدان المنتشرة فيه هذه الملاهي لا يتناسب وحر الصيف في بغداد ، أمرت بنقلها الى خارج باب المعظم لترفيه الرواد فيها فانتقلت الى

الباب الشرقي وزادت عليها بعض الملاهي وهي :

- ١ - ملهى ابو نواس : يقع فى الباب الشرقي مدخل شارع الكفاح ،  
أسسته شركة باشراف صالح الكويتي ، ثم انتقل إلى شارع ابي نواس •
- ٢ - ملهى شهرزاد : يقع في الباب الشرقي ، مقابل حديقة الامة أسسه  
جرجيس وعبدالله ما شاء الله •
- ٣ - ملهى اربونا ، يقع بالقرب من كازينو شط العرب في شارع  
الرشيد ، ويطل على نهر دجلة •
- ٤ - ملهى ليالي الصفا : يقع على رأس جسر الصالحية المطل على نهر  
دجلة في صوب الكرخ ، أسسه عبد الجبار سبع •  
وهذه الملاهي تعرف بالملاهي الشعبية والشرقية •

### تعبئة الغناء في الاسطوانات

ان تعبئة الأغاني في الاسطوانات تجري بطريقة فنية لا بأس من اجمالها  
وذلك بعد ان يقع الاختيار على الاغنية ويشرع الملحن بتلحينها ويفرغ من  
تلقين المغنية وأفراد تختها حركات الغناء التي وضعها للقطعة التي يراد ملء  
الاسطوانة بها يؤتى بالمغنية وحاشيتها في وقت معين الى غرفة التعبئة  
( الاستديو ) وهي غرفة متوسطة السعة مغطاة جدرانها الداخلية باستار من  
القماش السميك حتى لا يجد الصوت منفذاً من خارجها • وبهذه الغرفة  
( مكرفون ) يجلس المغني والمغنية امامه بينما توزع جلسات العازفين على  
قدر صوت نعم آلتهم الموسيقية واهميتها واهمية الاغنية التي تغنى •  
فالراق صاحب ( الدف ) وصاحب الطبل ( الدبك ) يجلسان في آخر  
الغرفة • وعازف الكمان هو الآخر بعيداً عن فوهة ( المكرفون ) وعازفا  
العود والقانون قريبان من المغني والمغنية • والى جوار هذه الغرفة غرفة  
اخرى توصل بينها وبين غرفة ( المكرفون ) اسلاك كهربائية • وفي هذه  
الغرفة يقف مهندس الصوت امام حاك مصنوع بطريقة فنية معينة وقد ركبت  
عليه اسطوانة من الشمع وعلى هذه الاسطوانة تدور ابرة حساسة فتعش

## الأصوات على الاسطوانة !

ويجب ان تبدأ التعبئة ( بالبروفة ) التجربة العامة، ثم تجرب الاسطوانة الشخصية المملوءة على مسمع من المهندس والمدير الفني والمغني وتخته لتلافي الأخطاء . ثم يجلس المغني أو المغنية وجماعة التخت في اماكنهم ومعهم مساعد مهندس الصوت . وأمام الجانبين مصابيح كهربائية احدهما ينار بالضوء الأبيض والاخر بالاحمر فاذا اراد مهندس الصوت ان يبدأ العمل أدار زرا كهربائيا من غرفته فينار المصباح الأبيض في الغرفة الأخرى ثم يطفأ فيشير مساعده الى الموسيقيين بيديه طالبا اليهم الاستعداد ثم ينار المصباح الأحمر فيشير اليهم بالبده .

وملء الاسطوانة العادية يستغرق سبعة دقائق نصفها للوجه الاول من الاسطوانة وأنصف الآخر للوجه الثاني . واذا مضت ثلاث دقائق أوقد المصباح الأبيض كإذار بالانتهاء . ثم يطفأ ويوقد مرة أخرى فينهم من ذلك ان ابرة التسجيل قد اوقفت وانتهى العمل . وعلى أثر هذا العمل الفني كانت لشركة ملء الاسطوانات ضجة عظيمة في بغداد وكانت يومذاك محط انظار المغنين والموسيقيين يربحون منها المال القليل لقاء جهدهم ولا يدرون ان هذه الشركات كانت تربح اعظم ربح . وان اعلا اجر ناله لقاء تعبئة الاسطوانات هو مطرب العراق الكبير الاستاذ محمد القبانجي من شركة بيضافون فكان ذلك حافزا لغيره الى المطالبة بالاجور الكبيرة .

اما غناء الاسطوانات التي تهافت على شرائها يومذاك فهي :

١ - سودنوني هل نصاره

٢ - ابنيه بنت البيت كصت شعرها

٣ - يا حلو يا ابو السدارة

٤ - ابوذية نعم لامي مطلعها ( عون اللي غضه عمره بلاداي ) .

هذه الاسطوانات التي راجت وراجا عظيما في جميع انحاء العراق والبلاد العربية وربحت الشركة منها ربحا كثيرا والسبب في ذلك هو حسن صوت المطرب الكبير الاستاذ القبانجي الساحر الذي يستميل كل قلب ينبض .

## القيان في الدور الاخير

### سليمة مراد

بعد ان فرغت من بحث قيان الدور  
العباسي • والدور العثماني • وقد حباني  
الله تعالى من فضله وامتنانه قوة وجلداً رغم  
شيخوختي والمرض المزمن الذي لازمني  
استطعت ان اجمع ما تفرق في بطون الكتب  
التاريخية والادبية من احاديث وسير بصورة  
واضحة وقد تمكنت من اسماء القيان  
اللواتي حللن في بغداد بالعهد العثماني  
المحفوظة عندي من ذلك العهد •



واتماماً لهذا المصنف التاريخي رأيت من الأفضل ان اذكر من قيان  
الدور الاخير أشهرهن غناءً وأرفعهن مقاماً وان اذكر لكل قينة منهن نبذة  
من تاريخ حياتها الفنية • وهؤلاء القيان نجوم الغناء البغدادي ان صح هذا  
التعبير واولهن المطربة سليمة مراد ، وقد اشتهرت بلقب ( سليمة باشا ) وظلت  
محافظة عليه لا تعرف الا به ، الى ان صدرت الحكومة العراقية بياناً بالغناء  
الرتب العثمانية فصارت تدعى سليمة مراد ، سليمة مغنية قديرة اخذت من  
الفن حظاً وافراً وصيتاً بعيداً فكانت فيه البلبلة الصداحة • والمطربة المؤنسة •  
سليمة • فلتت من فلتات الفن امتازت عن سواها بقوة الحافظة والشعور  
الحي تفكر قبل ان تغني • وتغني فتجيد ! وتضع المعاني في موضع الأنغام  
فتخرجها من اعماق قلبها مصحوبة بانات تستفز بها قلب السامع فيقبل اليها  
بكل جوارحه طائعاً ، فلا عجب اذا ما نبغت • ولا غرابة اذا ما اتردت في  
الغناء البغدادي فانها منه واليه •

سليمة • اصل من اصول الغناء دون اعتماد على معلم فهي فيه المعلمة

البارعة والاستاذة القديرة • والغناء من ذاته موهبة واختراع ونتاج الألحان  
جزء من الذوق والأحاساس •

كانت سليمة • مولعة بالغناء من صغرها • ونشأت مغنية واحست بالميل  
الشديد الى الغناء الذي اصبح ديدنها ، وليس امامها من العوائق ما يحول  
بينها وبين تحقيق ميولها • فغنت وانشدت فكان لغنائها المحكم اثره في نفوس  
سامعيه • وكان بعضهم يتعشقه ولا يطيق الصبر بدونه •

سليمة • مغنية لا يشك في افضليتها في الغناء • ولا يوجد احد ان ينكر  
نبوغها فيه ، وكل موسيقى سواء كان مصرية او سورياً يشهد بذلك •

في شخصية سليمة ليقظة المحدثه البارعة ذات الخبرة بطباع الرجال •  
القديرة على اذلالهم لما فيها من الانوثة الكاملة • والجمال الفتان اللذان هما  
امضى سلاح لديهما •

عرفت سليمة في الاناقة في الملابس والتجديد فيه كل يوم لهذا سافرت  
الى باريس لتطلع على ما تحويه معارض الأزياء وتنتخب ما يروق لها ، وفي  
يوم الثلاثاء ٣ تموز سنة ١٩٣٤م سافرت وقد ودعتها مجلة الفنون بعددها  
١٧ والتي يصدرها مؤلف هذا الكتاب بمقال تحت عنوان ( بين الارض  
والسما ) وهو :

لئن مسكت القلم اليوم فما اريد لأسطر خبراً سبقتي اليه ابنة الجو الى  
بلاد ( السين ) ولكن اسطره ككتاب يدون كتاباته ليحفظها له التاريخ  
وتتناقلها الأجيال القادمة • ولئن هتفت بذكر ( سليمة باشا ) فانما اهتفت لاول  
مطربة عراقية تحلق في سماء الرافدين مشرفة على باسق الاشجار واعالي  
النخيل مظلة على زرقة دجلة ميمسة وجهها مسقط رأس ( نابليون ) بلاد  
الحرية والأحرار ومهبط الفنون والفنانين •

لم تسفر شمس يوم الثلاثاء الماضي المؤرخ ٣ تموز سنة ١٩٣٢م عن  
وجه الصباح بعد ان صافحت فجر اليوم السابق مصافحة الوداع الـ وحلت  
شمس الارض ضيفاً على شمس السماء في كبدالقبة الزرقاء حيث امتطت متن  
سفينة الهواء ورقاء الحي وعند لية الزوراء ( السيدة سليمة باشا ) فكان  
اجتماع الشمسين بين الارض والسما • خف بها الجناحان وتوسطا بها اثير



سليمة مراد عند عودتها من باريس في زيها الجديد

الجو وكان السحاب يفسح لهما مجال المرور بين احشائه فتشوق عبابه وهي  
تغنى انشودة العلاء يحدو بها امل رؤية بلاد الفن والجمال ( باريس ) فكانت  
اخف قلباً من محرك الطائرة وارق عاطفة من النسيم العليل الذي كان يداعب  
خصلتي شعر صدغيها وهما يلسعان خدها حتى تورم واحمر ، غيبتها الجو عن  
عين المشيعين الذين بكروا في الذهاب الى المطار لتوديع الوراق الشجية التي  
كثيراً ما الهبت العاطفة بنار النغم الشجي وحركت اوتار القلوب بأغانيها  
العذاب • اغاني الحب والوجدان • اغاني الرقة وأغاني الهزار •



عاد المشيعون وحديثهم الدعاء الحار ( للسيدة سليمة ) ببلبة الروض  
 بوصولها ( باريس ) قريرة العين جذلة الفؤاد متمنين لها السلامة والعودة  
 وهي في اكمل صحة لتعيد على اسماع ابناء وطنها النغم الحي وموسيقى  
 الجنان ، فالفنون تشاطر المشيعين بالتسنيات الحارة مبتغية عودة الغندليب  
 ليصدح على ايك الوطن ويسمع أبناءه حلاوة الالحن . وناهيك عما كانت  
 تملكه سليمة من هية واحترام من محبيها وكانت اذا جلست جلوساً عاماً  
 للغناء . فكأن الطير على رؤوس جلسائها .

سليمة اعجوبة الادباء ووحى الشعراء تغنى فتسمع منها صوتاً شجياً  
 تناجي به عشاق الطرب والعشاق تناجيها . فهي مطربة الغني والفقير .  
 والعامل والفلاح فلا عجب اذا ما قلت فيها :

|                                                           |                           |
|-----------------------------------------------------------|---------------------------|
| بين روض المنى وزهر الأمانى                                | هتفت تبعث الشجى في الجنان |
| هي مثل الورقاء في ايكة الفن                               | تجيد التغريد في كل آن     |
| ذات صوت ارق من نسيمات الصبح                               | واشهى من خمربنت الدنان    |
| ( معبدي ) نادته اقدم فلبي                                 | امرها طائعا كطوع البنان   |
| وانبرت من براعة الفن تشدو                                 | بغناء حوى جميع المعانسي   |
| نغمات من اثرها نغمات                                      | اظهرتها كمائن الاشجان     |
| تتباهى بصوتها حين يبدو                                    | مستقيضاً بأبداع الالحن    |
| جل من اودع المحاسن فيها                                   | وجاها مزية الأتقان        |
| ولشاعر العرب الاكبر محمد مهدي الجواهري في هذه المغنية عام |                           |
| ١٩٣٣م قصيدة مدهشة منها قوله :                             |                           |

|                   |                   |
|-------------------|-------------------|
| العبي فالهوى لعب  | وابعني هزة الطرب  |
| مثلي دورك الجميد  | ل كما يقتضي الأدب |
| احسني ثقلة وان    | تعبت هذه الركب    |
| فعلى وقع خطوها    | يتنزى حشا وجب     |
| روحي هذه النفو    | س فقد ملتها التعب |
| اجذبيها إلى الرضى | ادفعيها عن الغضب  |
| كل هذا الهياج من  | أجل مرآك والصخب   |

ضارب العود ما درى      أيّ اوتاره ضرب  
اعذريه فانه      بشر مثلنا اضطرب  
واقبلي القلب إنّه      لك من اضلعي وثب  
نسب بيننا الهوى      فاحفظي حرمة النسب  
أنت سلمى أجل من      أف عبد لألف رب  
تتجلّى المموم إذ      تتجلين والكرب

وإليك أشهر اغانيها بالشعر الفصيح هي :

- ١ - موشح لابن زهر الأندلسي مطلعها :  
أيها الساقى اليك المشتكى      قد دعوناك وان لم تسمع
- ٢ - مقطوعة للبهاء زهير ، مطلعها :  
يعهدني لا خانني ثم ينكث      وأحلف لا كلمته ثم اخنت
- ٣ - مقطوعة لأبي نواس ، مطلعها :  
حامل الهوى تعب      يستخفه الطرب
- ٤ - مقطوعة للمؤلف (العلاف) مطلعها :  
لا استطيع العيش بعدك      يا من عليّ أطلت صدك  
وأما اغانيها في الشعر الشعبي فهي :

- ١ - ذوب اوتفطر ٢ - مكدر اكون آه ٣ - كلبك صخر جلمود ٤ -
- يا ويلى ركذ حيلي ٥ - وين المروّة ٦ - منك يلسم ٧ - هيّانه هيّانه ٨ -
- ويلى اشمصيه ٩ - يجبابي يجبابي ١٠ - يا روحي ظلي نوحى ١١ - هوه
- البلائي ١٢ - اسكت يوليدي اسكت ١٣ - ييه الأمر صار اوجره ١٤ - من
- همي نحل جسمي ١٥ - حكم العشك ١٦ - يا نبعة الريحان ١٧ - خدري
- الچاي ١٨ - يا ساعة اشوف اهوای ١٩ - دار الهوى ٢٠ - الصبورك
- ونشاك ٢١ - يجباب هل ليله عرس ٢٢ - أنا يا ناس ٢٣ - آه اه من الولف
- ٢٤ - يا دمعتي بين الجفون ٢٥ - تدري ابخبرنه ٢٦ - على شواطي دجلة مر
- ٢٧ - يا محرم العينين ٢٨ - يوم اعتنيني ٢٩ - يا لوعتي من شوك جبتي
- ٣٠ - يا ناس ليله بالعر ٣١ - لبجي وقت بالروح ٣٢ - هل ليلة ونسه
- او كيف ٣٣ - لاموني بعدّ الي ٣٤ - مليون كل كلبى حجي .

وتجد هذه الاغاني جميعها في كتابي ( الاغاني والمغنيات )، في ملاهي بغداد من عام ١٩١٠ - ١٩٦٠ م.

## منيرة الهوزوز

زهرة يانعة في حقل الفن ، وقينة من  
قيان مدينة الخلفاء العباسيين ابداع الخالق  
صنعتها ووهبها صوتاً ملائكياً يفتن القلوب  
ويستهوى النفوس .

منيرة . مغنية قديرة ، ودره وضاء  
كوتها يد القدرة فاوجدتها على ضفاف  
الرافدين . فهي بنهر الفن عقده اللامع  
وجوهرته الشينة . منيرة مغنية مطربة بعيدة  
عن التقاليد لا تنزع نفسها للاطراء بذكرها  
والثناء عليها ولا تغتصب الشهرة اغتصاباً  
وتلصقها بها الصاقاً رضيت بما وهبها الله من



عذوبة الصوت ورقة العاطفة بفنها . فهي منيرة بكل معانيها وبكل مواهبها .  
عاصرت منيرة سليمة مراد وان كانت سليمة السابقة لها في الغناء فانها  
من نوع واحد فيه وانهما حملتا لواء الفن في زمن لم يكن لغيرهما من القيان  
صوت مسموع . وانهما ملأتا العراق غناءً شعبياً اطرب نفوس هواته فسعوا  
اليه بكل تلهف وشوق .

منيرة . اول من غنت الاغنية الشعبية ( الهوزوز ) وكثيراً ما كانت تغنيها  
حتى شاعت والحقت باسمها فصار الناس يدعونها ( بمنيرة الهوزوز ) بدلاً  
من منيرة عبدالرحمن .

منيرة . مغنية طرودة ، وراقصة اعوبة في وقت واحد ورقصها العجيب  
كان فرحة للقلوب ومتمعة للانظار ، وقد اعجب برقصها وغنائها الشاعر  
الإيبياذ معروف الرصافي فقال فيها :

هل سمعتم منيرة مذ افاضت  
 قد اقرت برقصها كل عين  
 رقصها يرقص القلوب على ان  
 هي ان اقبلت يثينة عطف  
 وهي ان ادبرت بهزة ردف  
 خلق الله صوتها العذب كيما  
 بنت فن غنت لنا فسقتنا  
 سحرتنى ماذا قبلت تشنسى  
 بيدع الغناء في كل فن  
 واسترقت بصوتها كل اذن  
 غناها عن المزامير يغني  
 اقبلت بالمهفهم المطمن  
 ادبرت بالمرجرج المرجحن  
 يعرف الناس كيف حسن التغني  
 من افانين لحنها بنت دن  
 فكاني ماذا قبلت لست منسى

وأخيراً بعد ما يقارب النصف قرن لقيتها لقاءً غير منتظر ، لقيتها وهي  
 تتعثر باذيالها هاربة من الزمن العاتي بعد ان كانت ترفل في ثياب عزها  
 وسعادتها • وتتبختر وتديه عجباً بمشيتها ، لقيتها وقد نفذ صبرها واكل  
 مقراض الدهر خيوط رجائها، لقيتها وألم الفاقة قد انشب اظفاره فيها ونسيت  
 انها كانت تعبت بالذهب الوهاج ، وقد بدأت الاشتغال بالغناء عام ١٩٢٨م  
 في ملهى الهلال ، واستمرت الى عام ١٩٤٠م •

لقيتها وقد ذهب نعيم السعادة عنها واصطلت بنيران الشقاء فلا خليل  
 تبثه شكواها ، ولا انيس ينفس بلواها • تحن الى ماضيها حنين المحب الى  
 لقاء حبيبه • وتشتاق اليه وتتلهف كتلهف الظمان الى زلال الماء • وظلت  
 قابعة بين جدران غرفة ضيقة تنبعث منها كلمة حزينة هي صدى يجيش به  
 قلبها المعضب فسلام والف سلام على ماضي الفن ، وتحية والف تحية على  
 صاحبة ذلك الفن منيرة عبدالرحمن •

واليك أشهر اغانيها بالشعر الفصيح وهي :

١ - مقطوعة للشاعر أبي نواس ، مطلعها :

نضت عنها القميص لصب ماء فورد خدها فرط الحياء

٢ - مقطوعة لشاعر مجهول ، مطلعها :

يا مليح اللمي وحلو التشتي وجميلاً جماله قد فتني

وأما اغانيها في الشعر الشعبي فهي :

١ - يعيني الهوزوز ٢ - طول الدهر يهواي ٣ - كلما اسلي الروح

٤- وين الوفه ٥- يكلبي سل او ذوب ٦- شبيت ونحلت ٧- من علّة  
 البشاي ٨- كالولي ولفك راح ٩- ما ظل بعد للروح ١٠- مكدر اهدي  
 الروح ١١- صاير عدوي اهواي ١٢- تجفي اوتصل لهواي ١٣- كتله  
 اشعلت اويك ١٤- عذبت حالي ١٥- مدري اودع الروح ١٦- يا ناس  
 ما عندي صبر ١٧- خلاني ولفي اوراق ١٨- اشظلك بعد ويتاي ١٩-  
 يا نجمة بالليل ٢٠- كلي يا بعد روحي ٢١- يا حمام الدوح ٢٢- أجاب  
 الاودهم ٢٣- ليش اتجور \*

وتجد هذه الاغاني بنصوصها في كتابسي ( الاغاني والمغنيات ) في  
 ملاهي بغداد \*

### سلطانة يوسف



سيكة من ذهب الفن كلما  
 وضعها الصقال على المحك زاد  
 جوهرها توهجا ولمعانا \*\*

سلطانة قينة استكملت فيها كل  
 مواهب القيان حلاوة ورقة هذا ما  
 كانت تفاخر به سلطانة • ولو انصف  
 الناس لقالوا انها سلطانة الطرب •

كانت سلطانة تحسن الغناء منذ  
 صغرها ولما نشأت لا تستطيع ان  
 تجاهر بين اهلها وذويها • وكانت  
 تجد متنفساً في غنائها عندما تغني سراً،  
 وما زال هذا الحال يساورها فلم تستطع صبراً على التكتّم فظهرت به على  
 ملا من الناس •

كانت سلطانة سمراء اللون ولونها لم يحل بينها وبين الأعجاب بها وكانت  
 تكتنفها حياة غرامية غامضة تدفعها الى التغني بشوق وهيام • في سلطانة  
 شيء واحد يلفت الأنظار اليها ويوقظ الرغبات فيها ؟ هو صوتها الذي دفعها

الى أن تحترف الغناء في حياة جديرة بالاطمئنان ولكن لم تغفر بشهرة واسعة وتهاقت القلوب عليها كغيرها من القيان ! والسبب في ذلك هو عدم رغبتها في التبذل والخلاعة والغريب انها لم تكن لها اغاني خاصة بها الا ما قل وندر . وقد عشقت اغاني سليمة مراد واخذت تغنيها وتحكمها . ويكفيها فخراً انها مقلدة محسنة . وحسبها انها مستودع الاغاني الطيبة فضلاً عن غنائها لبعض المقامات العراقية الخفيفة .

وظلت سلطانه بحنجرتها القوية تنقل ما تسمع وتجد ما تختاره من الاغاني بأمانة واخلاص جعلها ان تكون موضع الاعجاب والتقدير هكذا كانت سلطانه تلتقط خيرة الاغاني كالغواص الذي يلتقط اللؤلؤ ايما وجد . وبدأت الغناء تديعه عام ١٩٢٧ م بملهى سمي اخيراً ( نزهة البدور ) بالقرب من سوق الهرج وانتهت بزهاياها الى الموصل حيث استمرت تعمل بالملاهي هناك الى عام ١٩٥٧ م .

واليك عناوين اغانيها في الشعر الشعبي وهي :

- ١- كل البله والمصايب يا خلك مني ٢- يل منحدر وياك خذني ٣-
- كلبي بات بالحشرات ٤- اتلوب الروح ٥- متكلي بعد چم دوب ٦- لحط ايدي اعله خدي ٧- يا طيور البل سمه ٨- يا ناس لتلومون ٩- زايد عويلي ١٠- عمدن لجي للدار - نواف - ١١- يللي شفتني ابجي او عفتي
- ١٢- حسبالي تظل ويبي للتالي ١٣- زايد عويلي ١٤- اشلون أصبر الروح ١٥- مني رده ما ظن بده ١٦- اتلوب الروح من اتنوح ١٧- خليني ابعدابي ١٨- كل بلايه من هوايه ١٩- يكفي الهجر يهواي ٢٠- عندي كلب حبه صعب ٢١- ليش ليش ٢٢- كلي وين رايح .

وقد اثبت نصوص هذه الاغاني في كتابي ( الاغاني والمغنيات ) في

ملاهي بغداد في القرن العشرين .

## زكية جورج

يحس من يقف على اخبارها انها كانت  
راقصة اولاء ومغنية ثانياً • وانها من القيان  
الاراتي وفدن الى بغداد عند تدفق القيان  
اليها حينما اعلن الدستور العثماني •  
زكية راقصة ومغنية كما قلنا والرقص  
والغناء هما جزء من تكوينها • وكلاهما  
حارب الآخر في نفسها وشعورها حتى تغلبت  
فأحبة فن الغناء على فن الرقص فأصبحت  
مغنية لها مكانة مرموقة في عالم الأنايس  
والطرب • وراقصة اسدل عليها ستار  
لنسيان •



نزحت زكية من مدينة حلب ومعها اختها التي تدعى عثية جورج وقد  
عرفت اختها بجمالها الساحر وتناسق جسمها اللطيف • وخفة روحها في  
الرقص • وكانت تعرف كيف ترضى من يقع في احبولتها ، وكيف تستطيع  
جلب اكبر عدد من المحبين لها •  
اما زكية فقد وصفها احد المعجبين بها فقال :

انها تملك رقة وجاذبية وصوتاً يدخل في اعماق القلوب فيبعث فيها  
شجى وغراماً •

لزكية سعة خاصة بها وفي طبيعتها واساليب حياتها ما يوجب الأحاديث  
عنها ويطلق اللسنة فيها ، فمن قائل يقول انها اكبت على الغناء فحذقته تماماً  
وجعلته مورداً لمعيشتها • وآخر يقول ان نهضتها الغنائية وشهرتها فيها سببها  
معلمها الموسيقى صالح الكويتي • فلقد احبها واجهد نفسه في رفع مستواها  
الفنى ولولاه لم تكن مطربة ولم تعرف •

نعم • ان الكويتي اغرم في زكية وافرغ روحه الفنية فيها وغدا يث لها  
جبه وهواه على لسان اوتار كمنجته فتلقاه بقلب قينة شرود •

ان حب الكويتي لزكية لانزاع فيه • واما حبها له فهذا أمر يحتاج في اثباته الى كثير من الأدلة التي لم نجد واحدة في قلبها • غير ان الذي لأشك فيه انها ما مالت بقلبها اليه كما هو • فهي وان لم تجد في نفسها نوازع الحب القوي نحوه • فلقد كانت تظهر له الحب المصطنع وعلى علم منه بذلك كان يرتاح اليه •

الحب كالقدر ياتي على كل انسان • فلقد اتى واستولى على قلب الكويتي فراح يستقي زكية من معين فنه حتى اصبحت مغنية • ولله في خلقه شؤون • وقد وردت الى بغداد عام ١٩٢٠م مع اختها عليه من حلب وبدأت تغني في بعض المقاهي آنذاك قبل تكوين الملاهي ثم عند افتتاح أول ملهى أسسه ( صالح بطاط ) وذلك عام ١٩٢٦م واتته من العمل عند سفرها الى مسقط رأسها حلب عام ١٩٤٢م •

واليك عناوين أغانيها في الشعر الشعبي وهي :

- ١- وين رايح وين ٢- تاذيني يولفي ليش تاذيني ٣- يهل خلك من شاف حبي وعرفه ٤- عل راح عل راح ٥- چاتلني همك ٦- أنا من كولن آه ٧- ظالم اهوايه صار ٨- اليوم فرحان الكلب •
- وتجد نصوص هذه الاغانى فى موسوعتي ( الاغانى والمغنيات ) فى ملاحى بغداد •



## عفيفة اسكندر

هي قلب الجمال النابض •  
 اودعت يد القدرة فيها اوصافاً بدنية  
 وخلافاً نفسية • فهي لا تستطيع ان  
 تخفى محاسنها بل تبدت وتجلت في  
 اكمل جمال في نظر عشاق الجمال •  
 جمال ساحر من صنع الخلاق لا صنع  
 الخلاق لم تجد فيه شذوذاً ولا بعداً  
 عن الحقيقة المجردة من كل تقليد  
 وكل ما يشين • كانت اعز احلام  
 عفيفة وامانيها ابان طفولتها ان تكون  
 مغنية لا راقصة • والرقص الفني



( البيزنطي ) ترثه عن امها ( ماريكة دمترى ) ظلت عفيفة رغم صغرها والبيئة  
 الصغيرة التي نشأت فيها تعلق نفسها بتلك الاماني العذاب حتى هيا الله لها  
 احد المشاهير الموسيقين فحدثته عن امانيها وما يلم بخاظرها • واستشف  
 الرجل من حديثها رغبة قوية فيما تصبو اليه فقال لها بصدق واخلاص كوني  
 راقصة تكونين مغنية فالرقص والغناء صنوان لا ينفك بعضهما عن بعض •  
 ففكرت طويلاً وخالت ما يكون من امرها اذا هي احجمت ثم ما يكون اذا  
 هي تراجعت ؟ وفي هذا التفكير العميق اختارت سبيل الرقص اولاً على حد  
 قول الشاعر ( واول العيث قطر ثم ينهمر ) وراحت تخترق كل العقبات التي  
 تحول بينها وبين امانيها • فأخذ ذلك الرجل يرعاها ويبدل قصارى جهده في  
 تعليمها تعليماً فنياً محكما حتى نضجت وبدت علائم الفوز والنجاح تبدو على  
 محياها • فاعانها مرشدها واستاذها فضمامها الى ( ملهى الهلال ) واندفعت  
 ترقص فكان لرقصها رنة استحسان مما شجعها على الاستمرار فيه كل ليلة •  
 وما فتأت حتى انطلق صوتها من اعماق قلبها ياغاني كانت شائعة يومذاك  
 فاحسنت فيها واجادتها وظلت هكذا حتى اعتلت كرسي الاذاعة فراحت تنشر

درر اغانيها فتشرف آذان مستمعيها وكلهم آذان صاغية اليها، وفي هذا الاقبال والفوز المستمر التفتت الى ما ينظمه النظامون اليها من الشعر الشعبي فاستطاعت بفضل نباهتها ان تميز بين الغث والسمين وكانت تختار الذي يروق لها ويوافق ذوق ابناء الشعب وهذه بادرة طيبة قلما توجد عند بعض القيان اللواتي عاصرنها . ولما شعرت ان الشعر الشعبي لا يفي بمرامها ركنت الى الشعر الفصيح فاتخذت شعر البهاء زهير رائداً لها وراحت تغني به فكان نصيبها الفوز والنجاح .

ومن طبيعة عفيفة الفنية انها خلقت مغنية . وانها كالشمعة تحترق لتضيء للناس . وانية تمتلىء ليغترف اصداقاًؤها من خيرها . وزهرة تتفتح لينتعش من حولها بأريجها . ومن طبيعتها ايضاً خلقت لتغني حياتها لاجل حياة غيرها . وتشقى لتوفر السعادة لاجابها .

واهم شيء في طبيعتها انها تكره ان تنال شيئاً مقابل ما تجود به . وقد شاءت طبيعتها ان يكون العطاء ديدنها وان كانت معسرة . هذه هي عفيفة فهل تراني انحرفت عن الحقيقة ؟ لست ادري . بدأت الاشتغال بالملاهي عام ١٩٣٠م وأول ملهى عملت فيه ( الهلال ) وهي الى اليوم تكاد تكون في عالم الغناء كما بدأت من اعجاب الناس بها .

واليك اشهر اغانيها بالشعر الفصيح وهي :

- ١- يا عاقد الحاجبين على الجبين اللجيني
  - ٢- قف واستمع دقات قلبي خلا من غير قلب في هواك
  - ٣- قيل لي قد يتدلى واسل عنه كما سلا
  - ٤- غبت غني فما الخبر ما كذا بيننا اشتهر
- وأما اغانيها بالشعر الشعبي فهي :

- ١- اسم الله اسم الله ، امحصن بالله ٢- اكشف السله ٣- امريت على الباب ٤- هلك منعوك ٥- خطار اخنه ٦- وياك ما أحلى السم ٧- تدري بالكلب تدري ٨- كلب كلب فدوه كلب ٩- جوز منهم لا تعاتبهم وقد لحنها الاستاذ رضا علي .



عفيفة اسكندر عند ذهابها للإذاعة

وقد ثبت نصوص هذه الاغانى في كتابي ( الاغانى والمغنيات ) في  
ملاهي بغداد ١٩١٠-١٩٦٠ م

## زهور حسين

عرف عنها انها فارسية الاصل • وتدعى  
زهرة • عشقت الغناء وهامت به وهي فتاة  
صغيرة وقد جباها الله تعالى صوتا جميلا  
وحجره قوية اشتهرت بهما يوم كانت تغشى  
حفلات الاعراس النسائية كهواية • والهاوي  
لابد وان يندفع الى الغناء من تلقاء نفسه ،  
وبغنائها العذب الطبيعي وصوتها الشجي  
اخذ الناس يدعونها ( زهور ) تحبها لها  
واعترازا بها، ولما شعرت انها فضجت وتكاملت  
وان الانظار متجهة نحوها جعلت الغناء لها  
مهنة وصارت تدعى الى الاعراس لقاء اجرة



زهيدة وصارت تجول في الحفلات كمغنية ، ومن المعلوم ان التي تعيش  
هكذا لابد وأن تتطلع اليها الانظار وتشتتها الرغبات ، لاسيما وانها عرفت  
بالتغلب النفسى مما جعلها ان تتيه فى دياجير الحب والغرام ، ولا اظن ان  
سعي زهور وراء طلب العيش بالغناء هو الذي دفعها الى الاستهانة بنفسها ،  
ولكن الغريزة الكامنة فيها كانت تجعل الناس يتصارعون بما فيهم من تشوق  
اليها ورغبة فيها •

زهور • مغنية مكشوفة النفس، تملك من التنج ما تفتن به كل عاشق  
لها ، وفوق كل ذلك انها تجيد فن الأغراء وهو سلاحها الوحيد الذي اتصرت  
فيه على الرجل •

زهور قلب لوجسم • والرجل لديها رجلان احدهما لقلبها والآخر  
لجسمها ، والاول هو الذي قادها الى حتفها ، ما كانت زهور تذكر الفقر  
المدقع الذي كان مستحوذاً عليها حينما تشاهد القصور التي تمتلكها اولا

تمر ببالها الليالي الطوال المفعمة بالسغب والحرمان عندما يقع نظرها على  
المائدة التي تزخر بالأطعمة الشهية والشراب اللذيذ !

كانت زهور تختال تيهاً وعجباً كلما تشاهد ازدحام الناس بباب دار  
الاذاعة العراقية ينتظرون مشاهدتها عندما تدخل إليها او تخرج منها .

ظل صوت زهور يدوي في دار الاذاعة وجسمها النحيل يتلوى فوق  
خشبة المسرح في الملهي حتى أكثر عشاقها ومحبوها ، وتجاه هذه الزمرة  
الطائشة رسمت لنفسها خطة واضحة كانت فيها القينة المحترفة تتجلى فيها  
نزعة لا تفرق عن نزعات القيان اللواتي يعرفن كيف يجذبن اليهن اكبر عدد  
من المعجبين بهن ، وقد استطاعت زهور ان تختار من بين المعجبين بها شاباً  
جميلاً قد استهوته فمال ، واغرته فاجاب :

فوقع كل واحد في شباك الآخر ، وكانت لا تستطيع فراقه ولا يصفى  
العيش الاً بجانبه . ولا تقع عينها الاً عليه ، ولا ترى في الحياة مخلوقاً  
سواه ! ولكن الاقدار قد حالت بينهما فسجن عشيقها في الحلة احدى المدن  
القريبة من بغداد ، وظل في سجنه يعاني آلام الفراق ولوعة الحب ، وقد  
احترق لفقدان تماسكه ولا يفتح عينه الاً على خيالها ولا ينظر الدنيا الاً على  
اشراق وجهها، ولما علمت انه رهين السجن هامت على وجهها كالمجنونة وذهبت  
اليه لتزود منه نظرة تشفي غليلها . وفي الطريق فاجأتها المنية وهي راكبة في  
السيارة ومعها اختها تدعى فاطمة على أثر حادثة اصطدام فكانت ضحية حب  
ذلك الحبيب السجين . بدأت الغناء في الملاهي عام ١٩٣٨م فكان أول ملهى  
اشتغلت فيه الفارابي .

واليك أشهر اغانيها بالشعر الفصيح هي :

١- مقطوعة للشاعر الآحوص تغنيها بنغم الدشت ، مطلعها :

إذا أنت لم تعشق ولم تدر ما الهوى فكن حجراً من يابس الصخر جليداً

٢- مقطوعة للشاعر الفقيه السيد محمد سعيد الجبوبي ، مطلعها :

لح كوكبا وامشي غصناً والتفت ريباً فان عدلك اسمها لم تعدك السيمى

وأما اغانيها فى الشعر الشعبي فهي :

١- ولقي أخذ روجي او شرد ٢- كالولي تسله ٣- ظلام ماعدكم رحم

٤- يكلون محبوب الكلب ٥- يللي لت أهل الهوى ٦- سيل يا دمعي  
 دسيل ٧- مسكين يل طخت ابتعب ٨- آه من هذا الوكت ٩- بالدنيه  
 ما تم لي أمل ١٠- تعالي لي ييمه •  
 وقد اثبتنا نصوص اغانيها في كتابنا ( الاغاني والمغنيات ) في ملاهي  
 بغداد من عام ١٩١٠ - ١٩٦٠ م

## صديقة الملاية

عرفتها فتاة جويرية كساها الجمال  
 حلة بدية اعز بها نساها فعدت ترنو  
 انى الدنيا بعين ملؤها الأمل ، وتستقبل  
 الحياة بوجه ضاحك الاسارير • كان  
 اسمها ( فرجة ) بنت عباس ثم تسمت بـ  
 صديقة تحلم بخيبة الحياة ونعيمها ،  
 وتنتظر السعادة وخيراتها لتعيش فيها  
 عيشة الفذاة الموهوبة، ولم تدر ما اضم  
 بها الدهر العاتي ، فانفردت بشخصية  
 ممتازة بين ترابها ( بنات المحلة ) بصوتها  
 الرنان الذي حسدنها عليه ، والحسد



غريزة في الانسان من قبل ركائت الفتوة التي منحها الله اياها تملأ بيتها  
 غبطة وسروراً • وصوتها الشجي تضيق به فسحة الدار • ولما فضجت وكملت  
 انوتها ، انضمت الى مجالس التعازى الحسينية النسائية فكانت ناراً على  
 علم فقلبت هذه المهنة على اسمها وراحت تدعى بـ ( صديقة الملاية ) والملاية  
 مغنية صداحة مؤثرة قوية التعبير على الرغم من احتفاظها بنبراتها الأنثوية ،  
 عاشت الملاية عيشة ترف في ظل امها لم تنزلق الى مأثمة، ولم تنزع الى ريبة •  
 ولكن القدر المحتوم دفعها الى سورة الملاهي فكانت بها المغنية الطروبة •  
 ولامر بما يمكن تعبيره في هذه المجالة تركت الملهى مرغمة ونفسها تنزع اليه،  
 ولا يغرب عن البال ان صديقة الملاية الملت بجميع الاغاني العراقية القديمة فلم

تغادر منها كبيرة ولا صغيرة إلاّ احاطت بها علماً ، فضلاً عن بعض المقامات العراقية الخفيفة ، وظلت روحها الفنية تتوق الى ما كانت عليه في دنيا الملاهي حتى تردت حالتها الصحية والاقتصادية . فقبعت في دارها وقد اسدل عليها ستار النسيان ، واخيراً اصبحت اليوم تقيم في غرفة ضيقة لم تتوفر فيها الراحة والاستقرار وقد ضاقت بعينها الدنيا ، ولو لم تنعم عليها دار الاذاعة العراقية بما يسد رمقتها لاضطرت الى التسول ، والتسول تأباه نفسها الأبية وقد بدأت تجهر بلغناء عام ١٩١٨م وفي حوالى عام ١٩٢٦م تركت الملهى واقتضرت على تسجيل الاسطوانات ودار الاذاعة عند تأسيسها .

واليك عناوين اغانيها الشعبية وهي :

- ١- على جسر المسيب سيوني ٢- يصياد السمج ٣- أفندي لا يفندي
- ٤- لنخاك يل كاظم ٥- للناصرية ٦- ام اجناغ ٧- ابنيه يا بنيه ٨- محمد بويه محمد ٩- امطبر يگليبي امطبر ١٠- يادشر يالله ١١- جواد جواد
- ١٢- مسيبي ١٣- عبود إجه امن النجف ١٤- وعله جبين الترف لوگي يمگرونه ١٥- رييتك ازغیرون حسن ١٦- يا خشوف عل الجريه ١٧- اشبان مني ذنب يعينوني ١٨- يا حلو خلها ولك ١٩- اعليك يا بويه ٢٠- من العمارة للكوت .

وتجد نصوص هذه الاغاني في كتابي ( الاغاني والمغنيات في ملاهي

بغداد من عام ١٩١٠-١٩٦٠م .

## جلیلة ام سامی

بدأت الغناء في مقهى رُكي بن عزاوي  
 واخيراً اطلق عليه أسم اوتيل ( المنير )  
 وذلك عام ١٩٢١م وبقيت الى عام ١٩٣٢م  
 يقل في المثل السائر ( يوجد في الاسقاط  
 ما لا يوجد في الاسقاط )<sup>(١)</sup> ومن العجب  
 ان يعثر على جوهرة الغناء العراقي القديم  
 في بعض المواخير المكتضة باللهو والعبث .  
 جلیلة ام سامی : مغنية الغناء  
 العراقي القديم من فصيلة التراث الشعبي  
 وهي في حسنها الباهر شبيهة بالغزال في



نظر فاتن ، وسر كامن تغنى فتحرك كل قلب ساكن .  
 التحقت بالملهى بعد ان نبذت خلفها الماضي الأسود نبذ النواة وجلست  
 على كرسي الملهى بكل جدارة واستحقاق ، وراحت تغنى الغناء الريفي  
 الذي ابعده عن مسامع الناس كالنابل والتطويح والنعي ، وبهذا شاع صيتها  
 ولم نجمها فتلقته ايدي شركات تسجيل الغناء وسجلت لها بعض الاغانى .  
 لام سامی روح حساسة فيها ظاهرة غريبة في حياتها الاولى ، لم تألفها  
 الجواري الخليعات اللواتي كن معها ، فلقد كانت تمت حياة اللهو والعبث ،  
 ولا تستريح الى ما هي عليه .

لام سامی ماضي يزخر بالآثام لا ينفك يقرعها وينغص عيشها ، وليس  
 لديها شيء تجاهه غير الصبر والدموع الغزار ، وتجاه صبرها وبكائها ،  
 جباها الله من غفوه واحسانه موجة عنيفة من التوبة ، اجتاحت آثامها  
 فأخلصت لربها ، وانبرت تعيش في كنف زوج شريف ، اخلص لها واخلصت  
 له ، وأقامها في بيت منعزل عن ضوضاء بغداد ، وبهذا حصلت ام سامی  
 على طابع جديد في بيتها الجديد ، وبه لازمت الحشمة والوقار في كل

(١) جمع سفظ وهو ما يخابه الطيب والجواهر الثمينة ونحوها .



متطلبات حياتها ، فاتخذها زوجها المخلص نديمة له وسيرة لياياله فكانت  
خير نديمة واحسن سمير ، وقد حجبتها زوجها عن الناس ، فلزمت بيتها  
عاكمة على اطاعة زوجها ، وكانت فيه التقية المؤمنة باحكام القدر ، واذا ما  
خرجت من دارها لشراء بعض اللوازم النسائية تحجب فتنها التي عرفت  
بها وترجع بسلام الى بيتها ، واستمرت هكذا طيلة حياتها راضية مرضية ،  
شاكرة بها على ما انعم عليها بالعفو والغفران حتى وافاها اجلها المحتوم .  
واليك عناوين اغانيها الشعبية وهي :

- ١- اندهي للواد ندهيه ٢- لافاشد القبطان ٣- چنهم لگو يا ناس
  - ٤- يا بشن انجا كيفك اشلونہ ٥- ابدر ب الماي ٦- نذر ن علي ٧- ون
  - يا گلب ون ٨- يا حلو يا ابو السداره ٩- افراگهم بچاني ١٠- يا شط
  - عسناک ١١- يوليد اترك زعلتك ١٢- حمل الريل اوشال ١٣- بدموع
  - لسجي الخزعليه ١٤- خنجر وسرد الروح .
- وقد اثبتنا نصوص هذه الاغاني في كتابنا ( الاغاني والمغنيات ) في  
ملاهي بغداد من عام ١٩١٠ - ١٩٦٠ م .

## بدرية انور

مغنية عراقية قلما يجود الزمان بمثلها  
كانت تملك صوتاً رخيماً وجمالاً فتانا ابداع  
الخالق تصويره وجعلها تتيه بهما عجباً  
وافتحاراً . كانت بدرية تسيطر على الاغاني  
العراقية القديمة تسيطر عجباً ما سبقها  
اليها احد من المغنيات اللواتي عاصرتها .  
وكنت اسمع عنها انها نادرة من النوادر في  
غنائها ، ورغماً على بحثي وتتبعاتي للغناء  
العراقي القديم واصحابه ومنتجيه لم اعرف  
عن بدرية شيئاً الا ما عرفته اخيراً يوم  
دعتها شركة ( جرامفون ) لتسجيل بعض



اغانيها ولما سمعت صوتها استفزتني نبراته وعجبت له فاشرت على مدير الشركة صديقي المستر ( جين ) ان يعتر بهذه المغنية فان لها شأن واي شأن فرغب بها وازدادت رغبته في غنائها القديم . ولكن المدرب في الشركة اليهودي عزوري العواد ابت نفسه الخبيثة ان يفسح المجال لها في تسجيل اغانيها القديمة حرصا على عدم رواج اغانيه التي اعدها للشركة ولم تسجل من اغانيها سوى قطعة واحدة وهي ( النعى ) الذي حذت حذوه جليلا ام سامي .

ومن طريف ما حصل لبدرية انور في أول حياتها الفنية انها اتفقت مع صاحب ملهى ( نزهة البدور ) عام ١٩٢٨ م ان تشتغل بملهاه بصفتها مغنية لا راقصة وان تجلس في المسرح للمغناء وهي ترتدي العباءة البغدادية وما كان من صاحب الملهى الا الرضوخ لما عرضته . ولما ظهرت هتف لها الرواد هتافا مستمرا لأنها اول مغنية عراقية تظهر في المسرح بالعباءة وعلى اثر ذلك نظمت لها اغنية ( ام العباية ) التي اشتهرت في العراق وسورية . وفي الوقت نفسه لحن من قبل الشركة وسجلت باسطوانة لازلنا نسمعها بصوتها الساحر ، ولم تبق طويلا في الملهى فاعتزلت بالعام نفسه .

وبعد كل هذا ماتت بدرية انور ودفنت معها اغانيها القديمة ومن المعلوم ان دفائن الكنوز تحت الارض قد يعثر عليها يوما ما ولكن كنوز الانتاج العقلي تذهب مع اصحابه وتدفن معهم فليس لها عودة إلى آخر الدهر .

## النهاية

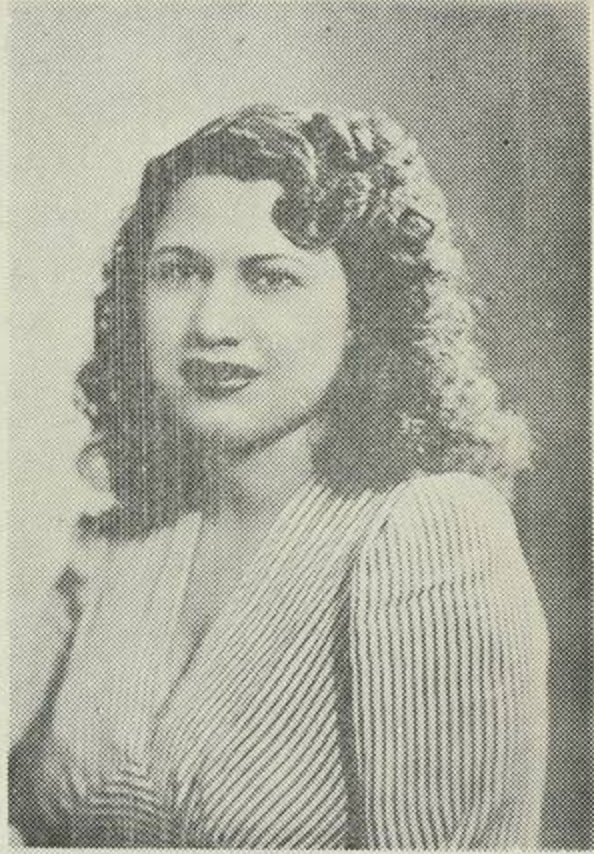
بعد ان تحقق اختياري لبعض القيان الشهيرات في بغداد وعساني وفقث الى هذا الاختيار . اما باقي القيان اللواتي غصت بهن ملاهي بغداد على سبعتها في هذا الدور وهو الدور لآخر في كتابنا هذا . فلقد اشتهرت كل واحدة منهن بالمغناء وخاصة بالرقص حسب اقتدارها الفني . والرقص فن قديم وهو تعبير لا باللسان ولا بالقول وانما خاص بالجسم والحركات المتزنة المتناسقة . وهو تعبير عن شعور قوى يخالج الجسم وقد يزداد حتى يصبح نوعا من النشوة الجنونية :

فالقصة أو الرقص دائما يحافظا على وحدة موسيقية في رقصهما سواء كان الرقص على نغم آلة موسيقية او طبلا مصحوبا بمزمار ، وبعض الرقصات اليوم قد تفنن وابتكرن انواعا وأشكالا مختلفة الفنون . وكل فن في معارض القول سر من اسرار البيان يتصل بالنفوس ويستفز الوجدانيات بالافعال وليس هذا بمقصود على اللغة الفصحى وحدها وانما هو كذلك في الشعر الشعبي الدارج في طريق التعبير بالعامية . وانك لتجد في الاغاني الملحنة البارعة التي تهز مشاعرك والعبارة الطيبة التي تزيد طربك والأغنية المؤثرة يجري بها الصوت الشجي بأي نغم كان في اعماق القلوب . فالمغني بهذه الاغاني يفصح عما في نفسه من شدة ومن حالة البعد وألم الفراق . نجد هذا كله في الاغاني الشعبية . ونجد الى جانبها صورة للبيئة الشعبية في مجتمعنا يتجلى فيها كثير من نوازع هذه البيئة واتجاهاتها . فالاغاني تدور في موضوعاتها ومعانيها على اظهار العواطف واثارتها سواء في الضرب على وتر التغزل أو الحنين والبكاء وبث العتاب أو بترديد ادوار العشق والغرام . الى تلك المعاني التي توجد الصدى والتجاوب في نفوس السامعين وفي كل هذا يجد السامع لها الوان من الاسى والحزن العميق والوانا أخرى من الانس والطرب وهذه الاغاني الدارجة من أهم فنون ( الفولكلور ) الذي يعنى الباحثون بدراسته ودلائله .

وبالاخير ان الطريقة في نظم الاغاني الشعبية تعتبر طريقة فريدة في بابها وفنا من فنون الشعر قائما بذاته وانها لتدل على حاسة فنية دقيقة عند اولئك الشعراء الذين آثروا هذه الطريقة وساروا عليها وذلك لأنهم آثروا الاوزان التي تنسجم مع الغناء والتي تسير مطاوعة لينة مع التطريب بالنغم . وقد يوردون الاغنية على روى واحد ولكنهم في الغالب يؤثرون ان تكون ادوارا متعددة تجمع بينها وحدة القافية في آخر كل دور ثم يلتزمون ربط كل دور سابقه . وهذا التصنيع يزيد الاداء طلاوة وحلاوة ويشير عند السامع كوامن الاتفاعلات والارتياح ولا باس من ذكر القيان اللواتي دأبن على غناء الاغاني الشعبية مصحوبة برقصهن في الملاهي وغيرها وهذه اسماؤهن حسب حروف المعجم .

## بدرية أحمد

فتاة بغدادية الأصل،  
عشقت الغناء في أول  
نشأتها ، واستهواها فن  
الرقص مما حداها أن  
تتولع به فتحيط بجميع  
عناصره وتشمخ بعد  
مزاولته له ، وتستعلي  
على جميع قيان بغداد  
اللاتي اتقن هذا الفن .  
ولقد ذاع صيتها في ذلك  
ما دعا الراقصة الشهيرة  
( ثريا المصرية ) عند  
حضورها بغداد  
تخصيص وقت لمشاهدتها  
وبعد ان شاهدها  
اعجبت بها كل الأعجاب  
واقرت لها بالتفوق عليها  
وعلى غيرها . وبقيت



في شموخها من بدأ عملها في ( ملهى الهلال ) وتنقلها الى مختلف الملاهي  
بمسابقة اصحابها عليها الى ان اعتزلت الرقص واستقرت في بيت لها مع امها  
واختها . وقد أعجبت بالأغنية التي كانت تكثر من روايتها ( الكلب من  
فرغاك سل أوغده انحيل ) .

## بدرية علي

فتاة بغدادية الأصل،  
هويت الغناء لحسن  
صوتها وعذوبته ،  
وتأثرت بغناء المطرب  
الشهير حضيري ابو  
عزيز حتى أدى إلى  
أن تعرف بـ ( بدرية  
حضيري ) بدأت العمل  
في البصرة عام ١٩٤٠ م  
بملهى ( النصر )  
وتنقلت منه الى عدة  
ملاهي وأخيراً اشتهرت  
هناك مما دعا أن  
يستقدمها بعض ارباب  
الملاهي ببغداد  
فاشتهت بملهى  
الفارابي ونالت اعجاب  
الرواد والمشاهدين  
وأسرت كثيراً من



القلوب والعقول ، ثم انتقلت الى البصرة بناءً على طلب البصريين هناك  
وظلت تشتغل فيها الى ان اعتزلت الغناء وذلك عام ١٩٤٧ م. وكانت تتذوق  
الأغنية المعجبة بها ( كلما اريد ذاك ابعيد ) .

## بديعة جمال



فتاة من جنوب العراق ، تبنتها امرأة تعرف بـ ( ام الحليب ) وقد تزحت بها الى بغداد عام ١٩٤٤م وجمالها ورقة صوتها اخذت تشتغل في ملهى الجواهري ، فنالت اعجاب الرواد والمشاهدين لها ، ثم تنقلت في عدة ملاهي اخرى ، وهي موضع عناية الهواة لهذه الفنون ، واحترام اصحاب الملاهي لها لمكائنها في نفوس الناس . وفجأة اخذتها ( ام الحليب ) وذهبت بها إلى البصرة حيث انقطعت اخبارها .

## بهجة منصور



فتاة مسيحية بغدادية ، نشأت في بغداد حيث اللطافة في الجو والغناء ، ولرقتها تأثرت بسماع الاصوات المنعشة من قيان بغداد المتقدّمات عليها في الزمن أمثال بدرية احمد ، وزهور حسين ، وصبرية حسين وغيرهن . وأول عمل زاولته في ملهى الفارابي عام ١٩٤٢م وبقيت فيه مدة كانت محل اعجاب هواة والزائرين ، ثم طلبت الى مدينة العمارة حيث اشتغلت في (ملهى الكحلأء) ونجحت فيه كل النجاح، وبعد عام عشقها هواة البصرة فاتقلت اليها حيث اشتغلت بملهى النصر وغيره ، واخيرا اعتزلت الغناء . وعرفت باغنيّتها ( اهلا أهلا مرحبتين ) .

## خديجة علي



فتاة موصلية تزحت الى بغداد، وقد امتلأت انوثة وورقة، ودلالاً وجمالاً، وقد صاحبها امها حيث فتحت لها ملهى ( نزهت البدور ) عام ١٩٣٤م بعد ان تخلى عنه ابراهيم السواس ، وهو يقع في سوق الميدان في الرصافة، وقد اختلف عليه الهواة والمعجبون بشخص ابنتها وكثر الزائرون عليه لوجود عناصر الترفيه فيه، وكانت تتمتع بصوت رخيم معجب ومدهش ، وعلى ضوء ذلك وسعت هذا الملهى وانتقلت به الى الباب الشرقي حيث اسمته (ملهى الشرق) واتسب له جمع من المغنيات من بينهن ( زهور حسين ) في اول نشأتها وذلك عام ١٩٤٢م وبعد وفاة امها تزوجت من شخص وسع عليها الراحة والرفاه .



## راجحة عبدالسيد

فتاة من عرب الفرات ،  
ومن بيت معروف في الرقة  
والحب ، حلت ببغداد في  
دار المغنية ( صبرية  
حسين ) وتأثرت بغنائها  
وفنتها ، وساعدها على ذلك  
عشاق جمالها وصوتها  
فمنى فيها هذه الروح  
وصارت تفتك في الانفس  
حيث هام فيها مجموعة من  
شعراء الفصحى فامتألت  
دواوينهم بها ومنهم الشاعر  
المعروف حافظ جميل ،  
فقد قال فيها الشعر بحرارة  
نشر بعضه في ديوانه  
( نبض الوجدان ) ص ٢١٩  
ومن قوله فيها :



|                   |                      |
|-------------------|----------------------|
| يا مهجتي يا كبدي  | ( رجحان ) يا امنيتي  |
| ك وأضنى جسدي      | قرح جفني تجنيب       |
| دي منك إن لم تعدي | من ضامن رد فؤا       |
| أقلت من بين يدي   | ردي فؤاداً شاردأ     |
| ويا نشيد المنشد   | ( رجحان ) يا اغرودتي |
| غنى وسجع الهدهد   | يا صيحة البلبل إن    |
| ت الطل ذات الميـد | ويا شذا الايكة ذا    |
| عظم مصابي فاشهدي  | اشهدتك الله على      |

كما اعجب بها شعراء العامية فقال احدهم فيها :  
 رجحان الحسن ناديت      عدمن وين يتوجد  
 گالو راجحه ابغداد      مثلها لا تظن أحد  
 شاركت في العمل بملهى ( الفارابي ) عام ١٩٤٢م حيث كانت  
 تجيد فني الرقص والغناء ، وكان زعماء القرات ودجلة يسهرون على  
 مشاهدة لياليها الاخاذة المشرقة .



### ذكية محاسن

فتاة يقال عنها انها صابئية  
 الاصل ، نشأت في لواء  
 الناصرية حيث يعيش  
 الصابئة على شواطئ  
 الانهر هناك ، وحيث  
 الطبيعة الساحرة التي تخلق  
 الخناجر الصافية ، وكما  
 هو معروف عن هذه الطائفة  
 أنها تحب الطرب وتحرص  
 عليه فقد زاولت فني الرقص  
 والغناء بصوتها المعروف  
 بالركة والانوثة الساحرة ،  
 وتردد صداها الى بغداد  
 حيث شاركت في العمل  
 بملهى الفارابي فهيمت على  
 احاسيس المشاهدين وكثر  
 عشاق فنا الذين لازموا



مشاهدتها كل ليلة . وبدأت العمل عام ٤٦ - ١٩٥٥م . وقد اشتهرت  
 بغنائها للبيسته ( بل ولد ويلاه ) .

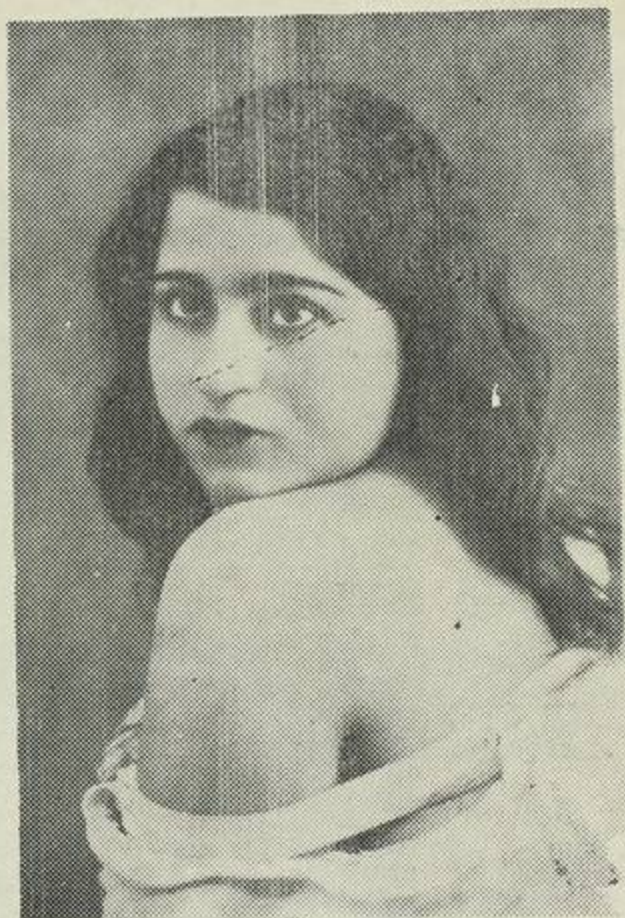
## وسمىة عبدالرحمن

نشأت في البصرة  
وهناك مارست الغناء  
حيث صقلها هواة هذا  
الفن وأثر على مزاجها  
الغنائي حتى تردد صداها  
الى بغداد مما دعى  
صاحب ملهى الفارابي أن  
يستقدمها للمشاركة في  
الترفيه لأذان المشاهدين  
وقد لاقت اعجابهم  
وتمركزت في نفوسهم  
وتردد صداها في مختلف  
البلدان فقصده المعظم  
هذا الملهى لسماع صوتها  
الرخيم وانغامها العذبة ،  
وحركاتها الفنية ، وعادت  
بعد ذلك الى البصرة



حيث واصلت الغناء بالحاح من البصريين • وبدأت العمل عام ١٩٤٢-١٩٤٨م  
والآن تعيش هناك •

## سليمة دجلة



فتاة يهودية فاتنة، نزلت من الشمال الى بغداد عام ١٩٤٠م مع  
ايها وامها وكانت تجيد فني الغناء والرقص فاشتغلت في ملهى  
(دجلة) ولكثرة بقائها فيه سميت (سليمة دجلة)، ثم انتقلت الى  
ملهى القارابي وبقيت مدة كانت مثار أعجاب هواة هذين الفنين ،  
ولعبت دوراً مهماً في امتلاك الارواح والنفوس ، واخيراً علمت  
بانها حنت الى أصلها الوخيم فاسقطت جنسيتها ولحقت باسرائيل  
وقد اشتهرت بغنائها للبيته العراقية الشهيرة ( خدري الجاي  
خدري ) •

## سليمة العراقية

فتاة بغدادية ،  
حفظت على اخفاء  
اسم أبيها وأنفت ان  
تخلق لها اسماً رمزياً ،  
فاذا ما سئلت عن اسم  
ايها تقول : انا عراقية،  
فسميت بذلك .  
اشتغلت في ملهى  
( الفارابي ) عام ١٩٤٥م  
واستمرت تنتقل في  
مختلف الملاهي فكثر  
المعجبون بصوتها  
وغنائها لدلالها ومرحها  
وحسن غنجها ،  
صاحبت المغنية المعروفة  
( فوزية چچان )  
والتقطت كثيراً من



فنها واغانيها ، وتأثرت بحركاتها وسكناتها ، وكانت في سيرتها موضع أعجاب  
زميلاتها اللاتي يحسدنها على ما تقوم به من أدوار ترفيهية مرحة حيث هام  
بحبها كثير من الذوات المحترمين وبقيت على ذلك الى عام ١٩٥٤م واعتزلت  
الفناء .

## شكيبية بحر



فتاة بصرية الأصل اشتغلت بملاهي البصرة حيث نالت اعجاب المشاهدين هناك ، لتوفر عناصر الذوق عندها من كمال وجتهل ، وفتنة ودلال . وبذلك تردد صداها الى بغداد فاستهواها ارباب الملاهي هنا وجاءت فاشتغلت بملهى الفارابي عام ١٩٤٥ ولم تبق إلا مدة قليلة حتى طلبت من قبل ملاهي البصرة بالرجوع اليها ، واستمرت الى عام ١٩٥٤م واخيرا اعتزلت الغناء .

## شكيبه صالح



فتاة يهودية من بغداد ، من اجمل القينات اللاتي شاركن في فني الرقص والغناء والعمل في ملهى الفارابي عام ١٩٤٢م وقد سحرت بصوتها الرخيم وحركاتها الفنية العقول النيرة ، والذوات المحترمة ، وكانت تجيد المنلوجات والطقاطيق ، وكانت الشخصيات السياسية انذاك تهوى الجلوس الي جنبها لملاحة حديثها وغنجها •

وبالايخير اعتزلت الغناء وسكنت في محلة الميدان قرب باب المعظم حيث صارت تتعاطى المراهنة للعقار في الطابو وعاشت برفاه تاركة وراءها الليالي الحمراء ••

## صبرية حسين

فتاة إيرانية الأصل ،  
بارعة في الحسن والجمال  
كفلتها امها بعد وفاة  
ايها ، فاعتنت بصحتها  
وتربيتها في مطلع شبابها  
ومالت الى سماع الغناء  
وتأثرت به والاكثر من  
انشاده، ولصوتها الرخيم  
استمالها بعض عشاق  
الاصوات الجميلة الى  
الغناء والرقص لما لها  
من حسن القوام  
والرشاقة ، فشاركت في  
( ملهى دار السلام )  
الذي سمي اخيراً بملهى  
( دجلة ) وأول اغنية غنتها  
( اتته الروح ، والريه ،  
او كل الناس عاريه ) .



كلبي من تولع بيك تدري صافي النيه

فكانت بذلك موضع اعجاب المشاهدين والهواة لهذا الفن ، فسمت في  
نفوسهم وحلت في افئدة اكابر الشخصيات آنذاك ، وعلى أثر هذه الأغنية  
اتصل بها مؤلف الكتاب وظل يرعاها لمدة تزيد على العشر سنوات ، حتى  
اصبحت ذات ثروة وعقار ؟ وتنقلت في عدة ملاحى واشتغلت بملهى القارابي  
والجواهري ، وبقيت الى عام ١٩٤٨م تمارس الغناء بكل جدارة وتفوق ناسية  
وراءها من ساهم في تكوين وصقل مواهبها الغنائية ، وايجاد الثراء لها عن  
طريق ذلك وقد تركت العمل حيث تزوجت بمن احبها والآن تعيش في بيته .



## صبيحة ابراهيم

فتاة من جنوب  
العراق ، نزلت الى  
بغداد وهي صغيرة مع  
امها واختها ، ونزلوا  
في محلة الميدان ، وقد  
وجهتها أمها لاستماع  
الاغاني من دار الاذاعة  
والاسطوانات المسجلة،  
وحفظت كثيراً من  
الاغاني المصرية  
والسورية ، وكانت  
تستمع بصوت رخيخ  
جميل ، وأنداك دفعت  
بها الى الغناء في  
الملاهي ، وأول ما  
عملت في ملهى ( الف  
ليلة ) وقد طلبوا  
وزمروا لصوتها بواسطة  
الاعلانات والدعايات



المسرحية ، وبذلك نجحت نجاحاً باهراً ، ثم استقدمتها دار الاذاعة العراقية  
آنذاك في عام ١٩٤٥م فأنس المستمعون لاغانيها وصوتها ، وللان تستمع  
تسجيلات أغانيها من دار الاذاعة . واخيراً اعتزلت الغناء وتزوجت واستقرت  
في بيتها .

## صبيحة جلة

فتاة نرحت من الشمال  
مع اختها ( سليمة دجلة )  
ولقبت بلقب اختها كما  
نوهنا آنفاً ، استطاعت  
ان تخب الباب عشاق  
الطرب بما رزقت من  
جمال ودلال ، ورقية  
شمائل ، وحسن مخايل ،  
واشتغلت في أول  
مزاوتها لهذا الفن في  
ملهى ( الاوبرا ) عام ١٩٣٥  
فكانت موضع حشمة  
واحترام رب الملهى وبقيت  
ملازمة لاختها مدة طويلة  
برعت في الرقص حتى  
استولت به على مجموعة  
من الذوات ، وعندما



تردد صداها خطب ودها صاحب ملهى ( الفرابي ) فتعاقد معها على الاشتغال  
عنده وكثر رواده من المعجبين بها ، وكانت تميل الى غناء ( المنلوجات )  
الاجتماعية والغزلية ، وفي كل ذلك كانت تخفف الآم مستمعها بما تفيض من  
روح مرح ، وبقيت على ذلك الى عام ١٩٤٧م حيث اختفت من المسرح .

## صبيحة سالم



فتاة بغدادية الاصل ، حبيبت جمالا ودلالا ورقة ، ونشأت  
محبة للرقص والغناء وخاصة المنلوجات ، ولتوفر هذه العناصر  
الاخاذة فيها اعجب بها ارباب الملاهي فخطبوا ودّها، وقدموا لها  
ما شاءت من الاموال ، وأول ما عملت في (ملهى الجواهري) عام  
١٩٤٤م فكانت مهوى افئدة المعجبين بجمالها وصوتها المدهشين،  
وكانت النفوس المرحه تتطيب مشاهدتها كل التطيب ، وبقيت  
موضع أعجاب الزواد والأصدقاء مدة طويلة إلى ان احتجبت ،  
ولم أدر اين هي الآن .

## صبيحة كسرة

فتاة عراقية نزحت من الموصل مع  
 اختها خيرية ، وهي من القينات الفاتنات ،  
 رافقت المغنية منيرة الهوزوز وتأثرت  
 بحركاتها وفنها ، وقلدت كثيراً من اغانيها  
 الشجية ، فكانت مهوى افئدة المشاهدين  
 والهواة للغناء والرقص ، وكان لجمالها  
 الأثر الكلي في سحر النفوس وامتلاك  
 الارواح ، وشاركت في العمل بملهى  
 الفارابي والجواهري والهلال ابتداء من  
 عام ١٩٣٨ م وبقيت الى عام ١٩٤٨ م ولم  
 أدر اين هي الآن .



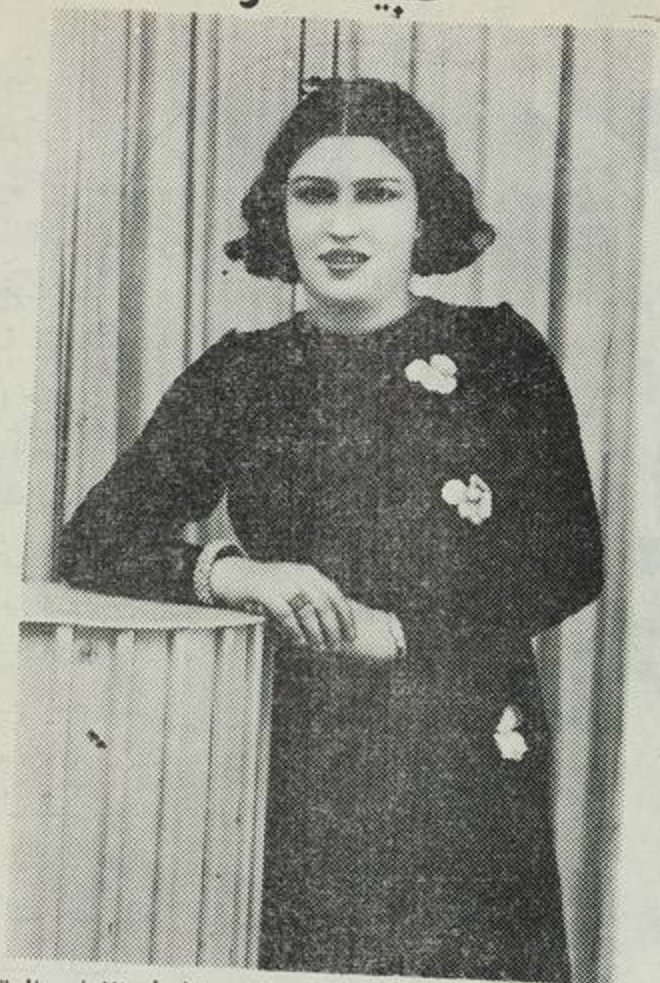
## صبيحة محمد

فتاة من الجنوب ، برعت في  
 الجمال والرقة والدلال ، وقد عشقت  
 الغناء وهامت بحب الاصوات الناعمة  
 الشجية ، ولقرطها في الجمال عشقها  
 المغني الشهير ( حضيري ابو عزيز )  
 فتزوجها زواجا شرعيا وصاحبه في  
 جميع ادواره الغنائية حتى عرفت عند  
 جميع المعجبين بصوتها ورقصها وغنائها  
 الشعبي بـ ( صبيحة حضيري ) وأول  
 اشتغالها بملهى دجلة ، وانتقلت الى  
 الفارابي وبقيت اخيراً في ملهى (ارزونا)  
 بالقرب من جسر الاحرار . واخيراً



طلقت من زوجها واعتزلت الغناء .

## صبيحة محمود



فتاة بغدادية الاصل ، مالت الى الاشتغال في الغناء والرقص  
وبقيت تتردد في بيت المغنية ( منيرة الهوزوز ) مدة من الزمن حتى  
اخذت عنها بعض الاغاني ، وعندما شعرت باستعدادها للظهور  
على المراسح اشتغلت في ملهى ( ابي نواس ) ثم انتقلت الى ( ملهى  
الجواهري ) وبقيت فيه الى ان اعتزلت عن الغناء ، وكان بدء عملها  
من عام ١٩٣٦ - ١٩٥١ م وكانت معروفة بالادب والاتزان، ونالت  
اعجاب الكثيرين بشخصيتها .

## عزيمة توفيق



فتاة كردية الاصل  
من جزيرة ابن عمر  
تزوجت مع أمها السي  
بغداد وبقيت مدة فيها  
ثم تركتها عند الكردية  
( الماس ) حيث تولت  
تربيتها وكانت تدعى  
عزيمة حسين ، وهو  
رجل تركي يعيل بالماس  
حيث تصورته والدها .  
ولما نشأت تزوجت  
برجل من الموصل  
واولدت منه بنتاً ثم  
طلقها وترك البنت عندها  
وخلال بقائها عند الماس  
اخذت تتأثر بسيرة  
المغنية حسيه الماس ،  
وبواسطتها تعرفت على

كثير من الهواة وارباب الملاهي فاشتغلت بلهى الجواهري ابتداءً من عام  
١٩٤٣ - ١٩٥٦م واعتزلت بعدها حيث تزوجت بشخص يليق بشأنها .

## عفيفة محمد



فتاة سورية الاصل نزلت من حلب عام ١٩٣٦م ونزلت بغداد  
وكانت تجيد فني الرقص والغناء وشاركت في العمل بملهى  
الجواهري وغيره وبقيت الى عام ١٩٥٣م وكانت تهيمن على  
احساس المتزين من القوم لقوة فنها فضلاً عن البسطاء .

## عليه محمد



فتاة موصلية الاصل ، قصدت بغداد وهي شابة  
فنزلت دار المغنية ( صبرية حسين ) ولطول بقائها  
عندها تأثرت بسيرتها وذوقها ، وقلدت كثيراً من  
حركاتها والحانها واغانيتها ، واشتغلت معها في ملهى  
الفارابي عام ١٩٣٥ م ونالت أعجاب المشاهدين ، وبقيت  
تزاوّل هذا الفن الى عام ١٩٤٥ م ، واخيراً اعتزلت  
العمل وتزوجت برجل احبّها وانساها الماضي السحيق  
وارتاحت لذلك .



## غنية حكمت



فتاة بغدادية الاصل، عاشت في جو ملا رقة وجمالا وفتنة،  
وتجلت بروحها عند مرافقتها للمغنية المنلوجست (فوزية چچان)  
فكانت لا تفارقها لحظة، وتأثرت بحركاتها وانعطافات اللتين كاتتا  
تهيمن بهما على ارواح الشيوخ بله الشباب ، وغنية ، غنية عن  
الاطراء والتفخيم لما حصلت عليه من قوة استولت بها على المتزين  
من الرجال . وأول عمل قامت في ملهى الجواهري ، ثم تنقلت في  
عدة ملاهي حيث اخذت تتزاحم على سماع صوتها ومشاهدتها  
مئات المعجبين بهما . واخيراً اعتزلت الغناء واستقرت في بيتها .

## فخرية أحمد

فتاة عراقية من  
الجنوب ، من  
القينات اللاتي اتقن  
فن الرقص والغناء  
والغنج والأثارة في  
النفوس المرحة ، فقد  
كانت تسحر من  
يشاهدها ، وتأسر  
من يجالسها ،  
شاركت في العمل  
بملهى الفارابي  
والجواهري عام  
١٩٤٤م واستمرت  
الى ما بعد الخمسين  
وكانت تصاحب  
المغنية الشهيرة  
زهور حسين وقد  
تأثرت بسيرتها وفنها  
ودلالها .



وكانت تصقل مواهبها الغنائية والرقصية امها التي كانت تعرضها على  
العمل حتى اصبحت من أبرز وجوه المسرح البغدادي .

## فخرية أمشتت

فتاة بصرية  
الاصل ، نزلت منها  
إلى بغداد عام ١٩٤٠م ،  
وقد زاولت الغناء  
والرقص في ملاهي  
البصرة عدة سنوات  
نالت خلالها أعجاب  
البصريين ، وعندما تردد  
صداها الى بغداد  
عشقتها الاسماع ،  
وأول عمل قامت به في  
( ملهى الهلال ) فقد كثر  
الرواد له بسببها ،  
وبقيت تختلف على كثير  
من الملاهي بدعوة ملحة  
من أربابها . وفي عام  
١٩٥٠م ذهبت الى  
مدينة الموصل حيث



اتخذتها وطناً أخيراً ، وأعجب بها اهالي الموصل ، واخيراً تزوجت هناك من  
رجل احبها واحبته واستقرت في بيته .

## فريدة علي

فتاة فراتية الأصل،  
نزحت الى بغداد  
فزلت في دار بجانب  
الرصافة ، وهناك  
تعرفت على بعض  
الناس حيث صارت  
تتعاطى الغناء والرقص  
الشخصي بليال معروفة  
عند الناس ، ولما تردد  
صداها عند اصداقها  
من يختلف عليها  
جذبوا لها ممارسة  
الغناء والرقص العلني  
فاشتغلت بملهى  
(نزهت البدور) الذي  
يقع بجانب سوق  
الميدان عام ١٩٣٦م،  
وبقيت فيه حتى  
ترأسته ، وكانت  
تجيد فني الرقص



والغناء الشعبي واستمرت الى عام ١٩٥٠م ثم ذهبت الى امريكا وتعلمت هناك  
فن التجميل النسائي خلال اربع سنوات . ثم عادت الى بغداد حيث فتحت  
لها صالون للتجميل قرب الجندي المجهول بشارع السعدون .

## فوزية ججان



فتاة موصلية ، جاءت الى بغداد عام ١٩٣٨م، مع ابيها وامها  
واختها (خيرية ججان) وكانت فوزية قد برزت على اختها بالجمال  
والكمال والدلال والغناء والرقص ، ولتوفر هذه العناصر اللطيفة  
فيها طلبت للاشتغال بملهى الفارابي فلمعت فيه كنجمة ساطعة ،  
استهوت عقول المشاهدين ، وقد افتتن بها جمع من المغنين ومن  
بينهم ( حضيبي ابو عزيز ) وكان يردد اسمها دائماً في أغانيه على  
المسرح . وبقيت بنفس الملهى إلى عام ١٩٦٥م حيث توفي ابوها  
وامها ، واعتزلت الغناء بعد أن تزوجت بمن احبها واحبته وولدت  
منه عدة بنات ، واصبحت تعيش في كنفهن كممثلات في مصلحة  
السينما والمسرح .

## لامعة محمد

فتاة من الجنوب  
سكنت بغداد ،  
وقد وهبت صوتاً  
جميلاً ، ووجهها  
مشرقاً ، وتأثرت  
بسماع الاغاني  
الشعبية فأتقنت  
الكثير منها ،  
وعملت في كثير  
من الملاهي وأول  
ما اشتغلت بملهى  
( ليالي الصفا )  
بجانب الكرخ حيث  
كثرت عشاق صوتها  
وغنائها ، واستعبدت  
الافئدة والارواح  
لمائة خلقها وحسن  
مجلسها ، ثم  
تنقلت الى عدة  
ملاهي كالجواهري



والعارابي ، وأول اشتغالها عام ١٩٤٥ م واخيراً اعتزلت الغناء وجلست  
في بيتها .

## ماري كونكه

فتاة مسيحية نشأت  
في بغداد في بيت يهوى  
الطرب فعنى بها بعض  
من يتذوق الغناء فعلمها  
أصول الموسيقى  
والرقص الذي يتلازم  
مع الغناء ملازمة الظل،  
وقد رزقت صوتا ناعما  
وغنجا جميلا وجسما  
بضا مما دعا حشود  
الهواة والمترددين على  
الملاهي ينهالون لسماع  
ذلك الصوت الاخاذ،  
وقد امتازت بحلاوة  
لحديث، وسرعة  
النكتة، وحسن المنادمة  
واشتغلت بعدة ملاهي



كانت في جميعها موضع احترام اربابها لها، بدأت العمل في ملهى (الفارابي)  
عام ١٩٣٦م واستمرت الى عام ١٩٤٣م حيث اختارت الانزواء •

## مديحة سعيد

فتاة بغدادية الأصل،

بدأت حياتها الفنية بعد  
اكتمالها الدراسة الابتدائية  
والمتوسطة ، بأن شقت  
طريقاً جديداً في الحياة  
الاجتماعية ففي عام ١٩٣٢  
استقبلت علماً جديداً  
لتوجيه الفن المسرحي  
واخراج الممثلين على  
الطريقة الفنية البحتة اي  
الرجل عن الرجل ، والمرأة  
عن المرأة ، وأول من  
اكتشفها الاستاذ المسرحي  
السيد حقي الشبلي فضمها  
الى فرقته ودربها تدريجاً  
فنياً ، وبقيت معه حتى  
ذلت اعجابه والمشاهدين



وكان لجمالها اكبر أثر في اثاره النفوس والاستيلاء على العقول وأعجب بها  
وجوه العاصمة فكان ذلك سبباً لوصولها الى المسرح والغناء العلني مشفوعاً  
بالرقص الفني ، ولكنها اخيراً اعتزلت هذا الفن الذي لا يدفع عنها غائلة  
الفقر فتزوجت احد المعجبين بها واستقلت به .



## ملوك موسى

فتاة إيرانية الأصل ،  
ستولت بغداد عام  
١٩٤٠م ، ولتوفر جمالها  
وحسن صوتها عشقت  
الغناء والرقص ،  
واتصلت بصديقتها  
( صبرية حسين )  
فتأثرت بسيرتها  
وحركاتها ، والتقطت  
كثيرا من فنونها ،  
وبذلك اشتهرت  
بمواهبها بين القيان ،  
واخذت مكاتنها تعلو  
في مراسم الرقص وفي  
صالات الغناء ، وكثر  
المعجبون بها من الرواد ،  
وقد شاركت في العمل



بملهى ( الجواهري ) و ( لغارابي ) عام ١٩٣٩م وكانت ساحرة في نظراتها  
وغنائها ورقصها ، وقد أسرت العقول قبل الأجسام ، والارواح قبل الابدان ،  
واستمرت في العمل الى عام ١٩٤٢م ، وبذلك عشقها ارباب الملاهي وتوددوا  
لها وصارت تنتقل فيها الى ان اعتزلت الغناء وتزوجت وهي باقية الى اليوم .

## نجية ابراهيم



فتاة يهودية بغدادية ساحرة فتانة شاركت بالعمل في ملهى  
الفارابي والجواهري وغيرهما، وكانت تغني الطقايق والمنلوجات  
ابتداءً من عام ١٩٤٥م وقد سحر بجمها ودلالها ومرحها عقلاء  
الرجال من السياسيين وغيرهم ، وفتكت بعقولهم وجيوبهم ،  
واخيراً اسقطت جنسيتها حيث احقت بقومها اللثام غير مأسوف  
عليها .

## نزهت الجميلة

فتاة موصلية الأصل،  
جاءت الى بغداد مع  
أمها ، وكانت بارعة في  
اختطاف الرجال  
وعقولهم لما حيت به  
من جمال وذوق رفيع  
في الجسم والحديث ،  
واشتغلت أول عهدها  
بالتمثيل مع فرقة  
الاستاذ حقي الشبلي  
فنى فيها روح الحركة  
والرقة ، ونجحت  
بالتمثيل نجاحا باهرا،  
ثم عشقت الغناء  
والرقص فاشتغلت  
بملهى الهلال عام  
١٩٣٤م وبقيت فيه  
مدة طويلة مما دعت  
ان يزداد عدد  
الزائرين لهذا الملهى



باضعاف لوجودها فيه ، وقد هامت بحب الشعراء الذين اجبتهم وفي مقدمتهم  
( المؤلف ) حيث كان يسونها بأرق المقاطيع الشعرية . ثم تركت هذا الملهى  
وانتقلت الى ( الف ليلة ) والى عام ١٩٤٧م تركت العراق وقصفت بيروت  
حيث فتحت لها ( فندق شقق ) واستقرت هناك .

## نظيرة عبد الكريم

فتاة بغدادية

الاصل ، وكانت  
اختها زكية عبد الكريم  
تشتغل بالتشيل مع  
احدى الفرق  
البغدادية التي تعنى  
بالتشيل ، ونظيره  
آنذاك كانت متزوجة  
برجل هندي فولدت  
منه بنتا اسمها  
( زبيدة ) ولما صارت  
تهوى الغناء والرقص  
اخذ زوجها ابنته منها  
وفارقها راجعا الى  
الهند ، وبقيت هي  
تختلف على الملاهي  
والمسارح وكانت  
تمتاز بالجمال  
الدهش الفتان ،



وقد بدأت العمل عم ١٩٣٤م حيث اشتغلت بملهى (الف ليلة) ثم انتقلت الى  
الفازاوي حيث بقيت الى عام ١٩٤٨م وكانت خلال هذه المدة موضع أعجاب  
وهيام رواد هذين الملهين ، واخيراً اعتزلت الغناء واستقرت في بيتها .

## نظيمة أبراهيم



فتاة بغدادية الاصل ، سحرت الناس بجمالها الفتان ، ودلالها الأخاذ ، عشقت الغناء وتأثرت به عن طريق مصاحبتها للمغنية الشهيرة سليمة باشا مراد ، ونالت أعجاب مشاهديها لتوفر عناصر الرقص الفني وغنائها الشعبي وبزّت جميع القيان المعاصرة لها عدا المغنيات الكبار ، وأول عمل زاولته هو الاشتغال بملهى الجواهري والفارابي عام ١٩٤٣م واستمرت الى عام ١٩٥٥م وكانت مهوى افئدة وعقول اكبر الرجال فضلا عن الاصاغر .

## نورية مطيع



فتاة من فلسطين ، جاءت الى بغداد عام ١٩٣٣م مع امها وابيها واختها سامية، وذهبتا الى البصرة حيث اشتغلت اختها في أحد الملاهي هناك ، وقد نجحت في فنها نجاحا باهرا أدى الى ثراء واعجاب ، وافتنن بها نبغاء الشباب من ابنائها ، ثم رجعوا الى بغداد وبقيت اختها هناك متسركزة في القلوب ، مهيمنة على العقول وذلك عام ١٩٣٦م، وفي خلال هذه المدة تأثرت نورية بسيرة اختها والتقطت كثيرا من الحانها وفننها في الرقص، وامتزت بملاحة في الصوت وحسن الوجه . واشتغلت بملهى الهلال ، حيث انظمت الى وجوه مشرقة مثلها . واخيرا تنقلت الى ملاهي اخرى ، ثم اعتزلت الغناء وتزوجت بشخص افتنن بها ، وهي الآن تعيش ببغداد بنفس الاسم .

## نورية مهدي



بغدادية الاصل من جانب الرصافة ، عشقت الغناء والرقص واجادت  
فيهما اجادة المتخصص المفن ، وقد استحضر فيها بعض المشاهدين هذا البيت  
لابن خفاجة الأندلسي :

يطالعا الصباح بيطن حزوى      فينكرنا ويعرفنا الظلام  
وقد فتكت بفنها وسحرت به الباب مشاهديها ، وقد زاوت العمل  
بملهى الفارابي عام ١٩٤٠م كما تنقلت في عدة ملاهي اخرى ، وكانت هادئة  
الطبع دمثة الاخلاق رغم ما سميت به من قبل زميلاتها ( نورية المخيلة )  
وعقيدتي ان هذه التسمية جاءت عن طريق الحسد لها .

## وحيدة يوسف



فتاة بارعة في الجمال والكمال ، وقد تربت في كنف امها التي هي سورية الاصل ، وكانت امها تختلف على بعض الملاحى في سورية فتأثرت البنت بسيرة الوالدة ونزعت الى هذه الهواية حيث نضجت عندها في بغداد فاشتغلت بملهى الجواهري والفارابي عام ١٩٤٣م واستمرت الى ما بعد الخمسين واخيرا اعتزلت ممارسة الغناء والرقص وتزوجت وفتحت لها محلا في شارع النهر لبيع الكماليات النسائية .



## بقية اسماء القيان في الدور الاخير

لقد كثرت القيان في الدور الاخير بصورة غريبة عجيبة واكتضت بها الملاهي فلا تجد جماعة إلا ومعهم مؤنسة او راقصة أو مغنية ، وهذه الاسماء التي سنذكرها مرتبة على حروف المعجم ومنها ليست الاسماء الحقيقية لهؤلاء القيان بل بدلت ، وتلك طريقة اتخذت بصورة تقليدية من عهد قيان العصر العباسي الزاهر ، واليك هي :

- ١- أحلام وهي ٢- آديل ياسو ٣- أمل عزيز ٤- انطوانيت اسكندر
- ٥- أمينة الحلاوية ٦- بدرية نزهت ٧- بدرية اسماعيل ٨- بدرية حياوي
- ٩- ثريا ناصر ١٠- ثريا عزيز ١١- جميلة يعقوب ١٢- جميلة علي ( دنكر )
- ١٣- جميلة حسن ١٤- جميلة داود ١٥- حسيبة الماس ١٦- حليلة توفيق ( غادة )
- ١٧- حمدية نبيل ١٨- خزنة ابراهيم ١٩- خيرية چچان ٢٠- روزه
- نومه ٢١- رمزية حميد ٢٢- رشدية علي ٢٣- زكية محمد ٢٤- سلامة
- ٢٥- سليمة فرات ٢٦- سليمة حسن ٢٧- سليمة يوسف ٢٨- صبيحة
- سالم ٢٩- صفيه ططر ٣٠- صبرية قادر ٣١- عائشة محمد ٣٢- عزيزة
- أمير ٣٣- غنية حكمت ٣٤- فتحية أحمد المصلاوية ٣٥- فخرية شاكر ٣٦-
- فضيلة عبدالرحمن ٣٧- فاطمة حمزه ٣٨- فوزية عارف ٣٩- فوزية كارون
- ٤٠- فوزية شيروان ٤١- فضيلة هادي ٤٢- فوزية بشير ٤٣- فريال صدقي
- ٤٤- كميلة علي ٤٥- كماله ابراهيم ٤٦- لولو نومه ٤٧- لميعة توفيق ٤٨-
- ماري جرجيس ٤٩- ماري جورج ٥٠- ماري يعقوب ٥١- مائدة
- ٥٢- مريم ابراهيم ٥٣- مسعودة مراد ( اخت سليمة ) ٥٤- منيرة حسون
- ٥٥- منيرة محمد ٥٦- مكية عبدالوهاب ٥٧- ملك ٥٨- ماري موسى
- ٥٩- مديحة ناطق ٦٠- نجية كارون ٦١- ندوة محمود ٦٢- نعيمة كمال
- ٦٣- نورية خزنة ٦٤- نديمه محمد ٦٥- ناهدة فرج ٦٦- وداد حسين
- ٦٧- وحيدة خليل ٦٨- هدية - اخت جليلا ام سامي ٦٩- هيلة سلمان
- ٧٠- هيفاء حسين .

انتهى الكتاب -

## مواضيع الكتاب

|                       |                                   |
|-----------------------|-----------------------------------|
| ٩٠ - عنان             | ص                                 |
| ٩٣ - دمن              | ٥ - المقدمة                       |
| ٩٦ - بذل              | ٩ - بغداد في العصر الذهبي         |
| ٩٨ - سلامة الزرقاء    | ١٢ - ( الفصل الاول ) أصل القيان   |
| ١٠٣ - عريب            | ١٤ - ازدهار خلافة العباسيين       |
| ١٠٩ - رسائل عريب      | ١٧ - القيان في بغداد              |
| ١١٢ - مقيم الهشامية   | ٢٠ - محاسن المرأة                 |
| ١١٦ - عائكة بنت شهدة  | ٢٣ - اوصاف القيان                 |
| ١١٨ - خليدة المكية    | ٣٣ - ما يحمد في القيان            |
| ١٢٠ - عبيدة الطنبورية | ٣٤ - القيان امهات الاولاد         |
| ١٢٤ - شارية           | ٣٩ - زينة القيان                  |
| ١٢٩ - فريدة           | ٤٣ - الشعراء والقيان              |
| ١٣٣ - قلم الصالحة     | ٥٠ - تجارة القيان                 |
| ١٣٦ - فضل اليمامية    | ٥٣ - قيان الحانات                 |
| ١٤١ - محبوبة          | ٦٠ - في منزل ابن رامين            |
| ١٤٥ - منوسة           | ٦٦ - القيان المؤدبات              |
| ١٤٧ - نبت             | ٦٩ - ( الفصل الثاني ) اشهر القيان |
| ١٥٠ - بدعة            | ٦٩ - بصيص                         |
| ١٥٢ - خداع            | ٧٢ - غادر                         |
| ١٥٤ - شاجي            | ٧٣ - علية بنت المهدي              |
| ١٥٨ - ماردة           | ٧٩ - ذات الخال                    |
| ١٥٨ - سعدة            | ٨٤ - دقاق                         |
| ١٥٩ - مؤنسة           | ٨٦ - دنانير                       |

- ١٦٠ - غصة  
١٦٠ - نهار  
١٦١ - خلوب  
١٦٢ - نيران  
١٦٣ - ممنعة  
١٦٤ - رباب  
١٦٤ - مكتومة  
١٦٤ - صنفة  
١٦٥ - سعاد  
١٦٥ - سرقة  
١٦٦ - صريم  
١٦٦ - بربر  
١٦٧ - سلسل  
١٦٧ - سامر  
١٦٨ - بنان  
١٦٩ - دره  
١٦٩ - مليحة  
١٧٠ - برهان  
١٧١ - حسناء  
١٧٢ - الفصل الثالث ( افول شمس  
القيان  
١٧٣ - السلطان عبدالحميد وعودة  
القيان الى بغداد  
١٧٥ - فوضى الغناء  
١٨٠ - اسماء القيان الاجنبيات  
١٨٢ - منيرة المهديّة
- ١٨٤ - السيدة ام للتوم  
١٨٥ - ام للتوم ( قصيدة )  
١٨٦ - قريه الدوح ( قصيدة )  
الشبيبي الكبير  
١٨٩ - قصيدة الزهاوي  
١٨٩ - قصيدة الشبيبي باقر  
١٩٢ - قصيدة ابراهيم ادمم  
الزهاوي  
١٩٤ - نادرة اميرة الطرب  
١٩٥ - خطط الملاهي في بغداد  
١٩٨ - تعبئة الغناء في الاسطوانات  
٢٠٠ - القيان في الدور الاخير  
٢٠٠ - سليمة مراد  
٢٠٥ - منيرة الهوزوز  
٢٠٧ - سلطانة يوسف  
٢٠٩ - زكية جورج  
٢١١ - غصيفة اسكندر  
٢١٤ - زهور حسين  
٢١٦ - صديقة الملايكة  
٢١٨ - جليلة أم سامي  
٢١٩ - بدرية أنور  
٣٢٠ - النهاية والفلكلور العراقي  
٢٢١ - قيان الاغاني الشعبية  
٢٢٢ - بدرية أحمد  
٢٢٣ - بدرية علي  
٢٢٤ - بديعة جمال

- |                                  |                       |
|----------------------------------|-----------------------|
| ٢٤٣ - غنية حكمت                  | ٢٢٥ - بهيجة منصور     |
| ٢٤٤ - فخرية احمد                 | ٢٢٦ - خديجة عبي       |
| ٢٤٥ - فخرية امشتت                | ٢٢٧ - راجحة عبدالسيد  |
| ٢٤٦ - فريدة علي                  | ٢٢٨ - زكية محاسن      |
| ٢٤٧ - فوزية چجان                 | ٢٢٩ - رسمية عبدالرحمن |
| ٢٤٨ - لامعة محمد                 | ٢٣٠ - سليمة دجلة      |
| ٢٤٩ - ماري نونكة                 | ٢٣١ - سليمة العراقية  |
| ٢٥٠ - مديحة سعيد                 | ٢٣٢ - شكية بحر        |
| ٢٥١ - ملوك موسى                  | ٢٣٣ - شكية صالح       |
| ٢٥٢ - نجية ابراهيم               | ٢٣٤ - صبرية حسين      |
| ٢٥٣ - نزهت الجميلة               | ٢٣٥ - صبيحة ابراهيم   |
| ٢٥٤ - نظيرة عبدالكريم            | ٢٣٦ - صبيحة دجلة      |
| ٢٥٥ - نظيمة ابراهيم              | ٢٣٧ - صبيحة سالم      |
| ٢٥٦ - نورية مطيع                 | ٢٣٨ - صبيحة كسرة      |
| ٢٥٧ - نورية مهدي                 | ٢٣٨ - صبيحة محمد      |
| ٢٥٨ - وحيدة يوسف                 | ٢٣٩ - صبيحة محمود     |
| ٢٥٩ - بقية اسماء القيان في الدور | ٢٤٠ - عزيزة توفيق     |
| الاخير                           | ٢٤١ - عفيفة محمد      |
|                                  | ٢٤٢ - علية محمد       |

## مصادر الكتاب

- ١ - الاغاني ، لابي الفرج الاصبهاني
- ٢ - نهاية الارب ، لنوري
- ٣ - لعمد القريده ، ابن عبد ربه
- ٤ - مروج الذهب ، للمسعودي
- ٥ - نفع الغيب ، للحصري القيرواني
- ٦ - المستطرف ، للأبشيبي
- ٧ - عيون الأخبار ، لابن قتيبة الدينوري
- ٨ - يتيمة الدهر ، لابي منصور الثعالبي
- ٩ - الكشكول ، لبهاء الدين العاملي
- ١٠ - زهر الاداب ، للقيرواني
- ١١ - حلبة الكميث ، للنواحي
- ١٢ - المفاخرة بين الغلمان والجواري ، للجاحظ
- ١٣ - مجمع الامثال ، للميداني
- ١٤ - سلافة العصر ، للسيد علي خان
- ١٥ - شرح لامية العجم ، للصفدي
- ١٦ - العمدة ، لابن رشيق القيرواني
- ١٧ - شرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون ، لابن نباته
- ١٨ - الكنز الجواري ، لشهاب الدين الحجازي
- ١٩ - الفهرست ، لابن النديم
- ٢١ - انيس الحاضر وجليس الخاطر ، للشيخ يوسف البحراني
- ٢٢ - قرة العيون ، لابي ليث السمرقندي
- ٢٣ - مختصر اخبار الخلفاء ، لابن الساعي ج ٩
- ٢٤ - طبقات الشعراء ، لابن سلام الجمحي
- ٢٥ - بلوغ الارب ، لمحمود شكري الالوسي
- ٢٦ - طوق الحمامة ، لابن حزم الاندلسي

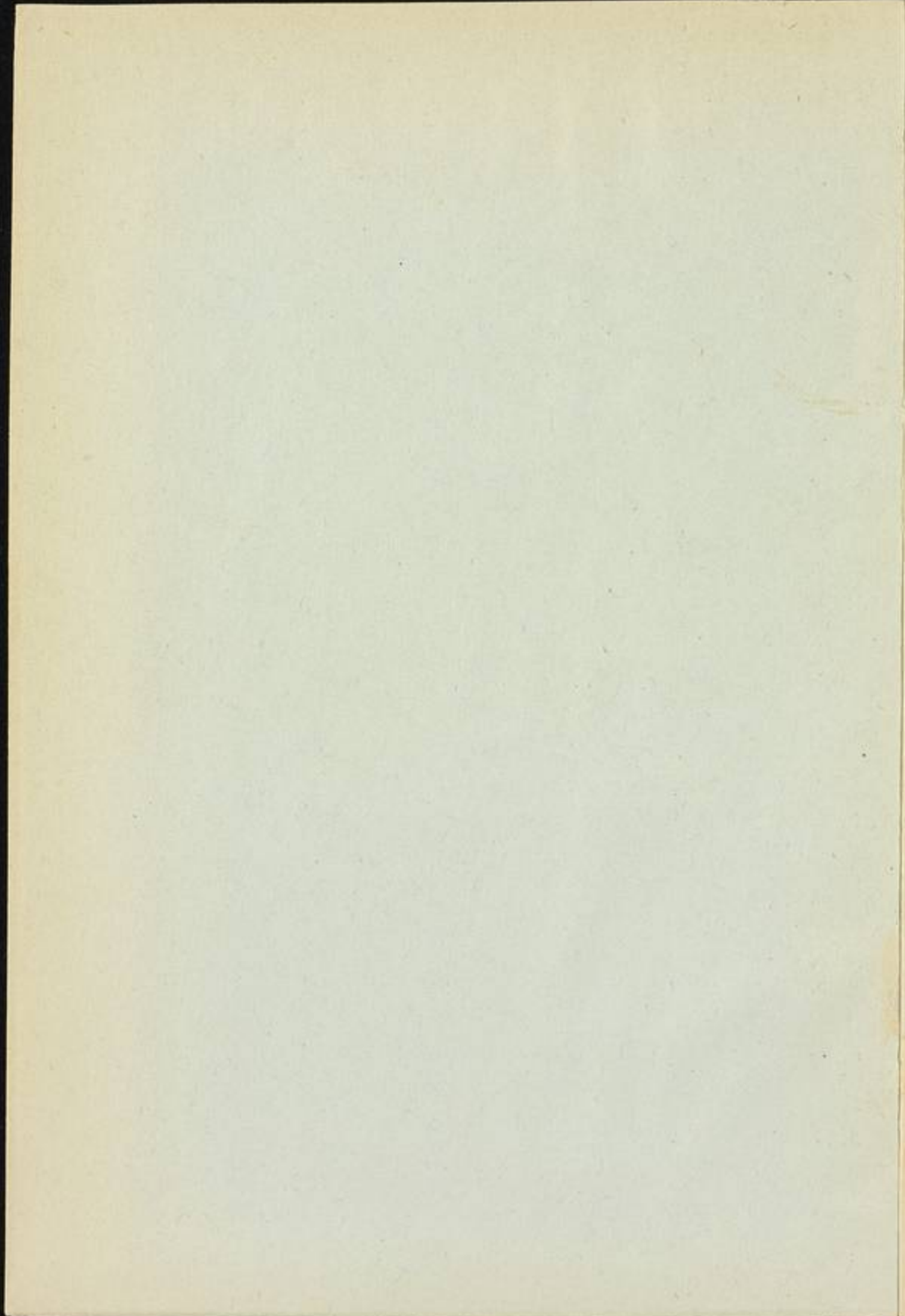
- ٢٧ - تحفة العرس ، للتجاني المغربي  
 ٢٨ - الدولة العباسية • قيامها • سقوطها ، لحسن خليفة  
 ٢٩ - تاريخ اتمدن الاسلامي ، لجرجي زيدان  
 ٣٠ - الطرب عند العرب ، للعلاف  
 ٣١ - الجواري والمغنيات ، نفائذ العمروسي  
 ٣٢ - سيدات البلاط العباسي ، مصطفى جواد  
 ٣٣ - جمال المرأة عند العرب ، صلاح المنجد  
 ٣٤ - مجلة الهلال ، جرجي زيدان  
 ٣٥ - مجلة اليقين ، محمد ورشيد الهاشمي  
 ٣٦ - الف ليلة وليلة، انيف بن القصاصين

### آثار المؤلف المطبوعة

- ١ - موجز الاغاني العراقية ، طبع ببغداد عام ١٩٣٠ م  
 ٢ - مجلة الفنون ، أصدرها عام ١٩٣٤ م سنة واحدة  
 ٣ - مجموعة الاغاني والمغنيات ٢٤ حلقة ط عام ٣٥ - ١٩٤٦ م  
 ٤ - الطرب عند العرب ، الطبعة الاولى والثانية  
 ٥ - بغداد القديمة ط عام ١٩٦٣ م  
 ٦ - الاغاني والمغنيات مجموعته حلقات ط عام ١٩٦٩  
 ٧ - الموالم البغدادي •

### آثاره المخطوطة

- ١ - ديوان شعره ، الشعر الفصيح  
 ٢ - ديوان شعره ، القسم الشعبي  
 ٣ - مذكراتي مع الاحداث ، بحث فيها ما شاهده في حياته  
 ٤ - المواهب في ذكرى العلامة الشيخ عبدالوهاب النايب  
 ٥ - نيل المرام في قاموس الانعام  
 ٦ - قطف الاثمار في الاخبار والاشعار



Date Due

526782 FEB 11 1961



ML

400

A416



3 1142 00088 3481



NYU - BOBST



31142 00088 3481

ML400 .A416

Qiyas Baghdad li al-Asar al-Abb